أحمد عبد الغفور عطّار

اليهودية والصهيونية

دار الأندلس
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الثانية

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م


اليهودية والصهيونية



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

أقام الملك العظيم فيصل عاهل المملكة العربية السعودية حفلة عشاء بمكة المكرمة حرسها الله تكريماً لكبار حجاج بيت الله الحرام وزعماء المسلمين ومفكريهم ورؤساء الجمعيات والجماعات والهيئات الاسلامية في العالم ممن قدموا لأداء هذه الفريضة، ولرؤساء الوفود والبعثات الرسمية القادمة للحج، وارتجل خطبة بليغة أذيعت من كل محاط الاذاعة السعودية والاذاعات العربية التي تشترك في نقل مشهد الحج .

وآثرت أن أجعل فقرات من خطبة جلالته البليغة مكان المقدمة التي كنت أعددتها ، وها هي ذي تلك الفقرات .

قال الملك فيصل :

« قبل ثلاث سنوات أهبت بإخواني المسلمين في جميع أنحاء الأرض أن نعلن الجهاد المقدس لإنقاذ مقدساتنا وأراضينا من العدوان الصهيوني ، ولكن لسوء الحظ وحتى هذه السنة لم أر حركة في هذا السبيل تنقذ مقدساتنا وأراضينا ، وتعيد لنا كرامتنا وعزتنا ، وتبعد عن المسلمين ومقدساتهم أعداء الله المعتدين المغتصبين .

« وفي هذه السنة تكررت أحداث على المسلمين في عدة بلاد من البلاد التي فيها المسلمون ، ومن أهم هذه الأحداث ما حدث في باكستان الشقيق ، وهو – لا شك – من المخططات التي تخطط لها الفئات التي تحارب الاسلام، وتحاول تحطيم الاسلام والمسلمين ، وفي مقدمة هذه الفئات : الصهيونية العالمية التي تنفذ مخططاتها واعتداءاتها سواء أكان بصورة مباشرة أم باستخدام منسوبيها من شيوعيين ومنحرفين ومن أعداء الدين .

« لذلك فإننا نخشى – إذا نحن تساهلنا أو تغافلنا عما يحدث اليوم – أن تكون العواقب وخيمة ، ونخشى أن يأتي وقت من الأوقات تكتسح هذه الاعتداءات كل البلدان الاسلامية وكل الفئات المسلمة في كل البلدان الأخرى .

« وحينئذ ، لن يبقى للدين ناصر ، ولن يبقى للمسلمين من يقدر على أن يدافع عن نفسه ، أو يصمد في وجه أعدائه .

« إخواني

« لست في حاجة إلى أن أطيل عليكم في هذا السبيل ، فأنتم تعرفون ما أعرف ، ولستم أقل مني غيرة ولا أقل حماسة في الدفاع عن دينكم ، وعن مقدساتكم ، وعن حقوقكم ، وعن كرامتكم .

« وكل ما أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً للعودة الى الحق ، وإلى التمسك بديننا وعقيدتنا ، والإخلاص في كفاحنا ضد أعدائنا ؛ حتى نصل إلى مرتبة من الإيمان نكون معها أهلاً لنصر الله سبحانه وتعالى ، الذي قال : ﴿ وكانَ حقاً علينا نصرُ المُؤمِنينَ ﴾ .

« فهذا حق فرضه الله سبحانه وتعالى على نفسه ، ولكن المهمّ أن نكون

مؤمنين حقاً .

« أيها الإخوة

« إنني في هــذه المناسبة السعيدة أكرر دعوتي لاخواني المسلمين في جميع أقطار العالم ؛ سواء منهم من يعيش في دول إسلامية أو الذين يعيشون في دول غـــير إسلامية أن يلتف بعضهم حول بعض ، وأن يتكاتفوا ، ويتعاونوا ، ويتضامنوا فيما بينهم للدفاع عن عقيدتهم ، وعن شريعتهم ، وعن مقدساتهم ، وعن حقوقهم ، وعن كراماتهم .

« وإنني أرجو الله سبحانه وتعالى أن يقيض لنا — عندما نجتمع في مناسبة قادمة إن شاء الله أيها الإخوة — أن نكون قـد وصلنا إلى ما نصبو إليه من نصرة ديننا ، وكبح جمـــاح أعدائنا ، وتخليص مقدساتنا وديارنا ، والثأر لكرامتنا وعزتنا من أعداء الاسلام .

« أمامنا — أيها الاخوة — ميادين الكفاح والجهـاد في سبيل الله ، فعلينا أن نسعى بكل ما أوتينا من قوة .

« وإذا كانت لي دعوة مستجابة فإنني أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل وفاتي — إذا قدرهـا علي سبحانه وتعالى — أن تكون في ميدان الكفاح في سبيله» في سبيل الله» وأن يبلغني هذه الأمنية التي هي أعز الأماني لديّ» وأن أرى نفسي في ميدان الكفاح عن ديننا وعن مقدساتنا وعن أمتنا ، وأن يختم لنا بالشهادة الكريمة إن شاء الله في سبيله .

إنه على ما يشاء قدير».

اليَهُودِيَّة وَالصَّهيُونيَّة

يفرق الكتاب بين اليهودية والصهيونية ، فاليهودية ديانة ، والصهيونية حركة سياسية ترمي الى قيـام دولة يهودية في فلسطين ، وارسخ اليهود هذه الفكرة في أذهان الناس في كل أقطار الأرض رغبة في نجاح خطتهم لاقامـة دولة اسرائيل قبل قيامها ، ثم العمل من أجل السيطرة على العالم .

فهم يزعمون أن اليهودية ديانة لادخل لها في السياسة ، وسبب هذه الدعوى أنهم يعلمون ان اليهود موزعون في كل أقطار الارض إلا المملكة العربيـــة السعودية .

وسكان أقطار العالم من اليهود هم طابور الصهيونية الخامس في داخل تلك الاقطار، يعملون للصهيونية في دهاء وخبث، ولئلا تفطن الشعوب لصهيونيتهم ميزوا بينها وبين اليهودية حتى لا يضار اليهود في البلدان التي يقطنونها ، وحتى يسهل عليهم التعامل مع أفراد الشعب ذلك التعامل الذي يمكنهم من التحكم في سياسته وآدابه وصحافته ووسائل اعلامه وتجارته واقتصاده ، ويمكنهم من افساد أخلاق الشباب وهم آمنون مطمئنون على نجاح خطتهم الهدامـــة وبرامجهم التخريبية .

وكل يهودي على وجه الارض ينتظر قيام دولة إسرائيل ، وإذا كان هناك

خلاف فذلك لا يؤدي الى اختلاف ، والخـــلاف أن المتدينين من اليهود ينتظرون قيام دولة اسرائيل على يـــد « مسيح » منتظر من نسل داود ، والصهيونيون يريدون قيامها وحسب ، فلما قامت هذه الدولة رحب بها كل يهودي بما فيهم السامرة الذين لا يرضون أن يقال عنهم : أنهم يهود .

والسامرة يهود ، وكتابهم المقدس واحد على اختلاف بعض النصوص في نسخة هؤلاء عن نسخة اولئك ، وهم يسكنون في « نابلس » ورأيتهم قبيل حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ بيوم واحد ، وقضيت معهم بضع ساعات اطلعت خلالها على توراتهم والخلاف الذي بينها وبـين توراة اليهود في بعض النصوص والاحكام .

وطبيعي الا يفصحوا عن تأييدهم لدولة اسرائيل ، لأنهم كانوا تحت حكم المملكة الاردنية الهاشمية التي وسعتهم بالفضل والعون والرعاية .

ومع ذلك لا تخفى حقيقتهم ، فكتابهم المقدس يعدهم بقيام الدولة الذي ينتظرونه ، فاذا قامت على أي شكل من الاشكال فذلك يشير بان ما يحلمون به سيتحقق ، لان قيام دولة اسرائيل سيمهد لهم السبيـل الى تحقيق حلمهم الظافر الذي تحقق الجانب الاول منه .

وما دام جانب من الحلم قد تحقق بقيـــام الدولة فان الجوانب الاخرى ستتحقق لا محالة كما يعتقدون .

والخلاف بين السامرة واليهود خلاف نظري لا يؤدي الى الاختلاف فـيما بينهم في تحقيق حـــلم الصهيونية ، فـكلهم متفقون فيه ، وينتظرون اليوم الموعود الذي تحقق بقيام دولة اسرائيل ، وكل فريق يسعى لتقويتها حسب

مفهومه من الدولة او « المملكـــة » المنتظرة بالنسبة للسامرة ، وان كانت اسفار هؤلاء واولئك اليهود تذكر كلمـــة « مملكة » التي استعملها ساسة اسرائيل الصهيونيون عند قيـام دولتهم ، اذ زعموا ان هذه الدولة بعث لمملكة داود .

وخلاصة القول : أن اليهودية صهيونية ، وكل يهودي صهيوني، سواء أكان من المتدينين أم من غير المتدينين ، وآية ذلك حاخامو اليهود الذين عملوا لقيام دولة اسرائيل وابتهجوا واحتفلوا بقيامها ومعهم رعاياهم من اليهود المتدينين .

اليهود ليسوا من بني إسرائيل

يقال : بنو إسرائيل ، والعبرانيون ، واليهود ، وكلهم بمعنى واحد عند كثير الناس ، ويطلقون على هذا الجنس الذي اشتهر باليهود .

أما بنو إسرائيل فنسبة إلى إسرائيل الذي هو يعقوب – على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، ولكن « بني إسرائيل»– في الحقيقة لا يطلقون إلا على الأسباط الاثني عشر الذين خرجوا مع موسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم من مصر ، وأما اليهود فنسبة إلى يهوذا أو يهودا رابع أبناء يعقوب ، ونطق القرآن الكريم بهذين الاسمين .

وسموا يهودا تمييزاً لهم عن الأسباط العشرة المسمين اسرائيل ، ولما انقسمت مملكة العبرانيين قسمين : مملكة تنسب ليهودا ، واخرى تنسب لإسرائيل ضمت الاولى سبط بنيامين ويهودا ، والأغلب من يهودا ، فسميت المملكة باسمهم إلى أن ذهب ريحهم وصاروا – كلهم – باورشليم تحت حكم ملوك يهودا حتى أيام بختنصر (٦٠٤ – ٥٦٢ ق م) الذي أجلاهم إلى بابل ، فعرفوا ببني يهودا .

وكلمة « يهود » أعم من إسرائيل وعبراني ، لأنها تطلق على كل متدين باليهودية من العبرانيين أو غيرهم ممن دخلوا في دينهم من مختلف الأجناس والشعوب .

وأما تسميتهم « عبرانيين » فالآراء فيه مختلفة ، فيقال : إن « عبري » لا

تطلق إلا على ذرية ابراهيم العبري ، كما زعم الدكتور اسرائيل ولفنسون في كتابه «تاريخ اللغات السامية» صفحة ٧٧ — ٧٨ .

وهذا غير صحيح ، فالعرب من ذرية ابراهيم على التحقيق ومن ابنه البكر اسماعيل ، وهم ليسوا عبريين ، ولا يصح وصف أبي الأنبياء بأنه عبري .

وإذا صح أن اليهود والعرب من أرومة واحدة أو أن العبريين والعرب من هذه الأرومة ، وأن مادة عرب وعبر واحدة فلا يصح على هذا الوجه ولا على أي وجه أن يوصف سيدنا ابراهيم بأنه عبري .

ويختلف الباحثون في سبب وصف ابراهيم بالعبري « فبعض المستشرقين يرى — اعتماداً على نظرية أحبار اليهود القدماء — أن ابراهيم إنما عرف بالعبري لأنه عبر النهر، ولا يعلم أي نهر المقصود ؟ أهو الفرات أم نهر الاردن ؟ »[١].

وقال بعضهم : « إن ابراهيم وصف بالعبري لأنه منسوب إلى أحد آبائه الأقدمين الذي كان يعرف باسم عبر »[١] .

إلا أن الدكتور اسرائيل ولفنسون لا يرتضي هذين الرأيين « لأن كلمة عبري في الواقع لا ترجع إلى شخص بعينه ، أو حادثة معينة ، وإنما هي ترجع إلى الموطن الأصلي لبني اسرائيل ، وذلك أن بني اسرائيل كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان ، بل ترحل إلى آخر الخ » [١] .

ويقول ولفنسون : « وكلمة عبري في الأصل مشتقة من الفعل الثلاثي عبر بمعنى قطع مرحلة في الطريق ، أو عبر الوادي أو النهر من عبره إلى عبره ،

(١) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ٧٧ — ٧٨ .

أو عبر السبيل شقها ، وكل هذه المعاني نجدها في هذا الفصل سواء في العربية والعبرية، وهي في مجملها تدل على التحول والتنقل الذي هو من أخص ما يتصف به سكان الصحراء وأهل البادية ، فكلمة عبري مثل كلمة بدوي ، أي ساكن الصحراء والبادية ، وقد كان الكنعانيون والمصريون والفلسطينيون يسمون بنو اسرائيل عبرانيين لعلاقتهم بالصحراء ، وليميزوهم عن أهـل العمران ، ولما استوطن بنو اسرائيل أرض كنعان وعرفوا المدنية والحضارة صاروا ينفرون من كلمة « عبري » التي تذكرهم بحياتهم الأولى : حياة البداوة والخشونـة ، وأصبحوا يؤثرون أن يعرفوا باسم بني اسرائيل فقط »[١] .

وقيل : عرفوا بالعبرانيين نسبة إلى اللغة العبرانيـــة ، ثم تمسك بها الذين حافظوا على اللغة العبرية وثقافتها تمييزاً لأنفسهم عن الذين اتخذوا اليونانية لغة وأدباً وثقافة وعلماً .

ولكن الدكتور إسرائيل ولفنسون يقول : « ليس في صحف العهد القديم ما يدل على أنهم كانوا يسمون لغة بني إسرائيل باللغة العبرية ، بل كانت تعرف باسم اللغة اليهودية ، وطوراً باسم لغة كنعان ، ولم تعرف باسم العبرية أو اللغة المقدسة إلا بعد السبي البابلي في كتاب ابن سيرا ، وفي مصنفات المؤرخ اليهودي يوصف ، وفي المشنا والتلمود » .

وذكر بعض الباحثين أن الكنعانيين هم الذين أطلقوا على الذين هاجروا إلى فلسطين كلمة « العبرانيين » تمييزاً لهم عن الكنعانيين أصحاب البلاد الأصلاء ، وللدلالة على أن العبرانيين الذين يدعون أنهـــم من نسل إبراهيم من الشعوب الغريبة الوافدة على أرض الكنعانيين .

---

(١) المصدر السابق .

وكل المصادر مجمعة على أن العبرانيين غرباء على أرض فلسطين مثلما هم غرباء على أرض مصر .

والكنعانيون هم أصحاب فلسطين منذ عصور أقدم بكثير من العبرانيين ، وقد سبقوا في امتلاكها سيدنا إبراهيم والعبرانيين قبل نزوحهم اليها بآلاف السنين .

وأيا ما كان الأمر فالعبرية ليست واضحة النسبة كما تفصح الأقوال والروايات المختلفة ، ولم يكن الكنعانيون وحدهم هم الذين يطلقون عليهم كلمة « العبرانيين » بل كان المصريون والفلسطينيون يطلقون عليهم ذلك الاسم لتكون علامة فارقة بينهم وبين هذا الجنس البدوي الغريب الوافد على أرض غريبة عنه .

وحسب بعض المؤرخين أن الإسرائيليين جاءوا من بابل استناداً على أن ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ولد في « اور » وشعب ابراهيم كان فيها ، وذكروا أنه كان شعباً متحضرياً لا متبدياً .

وتزعم مصادر يهودية أن منشأ بني إسرائيل في بلاد الكلدان ، لأن سيدنا ابراهيم ولد في اور الكلدان .

وهذا الزعم ناجم عما جاء في سفر التكوين .

وموقع مدينة « اور » التي ولد فيها سيدنا ابراهيم موضع خلاف ، فبعض الباحثين يرون أنها تقع في وسط البلاد السورية ، ومن الباحثين من يرى أن موقعها في بابل ، ولعل الأرجح أنه في الجزيرة بين دجلة والفرات بإقليم العراق الأعلى .

وفي «تاريخ سورية» ليوسف الدبس ٢ : ٧ — ٨ أن القديس افرام السرياني يرى أن مولد ابراهيم في «اورفه» وهي «الرها» وتابعه كثير على هذا الرأي، ومن أدلتهم أن اسمها في السريانية «اورهُي» ودافع ستانلاي عن صحـــة هذا الرأي واعتمده .

وذهب بوخرت إلى أن موقع «اور» بين نصيبين ودجلة، وقد وافقـه كثير من العلماء على هذا الرأي .

ويذكر مؤلف «تاريخ سورية» أن العالم أوبَر قد وفق لتعيين موقع «اور» التي ولد فيها ابراهيم، وحدده بأنه في الموضع المعروف بالمقائر، وسماه بعض الجغرافيين «أم قير» وهو في وسط الطريق بين بابل ومصب نهر الفرات .

وذكر أن قطعاً معدودة من الآجر اكتشفت وفيها اسم هذه المدينة وبعض ملوكها، وكانوا يسمون ملوك اور، وهي من أقدم مدن بلاد الكلدان، وأن بعض الآثار التي وجدت فيها تعسرت قراءتها وفهمها، ومنها فلذة آجر كتب عليها «إن ليك باغاس ملك أور بنى هذا الهيكل تجلة للإلّه سين» وكتب على فلذة اخرى «أقام ليك باغاس ملك أور هيكلاً تكرمـــة لسيده الإلّه سين وبنى أسوار مدينة أور» .

وليك باغاس — هذا — كان قبـل مولد سيدنا إبراهيم، وان الإلّه سين هو القمر الذي كان أعظم معبودات اور، وان ابراهيم ولد بها .

وتذهب روايات إسرائيلية أنهم يرجعون إلى أصـل آرامي، وان العالم الفرنسي المعاصر أدولف لودس يشك كثيراً في نسبـــة اليهود إلى السامية، ويرى أنهم ينتمون إلى الآرامية «ويدعم نظريته هذه بدلالة ما بين اليهود والآراميين من تقاليد مشتركة، كتطبيق كل من الشعبين نظام الضريبة العشرية

التي تقدم للآلهة ، أو على ما في التراتيل اليهودية القديمة من الاشارة الى قرابة اليهودية من الآراميين ، ويستشهد لذلك بالترتيل اليهودي الشهير : « كان أبي آراميا تائهاً » ويضيف إلى ما سبق دليـلاً آخر هو التقارب الوثيق الكائن ما بين اللغتين ، ويستخلص من كل هذا فكرة نفي السامية عن اليهود [١] » .

والعالم الفرنسي (ا. موره) يرى أن منشأ السامية في البلاد الواقعة شمال إرمينيا .

وعلماء آخرون معاصرون مثـل كلاي و درونت و بلاي يرون أن منشأ السامية كان في سورية نفسها .

وبعض هذه الآراء غير سديدة مثل من قالوا : إن منشأ السامية كان في سورية ، إذ لا دليل لديهم على هذا الادعاء .

ومنشأ السامية وشعوبها ولغاتها من الجزيرة العربية ، وسورية جزء منها ، ولكن هذا الجزء لم يكن أصل السامية .

واليهود عرفوا سورية ، ونزلوا بهـا ، مثل غيرهم من البدو الرحل ، ولم يكن لليهود وطن خاص بهـم منذ القدم ، فسكنهم سورية لا يعطي فكرة منشأ السامية اليهودية في سورية أي إثبـات ، فبنو إسرائيل عرفوا مصر وسكنوها وقضوا بها أكثر من قرنين ، وليس معنى هذا أنهم نشأوا في مصر.

وسيدنا إبراهيم جد العرب على التحقيق وجد العبرانيـين على بعض الأقوال ، لأن اسماعيل أكـبر من إسحاق عرف سورية وفلسطين ومصر

---

(١) المفسدون في الأرض ، تأليف س. ناجي ، مطبعة الانشاء بدمشق ١٩٦٥ الطبعـة الأولى .

والحجاز ، وزعم يوسيفوس مؤرخ اليهود منذ عشرين قرناً أن سيدنا ابراهيم كان ملكاً على دمشق، وهو زعم لم تدعيه أسفار العهد القديم، وليس ما زعمه يوسيفوس بصحيح .

وإذا كان بعض المصادر الاسرائيلية يذهب إلى ان الاسرائيليين يرجعون إلى أصل آرامي ، ويحبذ هذا الرأي العالم الفرنسي أدولف لودس – كما مر – فان هذه الرواية – إن صحت او لم تصح – لا تبعد عن الواقع ، فالآراميون والاسرائيليون يرجعون الى الجنس السامي حسب الروايات المعروفة، والجنس السامي من الجزيرة العربية التي هاجر منها اسلاف ابراهيم من شمال اليمن على على أصح التقديرات .

وبنو إسرائيل كانوا قبائل رحلاً ، تدفقوا إلى الشام ونزلوا البـادية ، ثم أقاموا في فلسطين عنوة ، وهم من نسل يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم .

وتاريخهم القبلي مجهول ، وما عرف منه من قبيل الأساطير ، فأصلهم من شعب ابراهيم الذين هـــاجروا من أور الكلدان بعد هجرة أسرة ابراهيم من شمال اليمن إلى العراق الأعلى ، وهذا معترف به تاريخياً ، لأن مما لا شك فيه عندنا انتقال ابراهيم من أور الى فلسطين ، وولد له اسماعيل بها ، ونقله مع أمه هاجر إلى مكة، وبقي إسحاق مع أمه ساره في فلسطين، وولد لاسحاق يعقوب الذي اتخذ فدان آرام ، وصار اسمـــه اسرائيل ، واليه ينسب الاسرائيليون ، ومنه جاءهم هذا التعريف .

وتتفق المصادر الدينية وكثير من المؤرخين على هجرة العبرانيــين ، ولهم غير هجرة ، وهجراتهم متعددة ، ومنهــا : هجرة اسرائيل (يعقوب) نفسه

مع بنيه وأهله الى مصر حيث كثر نسلهم، وكان الاسرائيليون أقلية مرموقة، ثم صاروا عبيداً اذلاء للمصريين ، ومنها الهجرة التي تمت على يد سيدنا موسى – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – .

وتواريخ هذه الهجرات ليست مقطوعاً بها ، وان كانت هجرة ابراهيم حدثت في القرن العشرين قبل الميلاد او ما حوله او قرب منه ، فهو مبدأ تاريخ العبرانيين الذي لم يصبح تاريخاً إسرائيلياً إلا من يعقوب وبعده .

ولكن التاريخ الذي جعل لبني اسرائيل ذكراً باقياً هو تاريخ دخولهم مصر بعد يوسف حيث وفد اليها يعقوب واولاده ، ثم انقاذهم على يد موسى وخروجهم معه .

وفترة بقاء الاسرائيليين في مصر بضعة قرون .

ومن المؤرخين من ينفون هذه الحوادث بحجة صمت المراجع غير الاسرائيلية عنها ، كما نفى بعضهم وجود موسى ، مع أن المصادر الاسرائيلية والمسيحية والاسلامية وكثيراً من الباحثين أثبتوا صحتها، وما ذكرته المصادر الاسرائيلية القديمة عن هذه موثوق به فيما اتفق فيه مع المصادر الأخرى .

وليس هؤلاء اليهود هم بني اسرائيل قطعاً كما يذهب العلامة الكبير السيد امين مدني في بحوثه العظيمة التي كتبها في بني اسرائيل واليهود ، ونحن نوافقه على ما ذهب اليه ورأى .

يقول السيد أمين مدني [١] :

---

(١) مجلة « كلمة الحق » لصاحبها ورئيس تحريرها مؤلف هذا الكتاب ، العدد الأول ، محرم ١٣٨٧ هـ (ابريل ١٩٦٧ م) .

« إن اليهودية دين لا جنس ، وان يهود اليوم لا ينتمون الى بني اسرائيـل تلك الأسرة الكريمة ، على أن كثرة من المؤرخين اليهود قديماً وحديثاً حاولوا أن يرجعوا اليهود الى أرومة من أرومات الشرق العربي ، فمثل ما يحـــاول المؤرخ اليهودي الحديث أن يربط نسب اليهود بنسب أسرة إسرائيل ليكونوا شعب الله المختار كذلك حاول يوسف المؤرخ اليهودي القـديم أن يربط يهود مصر القدامى بعماليقها (الشاسو) ولكن هذه المحاولة على ما يظهر لم تأت بمـا يقنع المؤرخين القدامى ، فهم لم يذكروا اليهود بعد زوال آل اسرائيل باسم بني اسرائيل ، فلقد تحدثوا عن يهود الحجاز قبل الاسـلام وعن يهود العراق وسورية ومصر قبل الاسلام وبعده ، ولم يتحدثوا عن بني اسرائيل في الحجاز وغيره من ارض الجزيرة التي هاجر اليها اليهود » .

ويهود اليوم ليسوا يهوداً بغير الديانة التي ينتمون اليهـــا ، فيهود كل بلد يختلفون عن يهود اليمن ، فأولئك المانيون ، وهؤلاء يمنيون ، وهكذا القول في كل أمة .

والديانات لا أوطان لها ، فالاسلام والمسيحيـــة لا وطن لهما ، وكذلك اليهودية ، والدم وحده هو الذي يرتبط بالأرض ، ويهود العصر الحـــاضر لا ينتمون الى جنس معيّن ، فيهود كل بلد ينتمون اليـه ، ولا يمكن ان يكون اليهود جميعهم من الأصل السامي الذي ينتمون اليه ، فيهود المانيـا آريون ، ودمهم غير دم يهود اليمن قطعاً ، ولا يجمع بينهم غير الدين .

ولو كان يهود العالم من أصل واحد لما ظهرت فوارق الخلقـة فيما بينهم ، ولما ظهر بينهم ذوو البشرة البيضـــاء والعيون الزرق والشعر الأشقر أو الكستنائي .

ولسنا نحن الذين نقول هذا القول ، بل يقوله عالم من أكبر العلماء في الجنس ، وهو يهودي ، وهو فردريك هرتس الذي يقول في كتابه « الجنس والحضارة » :

« لم يعد بالامكان أن يتمسك المرء بذلك الرأي الذي يمثل الآريين من جهة ، واليهود من جهة أخرى كجنسين مختلفين أشد الاختلاف ، فقد أثبت البحث الانثروبولوجي بصورة لا تحتمل الجدل ما بين الاثنين من القرابة الشديدة .

« وقد استطاع اليهود في أثناء تاريخهم الطويل أن يمتصوا مقداراً كبيراً من الدماء الأجنبية ، وهذه الحقيقة تفسر ما نراه فيهم من اختلاف في الصور والأشكال ، ومشابهتهم للشعوب التي يعيشون بينها ، وقد كان اعتناق الديانة اليهودية بوساطة اليونان والرومان والشعوب الأخرى أمراً كثير الحدوث ، وعلى الأخص في القرن الأول والثاني قبل الميلاد ، أما في العصور الوسطى فعلى الرغم من جميع العقبات قد حدث مثل هذا التحول إلى الديانة اليهودية، وعلى الأخص في البلاد السلافية .

وهذا هو السبب في أننا نرى اليهود الروس والبولونيين يشبهون السلاف شبهاً لا شك فيه ، واليهود الألمان أقرب شبهاً بسائر الألمان منهم باخوانهم في الدين من أهل فلسطين » .

وفي كتاب « اليهود في أمريكا » الذي أصدره اليهود أنفسهم صور ليهود بينها صورة أطفال من الذكور والإناث كتب تحتها هذا التعريف : « فتيان وفتيات يهود من مختلف الأجناس والعروق في ظل العلم الأمريكي » وهو

اعتراف من اليهود أنفسهم بأنهم ينتمون إلى أجناس وعروق مختلفـة ، وهو ينفي نفياً قاطعاً الانتماء إلى أصل واحد .

ويكاد الاتفاق يكون تاماً بين علماء الانتربولوجيا (علم السلالات البشرية أو الانسان أو الأجناس) على أن اليهود ليسوا من سلالة بني إسرائيل القدماء، ويثبتون بما لا شك فيه أنهم من أجناس أخرى غير الجنس الاسرائيــلي ، اعتنقوا الديانة اليهودية خلال العصور الماضية فعرفوا باليهود ، دون أن يكون للدم دخل في تقرير يهوديتهم .

ومن أشهر علماء الانثربولوجيا الذين قرروا هذه الحقيقـة : العالم اليهودي فردريك هرتس الذي استشهدنا به ، وهناك أكبر العلماء في هذا الفن أثبتوا هذه الحقيقة التي أصبحت من البديهيات التي يحاول اليهود طمسهـا ليثبتوا دعاواهم الباطلة .

يقول العـالم الانثربولوجي ربلي Ripley في كتابـه أجناس اوربا Races of Europe وقد صدر قبل المشكلة الصهيونية :

« إن تسعة أعشار اليهود في العالم يختلفون عن سلالة أجدادهم اختلافـاً واسعاً ليس له نظير ، وان الزعم بأن اليهود جنس نقي حديث خرافـة ، ولقد أصاب رينان في تأكيده بأن كلمة « يهودي » ليس لها معنى انثربولوجي لا اوربا ولا في حوض نهر الطونة على الأقـل ، وصدق الاستاذ لمبروزو في ملاحظته بأن اليهود الحديثين هم أدنى إلى الجنس الآري منهـم إلى الجنس السامي » .

ومن الثابت تاريخياً وواقعياً أن اليهود تشتتوا في أقطار الأرض ، ومنهم

من سكنوا أرض العرب والمسلمين التي تشكل بمساحتها وعدد سكانها أكبر أرض وأمة ، وعاشوا بينهم في أمن وسلام لم يجدوهما قط في تاريخهم الطويل، بل لم يجدوهما في دولة داود وسليمان ولا في ظل الدولة اليهودية .

يقول برتراند رسل أحد مشاهير العالم وفيلسوف بريطانيا في كتابه « تاريخ الفلسفة الغربية » ٢:١٨٦ الطبعة العربية .

« كان المسلمون خلال العصور الوسطى أكثر مدنية وأرق قلباً من المسيحيين ، فقد اضطهد المسيحيون اليهود ، وبخاصة في عهود الاضطراب الديني ، وصاحبت الحروب مذابح مروعة ، وذلك على نقيض ما كان اليهود في البلاد الاسلامية ، حيث لم يسيء احد معاملة اليهود بأي معنى من معاني الاساءة » .

فاليهود عاشوا في أمان في دولة الإسلام في جميع أقطارها من الأندلس حتى ما وراء النهر ، وفي كل البلدان العربية ما عدا الحجاز ونجد وبعض اقطار الجزيرة العربية ، فهم في العراق وسورية ومصر وشمال افريقية ، واختلطوا بالسكان الأصليين ، وامتزجوا بهم دماً كما اختلطوا دماً بالقبائل التي تسمى القبائل البربرية وغيرها ، ويسمى هؤلاء اليهود « السفرديم » وهم بلا خلاف مجموعة من دماء مختلفة ومن عناصر جنسية متغايرة .

وهناك اليهود « الأشكينازيم » الألى كانوا ما قبل الميلاد بحوالي ثلاثة قرون في حوض الراين الأعلى ، وكان هؤلاء مجموعات كبيرة تفرعت منها مجموعات في اقطار اوربا .

والى هؤلاء يعزى انتشار الديانة اليهودية في اواسط اوربا وبخاصة في

المانيا ، وذلك قبل المسيحية ببضعـــة قرون ، وهؤلاء ليسوا من السلالة الاسرائيلية القديمة .

وكتب العلامة اوجين بتار بحثاً مطولاً عن اليهود في كتابـه الأجناس والتاريخ Les races et l'histoire وضمن بحثه العلمي ما انتهى اليه كثير من الباحثين الكبـار ممن سبقوه ، وكلهم اجمعوا على ان اليهود ليسوا من سلالة الاسرائيليين الأصليين ، ويقول العلامة بتار :

« إن اليهود بعيدون عن الانتماء الى الجنس اليهودي ، وليس أصدق من حكم رينان الذي يقول : لا يوجد عنصر يهودي ، وانما توجد عناصر يهودية ، ولا يمكننا اعتبار اليهود في العصر الحاضر ممثلين لمجموعة جنسية متجانسة حتى ولا اليهود القاطنين في فلسطين ، لأن الحركة الصهيونية جلبت اليها يهوداً من مناطق مختلفة ، واليهود ينتسبون حقيقة الى تشكيلات دينيـــة واجتماعية تتداخل فيها افراد تنتمي الى عروق مختلفة في كل الأزمان ، واختلط هؤلاء المتهودون وشكلوا الجاليات اليهودية ، فما العلاقة الجنسية بين يهود الحبشة واليهود الألمان من العنصر الجرماني واليهود السود المسمين بتاميل في الهند او اليهود الخزر الذين هم جد قريبين من العناصر التركية .

« ومن المستحيل أن نعتبر اليهود الاوربيـــين الذين يسمون « اسبانيين » ذوي البشرة البيضاء والشعر الأشقر او الكستنائي والعيون الفـاتحة من سلالة الشعوب الاسرائيلية الأصلية التي أقامت سابقاً في ضواحي نهر الأردن .

وإن مجموع الدراسات التي قام بها على اليهود أثبتت عدم تجانس هـــذه المجموعة الاجتماعية والدينية المعروفـة باسم اليهود ، وان توزع اليهود الواسع

في أنحاء الكرة الأرضية يثبت لنا قابلية اليهود « للتأقلم » قابليـــة غير محدودة » .

وقال : « إن يهود روسيا يختلفون – حسب احصاءات وتجارب العـالم فايسبرغ Weissberg – كل الاختلاف عن يهود المانيا » .

و « إن كلاً من طائفتي السفارديم والاشكينازيم تدعي أنها هي التي تمثل العنصر اليهودي بصورة أوضح ، ولكن الاسرائيليين غالبـــاً يعتبرون ان الطقوس الدينية المأخوذة عن طائفــــة السفارديم هي الأصح ، ولا يهمنا أن يكون اعتقادهم على صواب او خطأ بقدر ما يهمنا أن ندرس صفاتهم الجنسية ، ونرى في يهود اوربا الشرقية : تركيا ، اليونان ، البوسنة ، بلغـاريا ...الخ عدداً كبيراً من اليهود الذين يعرفون باسم الاسبـــانيين ، والذين يدعون انهم حفدة اليهود المطرودين من اسبانيا أثناء الاضطهادات الدينيــة في سنة ١٤٩٢ كما أنهم يلقبون أنفسهم بلقب « موريسكوس [١] Moriskos ويربو عددهم على ٣٠٠ الف فرد بقليل » .

« ويستنتج بتيار من دراسة العلماء اليهود الاسبانيين واليهود الروس وغيرهم أن المجموعة الاجتماعية التي تسمى باسم اليهود هي مجموعة غير متجانسة بصورة خاصة ، كما ظهر له أن يهود آسيا الوسطى (بخارى، سمرقند ، مرو ، هرات) يمثلون فئات غير متجانسة بصورة واضحة ... ويعتقد يهود القوقـــاز أنهم

(١) يقول الاستاذ انور الرفاعي في موسوعته الفلسطينية المسماة « الأرض المقدسة » في المجلد الأول ، الجزء الثامن عشر ، صفحة ٤١٥ : « ونحن نرى أن هذا الاسم موريسكوس مشتق من كلمة Maure وهو الاسم الذي يطلق على سكان المغرب العربي بما يؤخذ دليـــلا آخر على تأثير اليهود بالصفات الجنسية التي عاشوا بها ، ففيهم اذن دماء عربية وبربرية » .

ولقد اعتمدنا على هذه الموسوعة في الشواهد التي استشهدنا بها من كلام بتار وربلي وهرتس .

يمثلون الطبقة الاسرائيلية الشريفة ، كما يعتقد الاعتقاد نفسه اليهود الاسبانيون المقيمون في جزيرة البلقان .

« ويذكر ديبوي De Boye الذي زار هؤلاء اليهود الذين يدعـــون أنهم أشراف أنهم يحتقرون يهود الغرب الذين لا تربطهم بهم الا روابط اجتماعيــة ضئيلة ، لأنهم يدعون أنهم وحدهم أحفاد اليهود المنقولين من البـلاد اليهودية في فلسطين منذ منتصف القرن الثامن الى منتصف القرن التاسع قبل الميـلاد على يد الملوك الآشوريين .

« وينتقل بتيار الى بحث يهود اليمن الذين هم من جماعة الاشكينازيم ثم الى يهود سوريا الذين أجريت التجارب عليهم في دمشق وحلب، وهم يشكلون مجموعتين بعيدتين عن أن تكونا متشابهتين » .

« وينتهي بتيار من بحثه المستفيض الى نتيجة هامة هي قوله : يظهر لنـا أن أقل القراء معلومات يستطيع أن يستنتج من دراساتنا بأنه لا يوجد جنس يهودي بكل ما في هـــذه الكلمة من معنى ، واليهود يشكلون مجموعة دينية واجتماعية عريقة جداً بالطبع ، لكن معالمها غير متجانسة بصورة واضحة .

« ويمكننا أن نتساءل كم تحوي كل مجموعة من المجموعات اليهودية في العالم من اليهود المثاليين الذين ينتمون الى الاسرائيليين الذين كانوا يقيمون في جوار البحر الميت ، والذين يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار .

وكذلـــك نلاحظ أن الاثباتات تفتقر أولئك الذين هم ضد الساميين ويريدون أن يضعوا جنساً يهودياً مقابل الأجناس المسيحية ، فلا يوجد جنس

مسيحي ، كما لا يوجد جنس إسلامي ، ولا يوجد أبداً جنس يهودي »[1] .

وننتهي من كل ما سبق الى أن اليهودية ليست جنساً ولا دماً ولا عرقاً ، بل هي ديانة ، ولو كانت جنساً لاقتضى الأمر أن يكون كل يهودي ككل يهودي في الخلقة أو على الأقل يكون التشابه عظيماً بحيث تتفق الأشكال والسمات الخِلْقية .

والفرق كبير جد كبير بين يهود اليمن ويهود المغرب ويهود القوقاز ويهود روسيا ويهود ألمانيا ويهود كل بلد أو قطر في الخلقة ، وهو أمر لا جدال فيه ، ولا يمكن أن يكون ابناء هذه الشعوب منتمين الى سلالة واحدة الا اذا كان سكان الأسكيمو والفرنسيين من اصل واحد ، وهذا لا يزعمه عاقل .

بما لا جدال فيه ولا شك فيه ان اليهود من مختلفي الأجناس يختلفون في الدم ، فيهود كل قطر ينتمون اليه .

وننتهي من هذا الى زوال دم اسرائيل من الوجود زوالاً تاماً ، وما حدث لليهود من تشريد وتشتيت خلال اربعة آلاف سنة تقريباً — او اقل من هذا الزمن ببضعة قرون — محا الدم الاسرائيلي محواً تاماً ، ومن اليقين الثابت ان اليهود منذ عشرات القرون ليسوا من سلالة الاسرائيليين الذين كانوا مع موسى ثم مع داود وسليمان ، بل هم عناصر مختلفة ينتمون الى دماء بعدد أجناس بني البشر .

---

(١) ملخص من كتاب بتيار باللغة الفرنسية « الأجناس والتاريخ » ص ٤١٣ وما بعدها (موسوعة الأرض المقدسة ، لأنور الرفاعي) .

عَقيــدَة اليَــهُود

في كل مراحل التاريخ الانساني ، كان اليهودي ذا طبيعة لا تتغـير ، فهو من ناحية عقيدته وثني ، وعندما ألقي إليه التوحيد لم يفهمـــه حق الفهم – إلا قلة نادرة – وكانت عقيدة التوحيد غير متفقة مـــع فطرته وطبيعته وسلوكه .

وأسفار اليهود المقدسة – وفيها ما يطلقون عليه التوراة التي تتكون من خمسة أسفـــار – تصور حقيقة اليهودي ، وأسفارهم هذه تدينهم وتوثقهم ، وتذكر أن اليهود قذارة البشر .

فمن ناحيــة العقيدة عبدوا « يهوه » أو « ألوهيم » ووحدوه ، ولكنه لم يكن توحيد موسى الحق ، بل هو توحيد قائم على الشرك والتعدد ، وتوحيدهم أشبه ما يكون بالجنسية .

فهم يوحدون يهوه ، ولكنهم لا يكفرون بغيره ، بـــل يعترفون بآلهة الآخرين كما يعترف الانجليزي بجنسيته الانجليزية ، ويعترف الى جـانب ذلك بالجنسيات الأخرى .

بل وصل بهم الأمر الى ان جعلوا أفضـل من فيهم وهم الأنبيـاء والرسل ليسوا بأهل لأن يكونوا كذلك اذا اعتمدنا توراتهم وأسفارهم المقدسة ، لأن في أقوالهم وأعمالهم مـا ينقض الرسالة والنبوة والتوحيد ، بـل ان أعمالهم واقوالهم مما لا يرضى بها الشرفاء من بني الانسـان .

ففي توراتهم وأسفارهم المقدسة وصف رسلهم وأنبيائهم بما يتنزه عنه المهذبون منذ عرف الانسان الأخلاق الكريمة حتى اليوم ، وان بعض رسلهم وأنبيائهم بلغ بهم الانحطاط الخلقي حداً لم يصل اليه المجردون من الانسانية إلا من كان من بني الانسان يعيش بطبيعة البهيمة العجماء ، وهو افتراء محض على الله ورسله وانبيائه .

إن اليهود صوروا أنبياءهم ورسلهم أبشع صورة وأقذرها ليبيحوا لأنفسهم القذارة والسفالة وكل الأخلاق اللئيمة الممقوتة ، وإذا كان القدوة قذراً سافلاً فلا لوم على المقتدي أن يكون كذلك .

ولا لقاء بين اليهود في نظريتهم فيما يختص بالرسل والأنبياء وبين المسلمين، لأن هؤلاء ينزهون رسل اليهود وانبياءهم كل التنزيه عما الصقوه بهم من تهم واخلاق ذميمة منكرة .

واما العقيدة اليهودية فلم تكن قط عقيدة توحيد اذا اعتمدنا مصادرهم التي تأتي في طليعتها توراتهم وتلمودهم واسفارهم المقدسة ، في حين ان الاسلام يؤكد ان ديانة موسى توحيد حق ، وايمان بأنه لا اله الا الله ، ونفي لكل شريك .

والعقيدة اليهودية التي تصورها أسفار اليهود المقدسة عقيدة وثنية ، فالإله الذي يعبدونه ليس « الله » الواحد الأحد ، بل هو إله قبلي محلي خاص بهم، لا يشركهم فيه سواهم ، ولا يرضون أن يشركهم فيه أحد غيرهم .

وهذا الإله الذي يعرفونه بكلمة « يهوه » إله كنعاني ابتدعه الوثنيون ، وأخذه اليهود منهم ، وزادوا في صفاته ما يتفق مع حياتهم وطبيعتهم .

فمن بين الآثار التي وجدت في كنعان سنة ١٩٣١ م قطع من الخزف ترجع الى عصر البرونز الذي يسبق الميلاد بثلاثة آلاف سنة ، وفيهـا كلمة « ياه » أو « ياهو » وهو إله كنعاني .

وعلى هذا تكون كلمة « يهوه » معروفة قبل ميـلاد سيدنا ابراهيم عليـه الصلاة والسلام، وفي أسفارهم المقدسة ان ابراهيم عرف «يهوه» بلفظه ومعناه.

وقصة الخليقة لدى اليهود منقولة عن « بابل » وكذلك قصة الطوفان .

وفكرة « المخلص » نقلها اليهود عن الديانة الفارسية وتمسكوا بها .

ونظر اليهود في صفات إلههم « يهوه » الى الديانات الوثنيـــة ، وفكرة « خصوصية » الإله منقولة عن الوثنيات التي سبقت ديانتهم أو عاصرتها .

والمخالفات التي تزدحم بها التوراة والتلمود وكتب اليهود التي يقدسونهـــا لحقيقة التوحيد تثبت ان التوراة الأصلية الصحيحة التي فيها الهدى والنور قد تغيرت وحرفت على أيدي اليهود ، ودخلت فيها الوثنيات من الشرك والتعدد والكفر والإلحاد وكل أنواع الباطل والفساد ، وما تذكر من التجسيد وصفات « يهوه » من الحمق والطيش والندم والتوحش والتعطش الى الدماء البريئـــة والمحاباة لعباده إنما هو مذكور في صفات آلهة بابل وأشور وغيرهما .

وفي الفترات التي كانت دعوة التوحيد الموسوية تعلو على غيرها لم تخل اليهودية من اعتقاد التعدد ، فقد كانوا يؤمنون بإلههم « يهوه » مع الاعتراف بآلهـــة الشعوب الأخرى .

وأخذوا بفكرة البنوة لله من المسيحية ومن كرشنا وبوذا وباخوس، فزعم اليهود ان « عزرا » الذي ذكره القرآن الكريم باسم « عزير » هو ابن الله.

وهذا القول معروف عن يهود المدينة ، ولم يرد عن غيرهم ، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وأبو أنس وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا : كيف نتبعك وقد تركت عبلتنا ، وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله » .

وعندما نجى الله اليهود على يد موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، ورأوا معجزاته وما تم على يديه ، وكانوا في سيناء حيث الأمن والدعة والحرية والرزق طلبوا الى رسول الله موسى أن يجعل لهم إلهاً كما لهم آلهة ، فزجرهم أشد الزجر .

بل ترك اليهود عبادة الله وحده وعادوا الى وثنيتهم وهم حديثو عهد بمعجزة النجاة ، وكفروا بالهداية وبالنجاة وبنعم الله التي لا تحصى ، وانقلبوا مشركين بنص توراتهم .

في سفر الخروج ٣٢ : ١ (وهو من أسفار توراتهم) :

« ولما رأى الشعب موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه الخ ... » .

وفي نفس الاصحاح ٣٢ : « تضرع موسى أمام الرب إلهه وقال : لماذا يتكلم المصريون قائلين : أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ، ويفنيهم عن وجه الأرض ، ارجع عن حمو غضبك ، واندم على الشر بشعبك » .

وفيه : « فندم الرب على الشر الذي قال انه يفعله بشعبه » .

هذا مفهوم اليهود من عقيدة التوحيد ، وهذا الذي حدث كان والديانـة اليهودية غضة طرية ، وعبدوا العجل الذهبي وموسى على مقربـــة منهم ، ونسبوا صنعه إلى رسول الله هارون ، وجحدوا فضل الله عليهم .

وفي جميع مراحلهم أشركوا بالله بل كفروا بيهوه وأخلصوا لغيره ، وعلى سبيل المثـال نذكر بعض الحوادث التي تثبت كفر اليهود من كتبهم المقدسة التي لم تقتصر على نسبة الشرك والكفر إلى العامة ، بل نسبتها إلى رسل كرام يؤمنون برسالتهم ، ومنهم سليمان عليه السلام .

في سفر « الملوك الأول » بالاصحاح الحادي عشر :

« وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهـــة أخرى ... فذهب وراء آلهـة الصيدونيين ، وملكولم رجس العمونيين ... بني سليمان مرتفعة لكموش رجس المؤابيين على الجبل الذي تجـاه اورشليم ، ولمولك رجس بني عمون ، وهكذا فعـل لجميع نسائه الغريبات اللاتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن » .

وفي سفر « الملوك الأول » بالاصحاح الثاني عشر :

« بنى يربعام شكيم في جبـل افرايم وسكن بها ... وعمل عجلي ذهب وقال لهم : كثير عليكم أن تصعدوا إلى اورشليم ، هوذا آلهتك يا إسرائيل».

وفي سفر « أرميا » الاصحاح الخامس ، بالفقرة ١٩ :

« كما تركتموني وعبدتم آلهة غريبة في أرضكم ، هكذا تعبدون الغرباء في أرض ليست لكم » .

وفي سفر « أرميا » ٧ : ١٧ — ١٨ :

« أما ترى ماذا يفعلون في مدن يهوذا وفي شوارع اورشليم ، الأبناء يلتقطون حطباً ، والآباء يوقدون النار ، والنساء يعجن العجين ليصنعن كعكاً لملكة السماوات ، ولسكب سكائب لآلهة اخرى لكي يغيظوني » .

وملكة السماوات هذه هي « عشتروت » أو « عشيرا » التي يصفها غوستاف لوبون في كتابه : « اليهود في تاريخ الحضارات الاولى » بأنها الآلهة الشهوانية التي كان العبريون يعبدونها في الأماكن العليا بين الغياض ، والتي كانوا يأتون الدعارات تكريماً لها .

هذه شواهد من أسفار اليهود المقدسة ، ولو أردت الاستشهاد بأكثر مما ذكرت لوسعني أن اشغل عشرات الصفحات ، فأسفارهم مزدحمة بمروقهم عن التوحيد ، بل عن عبادة ربهم يهوه إلى عبادة آلهة الوثنيين . فتقربوا لهذه الآلهة بقرابين بشرية إذ أحرقوا أولادهم تقرباً اليها .

ولم يقف الكفر والشرك على عامة اليهود ، بل تجاوزهم إلى الرسل الكرام عليهم السلام ، مثل سليمان ، وزعموا في كتبهم أن هؤلاء الرسل اعترفوا بالبعل إله الكنعانيين ، فكانوا يسمون أبناءهم أسماء منسوبة إلى البعل ، فيوناثان — أحد أنبياء بني إسرائيل — سمى ابنه « مريب بعل » وداود عليه السلام سمى أحد أبنائه « بعليان داع » كما يذكر « أخبار الأيام الأول » ٨ : ٣٤ و٩ : ٤٠ و١٤ : ٧ .

وأبشع من كل هذا ما جاء في « التلمود » الذي يقدسه اليهود أكثر من « التوراة » بل التلمود هو الكتاب الفريد في القدسية ، ولا يذكر التوراة

بجانبه شيئاً ، فيزعم التلمود أن في التوراة أحكاماً لا يعاقب تركها بالموت ، أما التلمود فإن من يخالف منه حرفاً فجزاؤه القتل .

وهبط اليهود بآلهم «يهوه» في التلمود إلى هوة سحيقة من الذل والهوان، وصيروه تابعاً ذليلاً للحاخام ، ولا أمر ليهوه ولا طاعة ، بل زعم التلمود أن كلام الحاخام شرع ووحي ، لأنه يصبح « يهوه » مع الاحتفـــاظ للحاخام بتفوقه على يهوه ، فهو أعظم منه ، وإذا اختلف يهوه والحـاخام فالحق مع الحاخام ، بل أن يهوه خاضع للحاخام ، لأن يهوه مجبر على إجراء ما يريـده الحاخام ، وهو مؤتمر بأمره ، ومنته بنهيه .

بل بلغ من عظم التلمود أن سفر « مجيلا » بالفقرة الواحـــدة والعشرين يقول : « إن الله يدرس التلمود منتصباً على قدميه » .

ونخرج من التلمود والتوراة وأسفار اليهود المقدسة بالكفر المقيت والالحاد اللئيم والشرك البشع والتعدد الحقير .

والعقيدة الدينية التي يعتقدها اليهود تجعلهم في حـــل من كل عقيدة ، وتحملهم على فعل ما يستقبحه العقل والضمير ، ويستقذره الانسان ، لأنهـا عقيدة حيوانية ، وتعالى الله عز وجل عما يصنعـــه اليهود ، وتعالى عما يشركون .

وعقيدة اليهود الدينية أبشع ما عرف التاريخ البشري من عقـائد ، فهي عقيدة الشرك والشقاق والنفاق والاحتكار والقتل والوحشية والأذى .

وفي جميع مراحل عقيدة اليهود لم تكن عقيـدة هداية وتهذيب ورشد ، ولم تعط العالم قط أي بشرى أو خير أو إحسان ، بل أعطته النقيض ،

أعطته الشر والأذى والموت الزؤام والفساد ، ولم توح قط بالاخوة الانسانية والرحمة والتعاطف والحب .

ولم تكن قط ديانة اليهود رسالة خير وبناء ، بل كانت في جميع مراحلها – باستثناء عهد موسى وهارون، وبعض العهود التي تولى الحكم في بني إسرائيل رسل كرام – ديانة هدم وتخريب وإبادة .

ومن المؤسف أن عقيدة اليهود الدينية لا تفهم الخير ولا تدرك معناه ، وإذا فهمته فإنما تفهمه على أنه الشر المستطير الذي لا شر مثله ، ولا يكون الخير في قتل الأبرياء والعجزة والشيوخ والنساء والأطفال ، وسلب الأموال ، وانتهاك الحرمات ، وتمزيق الأعراض ، ونشر الفتن والفساد في الأرض .

ولكل ديانة عطاء تجد فيه خيراً يتجلى في الأوامر والنواهي الطيبة ، فإذا أخذها اليهود وأدخلوها ، في ديانتهم ، حولوها إلى شر غاية في البشاعة والمنكر .

ففي جميع الديانات الصحيحة والباطلة والوثنية نجد هذه الوصايا التي تعد من تراث الإنسانية المشترك : إعمل الخير ، أكرم الضيف ، أعن المحتاج ، ارحم العاجز ، لا تسرق ، لا تزن ، لا تقتل ، لا تشهد بالزور ، لا تقرض بربا ، لا تغش .

ولا شك أن هذه الوصايا تعمر القلوب والدنيا، وتجعل الحياة طيبة كريمة، وعندما تناولها اليهود حولوها الى شر محض ، وجعلوها في تلمودهم هكذا :

اعمل الخير لأخيك اليهودي وليس غير ، وأكرم الضيف إذا كان يهودياً ، وأعن المحتاج من بني جنسك ، وارحم العاجز من بني إسرائيل .

وأما النواهي فقد جعلوها هكذا : لا تسرق أخاك اليهودي ، ولا تزن بيهودية ، ولا تقتل يهودياً ، ولا تشهد بالزور على يهودي، ولا تقرض بربا أخاك اليهودي ولا تغشه .

وديانة اليهود – كما جاء في التلمود وفي التوراة وبقية الأسفـار المقدسة – تأمره بأن يغش غير اليهودي فيقول له التلمود : غُشّ الجيويم (وهم كل أمم الأرض ما عدا اليهود) واسلب أموالهم بالربا الفاحش ، فإذا وجدت مـالاً ضائعاً للأجنبي فلا ترده اليه ، لأن رده اليه ذنب لا يغفره الله .

وديانتهم تفخر بالخداع والغش والكذب ، وتنص على أن الحاخامين الذين هم آلهـــة عندهم بنص التلمود وأعظم من ربهم المعبود يهوه يغشون الأممي ، وذكر ما فعله الحاخام الأكبر الرابي صموئيل ، وهذا نص التلمود مترجمـــاً الى العربية .

« إن الرابي صموئيل كان رأيه أن سرقة الأجانب حلال ، وقـد اشترى هو نفسه من أجنبي آنية من الذهب كان يظنها الأجنبي نحاساً ، ودفع له ثمنها أربعة دراهم ، وهو ثمن بخس ، وسرق درهماً من البائع » .

وإذا كان هذا الحاخام الأكبر ، كذابـاً وغشاشاً ولصاً فغيره مثله ، وكل اليهود سواء في الطبيعة القذرة الشريرة .

وإن أشد المجرمين من غير اليهود يعد صالحاً، إذا قيس على حاخامي اليهود الذين هم آلهة عند أتباعهم وعبادهم .

وطبيعي أن يكون اليهود جميعاً بلا استثناء مجردين من الطبيعة البشرية ؟ فالفضيلة والخلائق الانسانية الكريمة قيد ثقيل يصد صاحبهـــا عن الآثام

والمحرمات والموبقات ، ويدفعه الى فعل الخير والعمل الصالح ، واليهودي لا يطيق هذا القيد ، ولهذا لا يستطيع أن يتخلق بالأخلاق الكريمة ، لأنه مطبوع على التحلل من كل قيد من قيود الأخلاق والفضائل والانسانية والمروءة .

وديانته تأمره بهذا التحلل ، وترى أبشع الجرائم أقدس الفضائل ، فالزنا حرام محض في جميع الشرائع والديانات إلا في « التلمود » كتاب اليهود المقدس الفاذ الذي يسمو على توراتهم ، فهو ينص على هذا النهي : لا تزن بيهودية ، ولكنه مباح له بل حلال عليه أن يزني بغير يهودية .

يقول غوستاف لوبون في كتابه « اليهود » ص ٥١ :

« ليس زنا الأزواج هو الجرم الوحيد الذي تحرمه الشريعة على مزاج بني إسرائيل الداعر ، ففي شريعتهم تعداد لدعارات عنيفة مع شدة عقوبة من يقترف إحداها ، وتثبت هذه الشدة كثرة المخالفات .

« وسفاح ذوي القربى أي الزنا بالأخت والزنا بالأم ، واللواط ، والمساحقة ، ومواقعة البهائم من أكثر الآثام التي كانت شائعة بين الشعب الذي نص تاسيت على شبق له لا يروى غليله .

« وأُرِيدَ لدى بني إسرائيل — كما عند كل شعب ذي غُلمة — خلط أفظع الملاذ بالطقوس المقدسة وموافقة الشريعة على هذه الملاذ، فعدت ضروب البغاء تكريماً لعشتروت ، وعد الانهماك في السكر على بسط الأزهار وتحت ظلال شجر الزيتون في الليالي الرطيبة نوعاً من العبادة التي لم تفتأ تمارس آنئذ في فلسطين على الرغم من غضب الأنبياء .

وما في الفصل الثاني عشر من سفر اللاويين من المحظورات كسفاح ذوي القربى واللواط ومواقعة الرجال والنساء للبهائم وما إلى ذلك من الأمور التي لم يحرمها معظم الشرائع لعدم فائدة النص على ذلك ، فيدل على درجة غُلمة الشعب اليهودي » .

فهو باسم الديانة يمارس هـذه الجرائم المنكرة البشعة ، وما جاء التشديد البالغ أقصى درجاته إلا لأن اليهود كانوا مولعين ولعاً لا حد له بممارسة هـذه الجرائم ، يمارسها اليهودي مع اليهودي واليهودية .

والتلمود يبيح لليهودي الفاحشة مع غـير اليهودية كما يحل له كل ما تحرمه الشرائع وقوانين الأرض .

والعقيدة التي تصنع ذلك لن تكون عقيدة صالحة ، ولن تعطي غير الشر ، ولهذا لم يعتنقها غير اليهود الذين أدركوا مـا في عقيدتهم من الكفر والمنكر والفساد والآثام والجرائم والموبقات فجعلوهـا عقيدة خاصة بهم ، كما جعلوا ديانتهم مغلقة على أنفسهم حتى يتنفجوا بأنهم هم الذين يحرمون على غيرهم الدخول في ديانتهم كما حرموا على غيرهم إلههم يهوه الذي أباح الزنا لبعض الأنبيـاء كما عاقب داوود على زناه بامرأة اوريا الحتي بأن يجعل ابنه أبشالوم يزني بنساء أبيه وفي وضح النهار وأمام بني إسرائيل .

ولو كانت هذه الموبقة وحدها لاستبشع الناس عقيدة اليهود فكيف وقد أضافوا إليها كل ما في الأرض من الموبقات والآثام .

ولا غرابة أن يستبشع الناس ديانـــة اليهود وينكروا عليهم البشرية

ويحاربوهم منذ القدم وحتى اليوم وبعده، فعقيدتهم الدينية وطبيعتهم وأخلاقهم تجبر الناس إجباراً وتدفعهم دفعاً شديداً الى محاربة هذا الشعب الكافر اللئيم الذي وقف عليه كل مـــا في الوجود من آثام وجرائم وشرور وموبقات، ومحاربة عقيدته التي تأمر بالمنكر وتنهى عن المعروف وتكفر بالله .

أنبياء بني إسرائيل ورسلهم

الأنبيـــاء والرسل يجب ان يكونوا أرقى البشر طرا في جميع الخلائق والصفات ، ومعصومين من الكبائر ، أما الكفر والشرك فلا يمكن أن يرضوا بها ، لأنها نقيض الرسالة والنبوة ، فلا تجتمع الرســالة مع الكفر ، والنبوة مع الشرك .

ولكن أنبياء بني إسرائيل ورسلهم ليسوا بأهــل لأن يكونوا كذلك اذا اعتمدنا توراتهم وأسفارهم المقدسة ، لأن في أعمالهم ما ينقض الرسالة والنبوة، وإن بعضهم بلغ من الانحطاط الخلقي ما لا يرضى به فاسدو الخلق ملوثو الضمير من البشر الا من انحدروا إلى البهيمية السافلة .

ونمسك بأبي الأنبيـــاء سيدنا إبراهيم وببعض الرسل الكرام عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام لنرى رأي اليهود في رسلهم ، بل لنرى ما تصفهم به أسفارهم المقدسة التي يؤمن بها اليهود والنصارى على السواء .

وسيظهر الفــارق الكبير بين الاسلام واليهودية والنصرانية عندما نذكر شواهد من القرآن الكريم ومن أسفار أهل الكتاب ابتداء من ابراهيم عليــه الصلاة والسلام .

تقول التوراة في « سفر التكوين » أول اسفارها الخمسة المقدسة المجمع على على قداستها من مختلف طوائف اليهود والنصارى ومن السامرة :

« وحدث جوع في الأرض ، فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك ، لأن

الجوع في الأرض كان شديداً ، وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته : إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر ، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون : هذه امرأته ، فيقتلونني ويستبقونك ، قولي : إنك أختي ، ليكون لي خير بسببك ، وتحيا نفسي من أجلك .

« فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسناء جداً ، ورآها رؤساء فرعون ، فأخذت المرأة إلى بيت فرعون ، فصنع إلى أبرام خيراً بسببها ، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال ، فضرب الرب فرعون وبنيه ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام .

فدعا فرعون أبرام وقال : ما هذا الذي صنعت بي ؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك ؟ لماذا قلت : هي اختي ؛ حتى أخذتُها لي لتكون زوجتي ؟ والآن، هوذا امرأتك ، خذها واذهب ، وأوصى فرعون رجالاً فشيعوه وامرأته وكل ما كان له »[1] .

هذه صورة ابراهيم كما تعرضها التوراة ، وهي تهمة قذرة ملصقة به ، فهو يعرض امرأته الجميلة الفاتنة ، ويجعلها وسيلة كسب وثراء ، ولا تقف عند هذه الحادثة الكريهة . بل تصوره التوراة مستمرئاً تجربته مع فرعون ، فيكررها مع « أبيمالك » ملك جرار ، ويخرج منها رابحاً ربحاً موفوراً ، ولا تهمه كرامة العرض ما دام المال يصله .

يقول سفر التكوين في الإصحاح العشرين :

« وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب وسكن بين قارش وشور ،

(١) سفر التكوين ١٢ : ١٠ — ٢٠ .

وتغرب في جرار ، وقال إبراهيم عن سارة امرأتـه : هي اختي ، فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة ، فجاء الله إلى أبيمالك في حلم الليل وقال له: ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها فإنها متزوجة ببعل ، ولكن لم يكن أبيمالك قد اقترب اليها ، فقال : يا سيد ، أأمة بارة تقتل ؟ ألم يقل هو لي : إنها اختي ؟ وهي أيضاً نفسها قالت : هو أخي ، بسلامـة قلبي ونقاوة يدي فعلت هذا .

« فقال له الله في الحلم : أنا أيضاً علمت أنك بسلامـة قلبك فعلت هذا ، وأنا أيضاً أمسكتك عن أن تخطىء إليّ ، لذلك لم ادعك تمسهـا ، فالآن ، رُدّ امرأة الرجل ، فإنه نبي ، فيصلي لأجلـــك فتحيا ، وإن كنت لست تردها فاعلم أنك موتاً تموت أنت وكل من لك .

« فبكر أبيمالك في الغد ودعا جميع عبيده وتكلم بكل هذا الكلام في مسامعهم ، فخاف الرجـال جداً ، ثم دعا أبيمالك إبراهيم وقال له : ماذا فعلت بنا ؟ وبماذا أخطأت اليك حتى جلبت عليّ وعلى مملكتي خطية عظيمة؟ أعمالاً لا تعمل عملت بي ! وقال أبيمالك لإبراهيم : ماذا رأيت حتى عملت هذا الشيء ؟

«فقال إبراهيم : إني قلت : ليس في هذا الموضع خوف الله البتة فيقتلونني لأجل امرأتي ، وبالحقيقة أيضاً هي أختي ابنة أبي ، غير انها ليست ابنـــة أمي ، فصارت لي زوجة ، وحدث لما أتاهني الله من بيت أبي قلت لها : هذا معروفك الذي تصنعين إليّ ، في كل مكان نأتي اليه قولي عني : هو أخي .

« وأخذ أبيمالك غنماً وبقراً وعبيداً وإماء وأعطاها لإبراهيم ، ورد اليه امرأته .

« وقال أبيمالك : هوذا أرضي قدامك ، اسكن فيما حسن في عينيك .

« وقال لسارة : إني قد أعطيت أخاك ألفاً من الفضة ، ها هو لك غطاء عين من جهة كل من عندك وعند كل واحد ، فأنصفتِ » .

هذه صورة من صور أبي الأنبياء ابراهيم ، تعرضها التوراة ، ويؤمن بها اليهود والنصارى إيماناً ، ويعتقدون أن ما نسب اليه واقع ، ويعرفون أن ما عمله منكر، وأشد الناس من هؤلاء المسيحيين المؤمنين بابراهيم لم يستطيعوا ان يغضوا البصر عن فعلته .

فالاستاذ وليم نكلسون يقول في موسوعته الموجزة في مادة أبرام ما ترجمته [1] :

« إن مسلك أبرام هنا هو احد المواقف التي نميل إلى إسدال الستار عليها في سيرة هذا الرجل الجليل ، لقد كان عملاً لا يوائم مقام تلك الشخصية العظيمة ، ولا جرم ففي وجه الشمس سفعات ، ومثل هذا دليل على صدق تاريخ الكتاب ، وان مؤرخيه لم يشعروا قط نقصاً في أحسن الناس » .

والاجماع من أهل الكتاب على استنكار الفعل دون الفاعل ، واتخذوا له ما يسوغه ، فمن علمائهم المتعصبين لدينهم والمؤمنين بابراهيم من ذهبوا إلى أن ابراهيم أسلم نفسه لربه ومشيئته ، لأنه مؤمن ان الله حافظه ولن يجري عليه ما يعيبه .

وإذا صح ما صدر من ابراهيم فهو ملوم ، ولا حق للانتقام من فرعون

---

(١) انظر كتاب « ابو الأنبياء » للعقاد ، ص ٦٧

وأبيمالك ، فهما لم يأتيا مع سارة امرأ نكيراً ، فقد أراد كل منهما ان يتخذها زوجاً حلالاً له حسب شريعته المتبعة، فقد علم انها خالية من موانع الزوجية، لأن ابراهيم ذكر انها اخته ، ولم يذكر انها متزوجة .

وأي قاض على وجه الأرض تعرض عليه قضية سارة ودفاع فرعون يجد الحق مع فرعون ، ودفاعه حق ، وعتابه لابراهيم يظهر موقفـــه السليم : « ما هذا الذي صنعت بي ؟ لماذا لم تخبرني انها امرأتك ؟ لمـــاذا قلت : هي اختي ، حتى أخذتها لي لتكون زوجتي » .

لم يغتصبها فرعون ، ولم يعتد على شرفها ، بل أرادها زوجاً .

وكذلك أبيمالك ، وكان موقفه أكثر نبلاً من فرعون ، ودفـاعه حق ، ويكفي أن الله أيده في قوله : « بسلامة قلبي ونقاوة يدي فعلت هـذا » إذ أجابه الله في الحلم : « أنا أيضاً علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا » ولومه لابراهيم حق .

ألم يلم أبيمالك إبراهيم بقوله: « ماذا فعلت بنا ؟ بماذا أخطأت إليك حتى جلبت علي وعلى مملكتي خطية عظيمة. أعمالاً لا تعمل عملت بي ! ماذا رأيت حتى عملت هذا الشيء » .

التبعة تقع على فرعون وأبيمالك اللذين أقدما على عمـل تقره شرائعهما ، لماذا ؟ لأن اليهود دائماً هكذا ، المعتدي ينجو بل يجد التكريم مع النجـاة ، والمعتدى عليه أو البريء هو الذي يؤاخذ ، بل يؤاخذ البريء دائماً الى الجيل الرابع والى الجيل العاشر .

لم يقع على إبراهيم أي لوم من الله الذي جعله نبيـــاً ، ولا عذر له في كل

شرائع الأخلاق .

لماذا يصحب معه زوجه الجميلة الرائعة إلى أرض مخوفة لا أمان فيها على العرض ؟.

أما كان بوسعه أن يدع زوجه مع أولاده في مأمن ويمضي هو وحده يلتمس أسباب الرزق كما صنع إخوة يوسف حينما بعثهم أبوهم يعقوب ؟.

لماذا يغامر إبراهيم بعرض امرأته وهو واثق كل الثقة أن المصريين ينتهكون الأعراض ؟.

ولماذا يعيد التجربة نفسها مع أبيمالك ملك جرار بعد فرعون ؟.

لا جواب إلا أنه استمرأ فعلته ، وإلا لضن بامرأته على ملك جرار ، ولكن إعادة التجربة نفسها تزيد في إظهار جشع إبراهيم وعدم مبالاته بالعرض ، بل تزيد التوراة البشاعة بشاعة عندما تشير الى اتفاق الزوجين على أن يكذبا ويزعما أنهما أخوان ، لينجو هو بروحه ، ويناله بسببها خير !.

إن الطبيعة اليهودية تكذب على ابراهيم ، فما كان — والله — كما وصفوا ، ولكن طبيعة اليهود تعكس سفالتها على أبي الأنبياء المعصوم المنزه عن مثل هذه القبائح ، بل عما هو أقل منها .

بل الذي يجذب النظر في أسفار اليهود أن يصفوا فيها رسلهم وأنبياءهم بجرائم العرض ، بالزنا ، بل بأفحش من الزنا العادي ، ألا وهو الزنا بالمحارم .

إنهم بهذا القذف المشين يسوغون ما يحدث منهم من جرائم العرض ، إذ لا لوم عليهم ما دام أنبياءهم الكبار يقترفون هذه الخطيئة الكبرى .

وإذا كانت اليهودية تتهم ابراهيم بما اتهمت، وتظهره في هذا المسلك الشائن زوراً وبهتاناً وكذبـاً فإن الإسلام يصور ابراهيم صلوات الله عليه وعلى نبينا على حقيقته ، فإذا هي صورة الرجل الشريف العظـــيم ، والانسان النبيل ، والرسول الكريم، وليس في كل صفاته ما يؤاخذ عليه، لأن الانسان لا يؤاخذ على الكمال .

إذا كان كتاب اليهود الذي يدين بـه النصارى أيضاً تكذب على ابراهيم فتذكر عنه ذلك المسلك الشائن فان كتاب المسلمين غـير ذلك ، وهذا أعظم دليل على أن كتاب المسلمين هو الحق ، لأن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لأن كلام الله الحق المبين .

يقول القرآن الكريم :

﴿ واذْكُرْ فِي الكِتَابِ إبْرَاهِيمَ إنَّهُ كانَ صَدِيقًا نَبِيّا ﴾ مريم : ٤١ .

و ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ الأنبياء : ٥١ .

و ﴿ نَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إلى الأَرْضِ الّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ* وَوَهَبْنَا لَهُ إسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ* وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَأَوْحَيْنَا إلَيْهِمْ فِعْلَ الخَيْرَاتِ وَإقَامَ الصَّلاةِ وَإيتَاءَ الزّكاةِ وَكَانُوا لَنَــا عَابِدِينَ ﴾ الأنبياء : ٧١ — ٧٣ .

و ﴿ وَإنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإبْرَاهِيمَ*إذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ الصافات : ٨٤ .

و ﴿ سَلَامٌ عَلَى إبْرَاهِيمَ * كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ الصافات ١٠٩ — ١١١ .

و ﴿ إنَّ إبْرَاهِيمَ كانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَــكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِراً

لِأَنعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ النحل : ١٢٠ — ١٢٢ .

و ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ * وَإِذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ البقرة : ١٢٤ — ١٢٥ .

و ﴿ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ ﴾ البقرة : ١٣٠ — ١٣١ .

و ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلٰكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً ﴾ آل عمران : ٦٧ .

و ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ النساء : ١٢٥ .

و ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ التوبة : ١١٤ .

و ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ هود : ٧٥ .

وغير ذلك من الآيات البينات التي تصف إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بما يليق به ، ويكفي أن الله جعله إماماً للناس ، وكل هذه المحامد والصفات الكريمة تنفي فرية سفر التكوين الذي نسجها كاتبه الساقط البذيء.

وإذا كان أبو الأنبياء بهذا السقوط الخلقي الذي يدعيه سفر التكوين فما يلام أحد من الناس على أي انحدار خلقي ، وحجته أن أكرم الناس ، المجعول خليفة ، الأسوة للبشر قد سقط وانحدر وسلك سلكاً شائناً ، فما

عليه لوم بعد !.

إن الإسلام ينزه إبراهيم كل التنزيه من هذه الفرية ، بل ينزهه مما هو أقل من ذلك ، فهو نبي معصوم ، ورسول كريم ، يمتاز بأكرم صفات الفضلاء من الناس، وهو أعلى نموذج في الخلائق الفاضلة والصفات الكريمة والمحامد العظيمة بعد محمد عليهما الصلاة والسلام .

والاسلام يرد فرية سفر التكوين ويحاربها ، فما كان إبراهيم إلا نموذجاً أعلى للصلاح والتقوى والكمال الانساني .

ولا يكفي ناسج فرية سفر التكوين اتهـام سيدنا إبراهيم بما قذفه به من المسلك الشائن حتى يردفها بفرية مماثـــلة يلصقها بسيدنا إسحاق بن إبراهيم ، فيقول سفر التكوين فيالاصحاح السابع والعشرين ما ننقل منه فقرات بنصها:

« وكان في الأرض جوع غـير الجوع الأول الذي كان في أيام إبراهيم ، فذهب إسحاق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين إلى جرار » .

و « أقام إسحاق في جرار ، وسأله أهل المكان عن امرأته ، فقال : هي أختي ، لأنه خاف أن يقول امرأتي ، لعل أهل المكان يقتلونني من أجل رفقة لأنها كانت حسنة المنظر ، وصرت إذا طالت الأيام هناك أن أبيمالك ملـك الفلسطينيين أشرف من الكوة ونظر وإذا إسحاق يلاعب رفقة امرأتـــه ، فدعا أبيمالك إسحاق وقال : إنما هي امرأتك ، فكيف قلت : هي أختي ؟ فقال له إسحاق : لأني قلت لعلي أموت بسببها، فقال أبيمالك : ما هذا الذي صنعت بنا؟ لولا قليل لاضطجع أحد الشعب مع امرأتك فجلبت علينا ذنباً ! فأوصى أبيمالك جميـع الشعب قائلاً : الذي يمس هذا الرجل أو امرأته موتاً يموت » .

التجربة نفسها باختلاف في الجزئيات ، وما كان هناك ضرورة للكذب ، فأبيمالك لا يجهل إسحاق ، لأن بينه وبين أبيه من الود والإعجاب ما يحمله على البر به وحمايته ، ولكن سفر التكوين ينسج الاكذوبة ليتسنى له تشويه سمعة ابراهيم وذريته .

ولا يكتفي بهذا ، بل نجد سفر التكوين يتتبع أولاد ابراهيم وأحفاده بالتهم البشعة ويصمهم بها ، ويظهرهم في مظهر يأنف منه أوساط الناس .

فإسحاق الذي أعاد تجربة أبيه ابراهيم تخدعه زوجه ، وتحول البركة التي كان اسحاق يريد أن يهبها لابنه عيسو الذي يحبه إلى ابنه يعقوب الذي تحبه امه ، بل تجعل الخدعة التي جازت على إسحاق جائزة على الله نفسه .

وها هوذا نص ما جاء في سفر التكوين بالاصحاح السابع والعشرين :

« لما شاخ إسحاق وكلت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له : يا ابني ، فقال له : هأنذا . فقال : إنني قد شخت ، ولست أعرف يوم وفاتي ، فالآن خذ عدتك : جعبتك وقوسك ، واخرج إلى البرية ، وتصيَّد لي صيداً ، واصنع لي أطعمة كما احب ، وأتني بها لآكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت .

« وكانت رفقة سامعة إذ تكلم إسحاق مع عيسو ابنه ، فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيداً ليأتي به .

« وأما رفقة فكلمت ابنها يعقوب قائلة : إني قد سمعت أباك يكلم أخاك عيسو قائلا : ائتني بصيد واصنع لي أطعمة لآكل وابارككك أمام الرب قبل وفاتي . فالآن يا ابني اسمع لقولي فيما أنا آمرك به ، إذهب إلى الغنم ، وخذ لي

من هناك جديين جيدين من المعزى ، فاصنعهما أطعمـــة لأبيك كما يحب ، فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته .

« فقال يعقوب لرفقة امه : هوذا عيسو أخي رجل أشعر وأنا رجـــل أملس ، ربما يجسني أبي فأكون في عينيه كمتهـاون ، وأجلب على نفسي لعنة لا بركة .

« فقالت له أمه : لعنتك علي يا ابني ، اسمع لقولي فقط ، واذهب خذ لي، فذهب وأخذ وأحضر لأمه ، فصنعت امه أطعمة كما كان أبوه يحب ، وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت ، وألبست يعقوب ابنها الأصغر ، وألبست يديـــه وملاسة عنقه جلود جديي المعزى ، وأعطت الأطعمة والخبز الذي صنعت في يد يعقوب ابنها .

« فدخل إلى أبيه وقال : يا أبي ، فقال : هأنذا ، من أنت يا ابني ؟ فقال يعقوب لأبيـه : أنا عيسو بكرك ، قد فعلت كما كلمتني ، قم ، اجلس ، وكل من صيدي لكي تباركني نفسك .

« فقال إسحاق لابنـه : ما هذا الذي أسرعت لتجد يا ابني ؟ فقال . إن الرب إلهك قد يسر لي ، فقال إسحـــاق ليعقوب : تقدم لأجسك يا ابني ، أأنت هو إبني عيسو أم لا ؟.

« فتقدم يعقوب إلى اسحاق أبيه ، فجسه وقال : الصوت صوت يعقوب، ولكن اليدين يدا عيسو ، ولم يعرفه ، لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه ، فباركـه ، وقال : هل أنت هو ابني عيسو ؟ فقال : أنا هو ، فقال : قدم لي لآكل من صيد ابني حتى تباركك نفسي ، فقدم له فأكل ، وأحضر له خمراً فشرب ، فقال له اسحاق أبوه : تقدم وقبلني يا ابني ، فتقدم ، وقبلـه

فشم رائحة ثيابه وباركه وقال : انظر ، رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب ، فليعطك الله من ندى السماء ، ومن دسم الأرض ، وكثرة حنطة وخمر ، ليُستَعبدْ لك شعوب ، وتسجد لك قبائل ، كن سيداً لإخوتك ، وليسجد لك بنو امك ، ليكن لاعنوك ملعونين ، ومباركوك مباركين .

« وحدث عندما فرغ إسحاق من بركة يعقوب ويعقوب قد خرج من لدن إسحاق أبيه أن عيسو أخاه أتى من صيده ، فصنع هو أيضاً أطعمة ودخل بها إلى أبيه وقال لأبيه : ليقم أبي ويأكل من صيد ابنه حتى تباركني نفسك ، فقال له إسحاق أبوه : من أنت ؟ فقال ، أنا ابنك بكرك عيسو .

« فارتعد إسحاق ارتعاداً عظيماً جداً ، وقال : فمن هو الذي اصطاد صيداً وأتى به إليّ فأكلت من الكل قبل أن تجيء وباركته ، نعم ، ويكون مباركاً .

« فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جداً ، وقال لأبيه : باركني أنا أيضاً يا أبي ، فقال : قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك ، فقال : ألا إن اسمه دُعِيَ يعقوب ، فقد تعقبني الآن مرتين : أخذ بكوريتي ؛ وهوذا الآن قد أخذ بركتي ثم قال : أما أبقيت لي بركة ؟!.

« فأجاب إسحاق وقال لعيسو : إني قد جعلته سيداً لك ، ودفعت اليه جميع إخوته عبيداً ، وعضدته بحنطة وخمر ، فماذا أصنع اليك يا ابني ؟ فقال عيسو لأبيه : ألك بركة واحدة فقط يا أبي ، باركني أنا أيضاً يا أبي ، ورفع عيسو صوته وبكى .

« فأجاب اسحاق إبنه وقال له : هوذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك ، وبلا ندى السماء من فوق ، وبسيفك تعيش ، ولأخيك تستعبد ، ولكن يكون

حينما تجمح تكسر نيره عن عنقك .

« فحقد عيسو على يعقوب من أجل البركة التي باركه بها أبوه ، وقال عيسو في قلبه : قربت أيام مناحة أبي ، وأقتل يعقوب أخي .

فأخبرت رفقة بكلام عيسو ابنها الأكبر ، فأرسلت ودعت يعقوب ابنها الأصغر ، وقالت له : هوذا عيسو أخوك مُتَسَلٍّ من جهتـك بأنه يقتلك ، فالآن يا ابني ، اسمع لقولي ، وقم اهرب إلى أخي لابان إلى حـاران ، وأقم عنده أياماً قليلة حتى يرتد سخط أخيك ، حتى يرتد غضب أخيـــك عنك ، وينسى ما صنعت به ، ثم أرسلُ فآخذك من هناك» .

ويمضي سفر التكوين في إصحاحاته الأخرى سارداً قصـــة يعقوب الذي يمضي إلى حاران ، وينزل لدى خاله لابان ، ويتفق معه على خدمة سبع سنين على أن يعطيه ابنته الصغرى الجميلة راحيـل ، وانتهت المدة ، واقيم حفـل الزفاف ، ودخل يعقوب على زوجه ، وفي الصباح اكتشف أنها ليست راحيل ، وإنما هي ليئـة ابنته الكبرى ، فعـــاتب يعقوب خاله ، وهذا نص سفر التكوين[١] : «لماذا خدعتني ؟ فقال لابان : لا يفعل هكذا في مكاننا أن نعطي الصغيرة قبل البكر » .

واتفق يعقوب مع خاله أن يعطيه راحيل بعد اسبوع على أن يخدم لديه سبع سنين اخرى ، وأخذ راحيل ، ولكن ليئة هي التي ولدت له ، ولم تلد له راحيل إلا بآخرة :

وقصة إسحاق مع ابنيه كما تذكرها التوراة غريبـــة من الغرائب ، هذه

(١) الاصحاح ٢٩ : ٢٦ .

التوراة التي يعتقد اليهود والنصارى أنها وحي من الله .

وفي القصة مجال لأسئلة كثيرة ليست هي وأجوبتها في صالح اليهود والنصارى وكتابهم المقدس بعهديه القديم والجديد .

اولاً – إن يعقوب – وهو نبي – خدع أباه وخانه ، بل خدع إلهه وانتزع البركة والنبوة انتزاعاً من أبيه بدون رضا منه .

وهنا يبدو سؤال لا بد منه : أترى يعقوب النبي يكون أميناً على الوحي إذا لم يكن على هواه بعد خيانته أباه وخداعه ربه ؟.

ثانياً – إن هذه الجريمة التي تقوم على خيانة الأب وخداع الرب تجعل يعقوب غير أهل للاضطلاع بعبء النبوة والرسالة ، لأن من لا يؤمن في أمور الوحي والرسالة والنبوة لا يمكن أن يكون أهلاً للنبوة .

إن مجرد الخيانة والكذب والخديعة لا يسمح لمن يتصف بها أن يكون نبياً ، فإذا كان الكذب والخداع والخيانة متصلة بالنبوة نفسها فإن من يتصف بها لن يكون أهلاً للنبوة بتة ، ومع فقدان الأهلية يكون مستوجباً لنقمة الله وغضبه ، وموضع سخطه ولعنه .

ثالثاً – أيملك المخلوق – ولو كان رسولاً نبياً – أن يهب النبوة والرسالة أحداً من الناس ؟ إن النبوة والرسالة لا يملكها غير الله الخالق وحده ، لا يملكها إسحاق ولا أعظم من اسحاق .

رابعاً – يمكن للرسول أن يدعو الله بأن يجعل رسالته في أحد من خلقه كما صنع سيدنا ابراهيم عليه وعلى نبينا صلوات الله وسلامه إذ دعى الله فاستجاب له : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ

الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ . البقرة ١٣٩.

وقياساً على هذا نفرض أن سيدنا اسحاق خص ابنه عيسو بحبه ورضاه ، وأراد له الخير ، وعزم أن يدعو الله أن يهب النبوة له ، فيتنكر يعقوب في زي عيسو ويأتيه ، فيدعو الله أن يهب له النبوة وهو يدعو من ضميره لعيسو لا ليعقوب .

وإذا جازت خديعة رفقة وابنها يعقوب على اسحاق لشيخوختـه وكلال بصره فلم يميز بين عيسو الذي يريد أن يخصه بدعوته وبين يعقوب الذي تظاهر بين يديه بأنه عيسو أفتجوز الحيلة والخديعة والمكر على الله ؟.

إن إسحاق شعر أن وراء الأمر ما وراءه ، وساوره شبحـــاً من الشك فسأله : « هل أنت هو ابني عيسو » فأجابه يعقوب : « أنا هو » فكان الدعاء لعيسو لا ليعقوب ، ولكن إله اسحاق يتبعه في الاختداع فتنصرف النبوة من عيسو إلى يعقوب .

وكيف يرضى اسحاق بمكر يعقوب ؟ وإذا رضي اسحـاق أو تغاضى عن مكر يعقوب أفيكون الله في يد الخادعين الكاذبين ، يجعل رضاه تبعاً لرضا الكاذبين والمخدوعين ؟.

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ومعاذ الله أن يختـار لأشرف رسالة من يطلبها كذباً وميناً وخيانة وخدعاً . وتعالى الله علواً كبيراً أن تجوز عليـه حيل المبطلين الفاسقين وهو العليم بخائنة الأنفس وما تخفي الصدور ، فضلاً عن ظواهر الأعمال والأقوال .

وإن يعقوب عليه السلام معصوم ومنزه عن مثـــل هذه الأعمال الكافرة

الباطلة ، ولن يكون كما وصفته التوراة من القبائح والمنكرات لأنه نبي صادق ورسول حق .

والاسلام يبرىء يعقوب واسحاق من كل ما قذفا به ، وهذا القرآن الكريم يصفهما بقوله :

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيّاً * وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً ﴾ مريم : ٤٩ — ٥٠ .

و ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ ﴾ ص : ٤٥ — ٤٧ .

و ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ الأنبياء ٧٢ — ٧٣ .

وبيئة الرسل والأنبياء بيئة غش وكذب وفجور وسرقة ، فخال يعقوب غشاش ، وعده براحيل ثم أدخل عليه ليئة ، وابنة يعقوب تزني ، وراحيل تسرق أصنام أبيها .

وها هو سفر التكوين يقول :

« وخرجت دينة ابنة ليئة التي ولدتها من يعقوب لتنظر بنات الأرض ، فرآها شكيم بن حمور الحِوّي رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلها » ٣٤ : ١ — ٢ .

و « فسرقت راحيل أصنام أبيهـــا ، وخدع يعقوب قلب لابان » ٣١ : ١٩ — ٢٠ .

نعم ، بيئة الرسل والأنبياء بيئة غش وسرقـة وكذب وخداع وفجور وزنا وكفر ، فهذا إبراهيم يسلك مسلكاً شائناً ، إسحـاق يصنع صنيعه ، ويعقوب يخدع ويكذب ويخون ، وابنـة يعقوب تزني ، وداود يزني ، وابن داود يزني باخته ، وابن له آخر يزني بنساء أبيه ، وسليمان يشرك ، والأنبياء يكذبون ، بل ابنتا لوط تزنيان ، ومع من ؟ مع أبيهما النبي ؟.

وها نحن أولاء نعود إلى سفر التكوين أحد أسفار التوراة الخمسة ، ففيه المناكر التي نكتفي بذكر بعضها .

فسيدنا لوط عليه الصلاة والسلام مقذوف من التوراة بقذيفة ماحقـــة ، تمحقه هو وأسرته ، ولا ترحمه ، ولا تكتفي بنكبته في امرأته وقومـه حتى تنكبه في نفسه ، وفي ابنتيه ، فتزعم التوراة أنه زنا بابنتيـه ، وهذه رواية سفر التكوين بالاصحاح التاسع عشر :

« وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتـاه معه ، لأنه خاف أن يسكن في صوغر ، فسكن في المغارة هو وابنتاه ، وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض ، هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه ، فنحيي من أبينا نسلاً ، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ، ولم يعلم باضطجاعهـا ولا بقيامها ، وحدث في الغد ان البكر قالت للصغـــيرة : إنني قد اضطجعت البارحة مع أبي ، نسقيه الليلة أيضاً ، فادخلي أنت واضطجعي معه ، فنحيي من أبينا نسلاً ، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليـــلة أيضاً ، وقامت الصغيرة

واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، فحملت ابنتا لوط من أبيهما ، فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب ، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم ، والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بَنْ عَمّي ، وهو أبو بني عمون إلى اليوم » .

هذه الجريمة البشعة من الجرائم المنكرة التي لا تقع في تاريخ الانسان إلا في حالة الشذوذ النادر ، وإذا كانت بنات الأنبياء المؤمنات يزنين هذا الضرب الفاحش المقيت من الزنا الشاذ العفن فإن وقوع غيرهن في الخطيئة العادية أمر لا غبار عليه ، لأن لهن اسوة ببنات الأنبياء اللاتي هن قدوة النساء .

وإذا أخطأت امرأة من بنات الشعب فعذرها قائم ، ولا عقوبة عليها ، لأن بنتي لوط لم تعاقبا من الله ولا من الناس ، بل أكرمهما الله بذرية كان منها أنبياء ، بل وصل التكريم إلى حد أن يكون من سلالتهما من أصبح إلهاً ، وهذا الإكرام مناقض نفسه ، لأن الله – كما يزعمون – حرم وجود آلهة من الموآبيين والعمونيين ، فكيف يجتمع هذان النقيضان في وقت واحد ؟.

وما في الدنيا اجتراء على الحق والفضيلة مثل اجتراء بنتي لوط ، فقد رأتا ما حل بقومهما بسبب جريمة خلقية منتشرة في سدوم بلدهما ، فقد أباد الله سدوم وأهلها ، ومع كل هذا يقترفان أبشع جرم وأقذره ، إذ يزنيان مع أبيهما .

أي شيطان أو شيطانة في الدنيا ترى انتقام الله الشديد ثم ترتكب ما هو أبشع مما جلب انتقام الله ، ولكن ابنتي لوط تريان عذاب الله يحل بأمهما وقومهما ووطنهما ثم ترتكبان شراً من جريمة أهل سدوم ، ومع مَن ؟ مع نبي بار كريم ، وأب بر رحيم !.

ومع جريمة ابنتي لوط التي ندر وقوعها في العالم نجـد الله باراً ببني موآب وبني عمون ، ونجـــد هؤلاء قريبين من الله الذي أمر موسى كما يذكر سفر التثنية ٢ : ٩ و١٩ بقوله :

« لا تعـــاد موآب ، ولا تثر عليهم حرباً ، لأني لا أعطيك من أرضهم ميراثاً ، لأني لبني لوط قد أعطيت عادَ ميراثاً » .

و « أنت اليوم مار بتخم موآب بعادَ ، فمتى قربت الى اتجـاه بني عمون لا تعادهم ، ولا تهجموا عليهم ، لأني لا أعطيـك من أرض بني عمون ميراثاً ، لأني لبني لوط قد أعطيتها ميراثاً » .

وهـذا الأمر الإلهي الصادر إلى موسى عجيب يثير الدهشة ، فبنو موآب وبنو عمون أي بنو لوط لا يصابون بأي أذى ، بـل لا يصاب موآب وعمون (بَنْ عمّي) بأي سوء ، مع أنهما ولدا زنا من محرم في أعلى طبقة وأجـــلّ مرتبة بين المحارم طراً ، في حين أن التوراة تروي عن زنا داود بامرأة المجاهد المخلص العظيم الصالح البار أوريا الحثي أن الله عـاقب داود بموت ولده من الزنا كما يذكر سفر صموئيل الثاني ١٢ : ١٣ — ١٥ .

أيرى الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى زنا المحارم لا غبار عليـه ، وزنا الأباعد قاصماً ؟.

هذا ما يراه الكتاب المقدس ، لأنه لم يعـاقب ابني بنتي لوط من أبيهما ، وعاقب ولد داود من زوج أوريا الحثي التي زنا بها .

وإذا تركنا هذا وجدنا بشاعات تتناسل من البشاعـة الأولى ، بشاعة زنا لوط بابنتيه ، فموآب وعمون المولودين من بنتي لوط من أبيهما بالزنا ينسلان

ذرية نبوية ، منها رسل من أكرم رسل الله وأنبيائه ، ففي عمود نسب المسيح نجد « عوبيد » جد داود مولوداً من « راعوث » الموآبية ، ونجد رحبعام بن سليمان مولوداً من « نعمة » العمونية ، ووالدا سليمان من الخاطئين ، لأن داود أباه زنا بأمه المسماة « بَتْشَبَعْ » ، وكلهم في عمود نسب المسيح كما يروي انجيل متى في أول إصحاحه الأول .

وراعوث جدة داود وسليمان وعيسى ، وداود ابن الله البكر ، وسليمان ابن الله ، وعيسى ابن الله الوحيد ، بل الله الابن على زعمهم ، وإن « نعمة » العمونية من أولاد عمون، والدة رحبعام بن سليمان الذي هو من أجداد عيسى.

وإن هذا الشرف العظيم الأسمى الذي كان من نصيب موآب وعمون ابني الزنا – أقذر زنا وأبشعه على الإطلاق في وجه الأرض – شرف دونه كل شرف في العالم ، فبعض بنات موآب صارت جدة أبناء الله وبخاصة الله الذي هو يسوع، وبعض بنات عمون جدة ابن الله الوحيد ، بل جدة « الله » الابن.

فعيسى – عليه صلوات الله وسلامه – منسوب – على روايات الكتاب المقدس – بوساطة هاتين الجدتين إلى موآب وعمون معاً – وعلى هذه النسبة يكون موآبياً عمونياً ، وإذا كان موآبياً وعمونياً فقد حقت عليه لعنة الله على زعم توراتهم التي بين أيديهم ، لأنها تقول في سفر التثنية بالإصحاح الثالث والعشرين في فاتحته ما نصه :

« لا يدخل مخصيٌّ أو مجبوب في جماعة الرب ، لا يدخل ابن زنا في جماعة الرب ، حتى الجيل العاشر لا يدخل منه احد في جماعة الرب ، لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب ، حتى الجيل العاشر لا يدخل أحد منهم في جماعة الرب إلى الأبد » .

وإذا ذهب المسيحيون إلى أن النسب يجب أن يكون بالآباء لا الامهـات رغبة في أن ينفوا الموآبية والعمونية عن المسيـح فإن هذا النفي يدينهم ، إذ ينفي عن المسيح أن يكون داودياً سليمانياً ، وعلى ذلك لا يكون المسيـــح الموعود مسيحياً .

وفي أي النهجين سلك ينتهي إلى موآب وعمون ، لأن سليـــمان وداود ينتهيان إلى راعوث جدتهما دون جدال ولا خلاف .

ولكن ، ما رأي المسلمين فيما اتهمت التوراة به لوطاً وبنتيه ؟.

إن الله يقول في محكم كتابه :

﴿ وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ القَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ تَعْمَلُ الخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَـــا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ الأنبياء : ٧٤ — ٧٥ .

و ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَأَلِيسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى العَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ الأنعـام : ٨٦ — ٨٧ .

و ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْـلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلاّ عَجُوزاً فِي الغَابِرِينَ ﴾ الصافات ١٣٣ — ١٣٥ .

والرسول في الإسلام معصوم منزه عن كل ما يعيب ويشين خلقه وخلائق، وأما ابنتاه اللتان نجتا معه فلإيمانهما كانت نجاتهما ، ومحال منهما ما نسب اليهما، ومحال أن ترتكبا الفاحشة مع أبيهما رسول الله الأمين، وكل الرسل معصومون منزهون ، ومن المستحيل أن يرتكب رسول الزنا .

هذا رأي الاسلام ، بل هذا هو عقيدة الإسلام ، وهذا هو الفارق بين الاسلام وسائر الأديان ، رسل الله يمتازون بالنظافة والطهر والنبل ، إذ هم في أعلى مراتب العصمة وتمام الخلق .

والعقل نفسه يرد قذيفة الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى ، فلوط كان قادراً جنسياً كما تثبت رواية التوراة ، بدليل أنه سكر سكراً لم يدر معه ما يصدر فيه من الإثم والقبح والمنكر ، فاذا كان قادراً جنسياً مع فقد الوعي فهو قادر أكثر على المباشرة الجنسية مع الوعي وحوله النساء لا عدد يحصيهن .

وإذا كانت بنتاه حريصتين على أبناء يرثون حياته ، فكان في وسعهما نصح أبيهما ؟.

وإذا كانتا أرادتا منه نسلاً فما أدراهما أنهما يحملان بنسل ذكر ؟ وإذا كان لمجرد الشهوة فلم يكونا بمعزل عن الناس في المغارة التي سكنوها ، لأن من غير الجائز عقلاً ألا يأتيهم أحد بما يحتاجون اليه من الطعام ، أو تنزل إحداهما أو كلتاهما إلى السوق تمتاران .

والعقل يرد هذه الضربة رداً عنيفاً ، ولا يقبلها .

وآل يعقوب تصورهم التوراة صورة بشعة قذرة ، فقد مر أن ابنة يعقوب المسماة دينة من زوجته ليئة بنت لابان خاله زنت مع شكيم بن حمور الحوي.

وابن يعقوب المسمى رأوبين من زوجته ليئة ، وهو أكبر أبنائه زنى بسرية أبيه المسماة بِلْهَة ، وهذه رواية سفر التكوين ٣٥ : ٢١ — ٢٢ :

« ثم رحل إسرائيل ونصب خيمته وراء مجدل عدد ، وحدث إذ كان

إسرائيل ساكناً في تلك الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه ، وسمع إسرائيل » .

ويهوذا بن يعقوب الذي سماه الله اسرائيل زان أثيم ، يهوذا – هذا – يزني بزوجة ابنه ، واسم هذه الزوجة « ثامار » وها هي ذي قصة الزانيين كما يرويها سفر التكوين بالاصحاح الثامن والثلاثين :

« أُخْبِرَتْ ثامار ، وقيل لهـــا : هو ذا حموك صاعد إلى تِمْنَة ليجز غنمه ، فخلعت عنها ثياب ترملهـا ، وتغطت ببرقع ، وتلففت ، وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمنة ... فنظرها يهوذا وحسبها زانية ، لأنها قد غطت وجهها ، فمال إليها على الطريق ، وقال : هاتي أدخل عليك ، لأنه لم يعلم أنها كنته ، فقالت : ماذا تعطيني لكي تدخل علي ؟! فقال : إني أرسل جدي معزى من الغنم ، فقالت : هـــل تعطيني رهناً حتى ترسله ؟ فقال : ما الرهن الذي أعطيك ؟ فقالت : خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك ، فأعطاها ودخل عليها ، فحبلت منه ، ثم قامت ومضت ، وخلعت عنهـــا برقعها ، ولبست ثياب ترملها .

« فأرسل يهوذا جدي المعزى بيد صاحبه العدُلاّمي ليأخذ الرهن من يد المرأة ، فلم يجدها ، فسأل أهل مكانها قائلاً : أين الزانية التي كانت في عينايم على الطريق ؟ فقالوا: لم تكن ههنا زانية، فرجع إلى يهوذا وقال : لم أجدها، وأهل المكان أيضاً قالوا : لم تكن ههنا زانية . فقال يهوذا : لتأخذ لنفسهـا لئلا نصير إهانة ، إني قد أرسلت هذا الجدي وأنت لم تجدها .

« ولما كان ثلاثة أشهر أخبر يهوذا ، وقيل له : قـد زنت ثامار كنتك ،

وها هي حبلى من الزنا ! فقال يهوذا : أخرجوها لتحرق !.

« أما هي فلما أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة : مِنَ الرجل الذي هـذه له أنا حبلى ، وقالت : حقق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه !؟.

« فتحققها يهوذا وقال : هي أبر مني ، لأني لم أعطها لشيلة ابني ، فلم يعد يعرفها أيضاً .

« وفي وقت ولادتها إذا في بطنها توأمان ، وكان في ولادتهـا أن أحدهما أخرج يداً فأخذت القابلة وربطت على يده قرمزاً قائلة : هذا خرج أولاً .

ولكن ، حين رد يده إذا أخوه قد خرج ، فقالت : لمـاذا اقتحمت ؟ عليك اقتحام ، فدُعيَ اسمه فارص، وبعد ذلك خرج الذي على يده القرمز، فدُعيَ اسمه زارَح » .

ولم يعمل يعقوب شيئاً ، لا لرأوبـين الذي زنا ببلهة، ولا ليهوذا الذي زنا بثامار ، بل أطرى يهوذا عند موته .

ويهوذا الزاني يطري ثامار الزانية ويقول : إنها أبر مني ، كأنه هو نفسه بار حتى تكون أبر منه ، والعجيب أن يكون الزناة بررة !.

وقـــد سبق أن أشرنا إلى أن في عمود نسب المسيح وداوود وسليمان من يسمى عوبيد ، وعوبيد هذا ابن « راعوث » المؤآبية ، وموآب ابن بنت لوط من أبيهـا بالزنا ، وفي عمود نسب المسيح فارص بن يهوذا ، وفارص ابن زنا ، وفارص من أجداد سليمان وداود .

وشمشون الجبـار نبي ورسول ، ووالداه نبيان أيضاً ، وهو زان أثيم على رواية الكتاب المقدس في سفر القضاة الذي يقول :

« وكان رجل من صُرْعَةَ من عشيرة الدانيين اسمه منوح ، وامرأته عاقر لم تلد ، فتراءى ملاك الرب للمرأة وقال لها : ها أنت عاقر لم تلدي، ولكنك تحبلين وتلدين إبناً » .

و « ان الصبي يكون نذيراً لله من البطن ، وهو يبدأ يخلص إسرائيل من يد الفلسطينيين » .

و « صلى منوح الى الرب وقال : أسألــك يا سيدي أن يأتي أيضاً إلينا رجل الله الذي أرسلته، ويعلمنا ماذا نعمل للصبي الذى يولد، فسمع الله لصوت منوح فجاء ملاك الله أيضاً الى المرأة وهي جالسة في الحقل ومنوح رجلهـا ليس معها ، فأسرعت المرأة وركضت وأخبرت رجلها وقالت له : هو ذا قد تراءى لي الرجل الذي جاء إليّ ذلـك اليوم ، فقام منوح وسار وراء امرأته وجاء إلى الرجل وقال له : أأنت الرجل الذي تكلم مع المرأة ؟ فقال : أنا هو ، فقال منوح : عند مجيء كلامك ماذا يكون حـــكم الصبي ومعاملته ؟ فقال ملاك الرب لمنوح : من كل ما قلت للمرأة فلتحتفظ ، إلخ » .

و « ملاك الرب في لهيب المذبح ومنوح وامرأته ينظران ، حينئذ عرف منوح أنه ملاك الرب » .

و « ولدت المرأة ابناً ودعت اسمه شمشون، فكبر الصبي ، وباركه الرب، وابتدأ روح الرب يحركه »[1] .

و « ذهب شمشون إلى غزة ورأى هناك امرأة زانية فدخل اليهـــا ... فاضطجع شمشون إلى نصف الليل » .

---

(١) هذه الفقرات من الاصحاح الثالث عشر من سفر القضاة .

و « وكان بعد ذلك أن أحب امرأة في وادي سودق اسمها دليلة »[١] .

وأسلمته دليلة إلى أعدائه ، فقلعوا عينيه وصار يطحن في السجن .
فشمشون رسول ، ومع هذا يزني .

وموسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام لم يسلم من طعنات الكتاب المقدس ، مع أنه موصوف منه بأنه أعظم أنبياء بني إسرائيل ، فسفر التثنية – أحد أسفار التوراة – يقول في وصفه (الاصحاح ٣٤ الفقرة ١٠) : « ولم يقم بعدُ نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه » .

موسى عليه الصلاة والسلام لم يسلم من اليهود فقد طعنوه في إيمانه ، وجعلوه خائناً ، وها هوذا سفر التثنية – أحد أسفار التوراة – في الاصحاح الثاني والثلاثين ما نصه :

« وكلم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلاً : اصعد إلى جبل عباريم .. ومُتْ في الجبل الذي تصعد اليه وانضم إلى قومك كما مات أخوك هارون في جبل هور وضُمَّ إلى قومه ، لأنكما خنتماني في وسط بني إسرائيل ... إذ لم تقدساني في وسط بني اسرائيل » .

بل إن موسى طلب من ربه ألا يكلفه بالرسالة ، ففي سفر الخروج ٤ : ١٣ – ١٤ قال : « استمع أيها السيد ، أرسل بيد من تريد ، فحمي غضب الرب على موسى » .

وفي سفر العدد بالاصحاح العشرين بالفقرة ١٢ :

« قال الرب لموسى وهارون : من أجل أنكما لم تؤمنا بي حق تقدساني

---

(١) سفر الخروج ، الاصحاح الثاني .

أمام أعين بني اسرائيل الخ » .

وسبق أن ذكرنا ما ذكرته التوراة من أن هارون صنع لبني اسرائيـل العجل الذهبي الذى عبدوه من دون الله حين ذهب موسى لميقات ربه .

فموسى وهارون خائنـان ، لا يقدسان ربهما ، وما ثم جريمة في العقيدة الدينية أكبر ولا أفظع من خيانة الرسول لله الذي أرسله ، وعدم تقديس ربه ، بل ان التوراة تتهم هارون نبي الله ورسوله بأنه ارتد عن دينه الحق ، وأحيا الوثنية ، وصنع صنماً ، وأحل عبادة غير الله ، وهذا كفر صريح .

هذا ما يقوله اليهود في كتابهم المقدس ويوافقهم عليـه النصارى ، وكلهم يؤمنون به حق الايمان ، مع أن كل هذه التهم باطلة كاذبة .

أما ما يقول الاسلام في موسى وهارون فنقيض ما تقول اليهـــودية والنصرانية ، وها هوذا القرآن الكريم يقول في سورة طه :

﴿ قَـالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُـلْ عُقْدَةً مِّنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْـهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ .

و ﴿ كَذٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْـلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هٰذَا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَى فَنَسِيَ * أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً*وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ .

فلا شيء مما اتهم كتاب اليهود والنصـــارى موسى وهارون ، بل هو

الكذب الصراح ، فموسى لم يطلب إلى ربه أن يعفيـــه من الرسالة ، ولم يخن موسى وهارون ربهما ، وليس حقاً أنهما لم يقدسا الله ، وإن هارون لم يرتد ، بل ثبت على إيمانه ، وثبت على دعوته وقام في وجه بني اسرائيـل ، وجبههم بعد النصح والعظة ، وذكرهم بالله تذكيراً ، وأعلن التوحيد الصحيح ، وهاجم الوثنية ، وحاربها .

وداود عليه السلام الذي يقدسه اليهود قـد مرغوا سمعته في الوحل ، واتهموه بأنه ارتكب جريمـــة الزنا ، وقذفوا داود وبنيه ووصفوهم بأحط الصفات وأقذرها .

ولو حدث ما نسب الى داود وبنيه من عامـة الناس لاستبشع الناس ، فكيف وما يحدث يقع ممن يحملون الرسالة ومن أولادهم ؟.

يزعم الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى أن داود كان على سطـــح قصره فرأى امرأة جميلة رائعة الحسن تغتسل ، وكانت زوجاً لأحد المؤمنين الصالحين المخلصين المجاهدين في سبيل الله حق الجهاد، فسأل عنها ، فأخبروه ، فبعث إليها ، وأحضرها إلى قصره وكانت قد طهرت من حيضها ، فزنا بهـا داود ، وحملت منه سفاحاً ، ولما ظهر حملها خافت الفضيحة ، فأعلمت داود ليتلافاها .

ولم تعي داود الحيلة، فبعث إلى زوجها المجاهد الذي كان يجاهد في الميدان، وأحضره ، وبعد سؤال وجواب ، صرفه ليمضي الى زوجه ويبيت لديهـا ، ويحضر اليه في الصباح ، ولكن الزوج المجاهد لم يمض ، بل قضى ليلة مع خدم داود ، فلما علم داود بما صنع الزوج المجاهد احتال حيلة أخرى ، فقد دعـاه الى طعام ، وأسكره حتى المساء ، ثم صرفه رجاء أن يمضي الى منزله ويبيت

مع زوجه ، حتى ينسب إليه الحمل وتستر الفضيحة .

ولكن الزوج المجاهد أصر على موقفه ، ولم يمض الى زوجه ، لأنه أبى أن يستمتع ويلذ والمجاهدون مشغولون بالقتال في سبيل الله .

ولم يعدم داود الحيلة فبعث رسالة الى قائد قواته المحاربة ، وأمره فيهـا أن يجعل الزوج المجاهد — واسمه أوريا الحثي في وجه الحرب ، حتى إذا تقدم رجع عنه الجيش ليضرب ويموت ، وحدث ما أمر به داود ، فقد قتل أوريا شهيداً ، وخلا له الجو ، واستولى على امرأته ، وضمها إلى نسائه ، وولدت له من ذلك السفاح ولداً أحبه حباً عظيماً ، ولكن الله انتقم من داود بموت ثمرة زناه، وأوعده بأنه يجعل أحد أبنائه يزني بنسائه على مرأى من بني اسرائيل، ونفذ الله وعيده ، فزنا إبشالوم بن داود بنساء أبيه واحدة واحدة أمـــام عيون الشعب .

هذا ما يضفيه الكتاب المقدس على داود وأهـله ، وليكون القارىء على مزيد من العلم بما في الكتاب المقدس أفصل منـــه بأسلوبه ونصه حادثة داود وأسرته .

في سفر صموئيل الثاني أحد الأسفار المقدسة بكتابهم المقدس في الاصحاح الحادي عشر :

« كان في وقت المساء أن داود قـام عن سريره ، وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من علا السطح امرأة تستحم ، كانت المرأة جميلة المنظر جـداً ، فأرسل داود ، وسأل عن المرأة ، فقال واحد : أليست هذه بَتْشَبَعْ بنت أليعام امرأة أوريا الحثي ؟.

« وأرسل داود رسلا وأخذهـا ، فدخلت إليه ، فاضطجع معها وهي

مطهرة من طمثها ، ثم رجعت الى بيتها .

« وحبلت المرأة ، فأرسلت ، وأخبرت داود ، وقالت : إني حبلى ! .

« فأرسل داود الى يوآب يقول : أرسل إليّ أوريا الحثى ، فأرسل يوآب أوريا الى داود ، فأتى أوريا إليه ، فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ، ونجاح الحرب .

« وقال داود لأوريا : إنزل الى بيتك ، واغسل رجليك .

« فخرج أوريا من بيت الملك ، وخرجت وراءه حصة من عند الملك ، ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ، ولم ينزل الى بيته ، فأخبروا داود قائلين : لم ينزل أوريا الى بيته ، فقال داود لأوريا : أما جئت من السفر ؟ فلماذا لم تنزل الى بيتك ؟.

فقال أوريا لداود : إن التابوب وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام ، وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا آتي الى بيتي لآكل وأشرب ، وأضطجع مع امرأتي! وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر.

« فقال داود لأوريا : أقم هنا اليوم أيضاً ، وغداً أطلقك .

« فأقام اوريا في اورشليم ذلك اليوم وغده ، ودعاه داود ، فأكل أمامه وشرب ، وأسكره ، وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده، وإلى بيته لم ينزل !.

« وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يوآب ، وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا اوريا في وجه الحرب الشديدة ، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت .

« وكان في محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه ، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب ، وسقط بعض الشعب من عبيد داود ، ومات أوريا الحثي أيضاً .

« فأرسل يوآب ، وأخبر داود بجميع أمور الحرب ، وأوصى الرسول قائلاً : عندما تفرغ من الكلام مع الملك عن جميع أمور الحرب ، فإن اشتعل غضب الملك وقال لك : لماذا دنوتم من المدينة للقتال ؟ أما علمتم أنهم يرمون من علا السور ؟ من قتل أبيمالك بن يَرُبُّوشَتْ ؟ ألم ترمه امرأة بقطعة رحى من علا السور فمات في تاباص ؟ لماذا دنوتم من السور ؟ فقل : قد مات عبدك أوريا الحثي أيضاً !.

« فذهب الرسول ودخل وأخبر داود بكل ما أرسله فيه يوآب ، وقال الرسول لداود : قد تجبر علينا القوم ، وخرجوا إلينا الى الحقل، فكنا عليهم الى مدخل الباب ، فرمى الرماة عبيدك من علا السور فمات البعض من عبيد الملك ، ومات عبدك أوريا الحثي أيضاً !.

« فقال داود للرسول : هكذا تقول ليوآب ، لا يسؤ في عينيك هذا الأمر، لأن السيف يأكل هذا وذاك، شدد قتالك على المدينة وأخربها وشدده.

فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها ، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها الى بيته ، وصارت له امرأة ، وولدت له ابناً ، وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عين الرب » .

وتكملة هذه القصة بالاصحاح الثاني عشر من سفر صموئيل الثاني، وها نحن أولاء ننقل منه الحوار الذي جرى بين ناثان النبي وداود :

« قال ناثان لداود : أنت هو الرجل ؟ هكذا قال الرب إله إسرائيل : أنا مسحتك ملكاً على إسرائيل ، وأنقذتك من يد شاول ، وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك في حضنك ، وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا ، وإن كان ذلك قليلا كنت أزيد لك كذا وكذا ، لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه ؟ وقد قتلت أوريا الحثي بالسيف وأخذت امرأته لك امرأة ، وإياه قتلت بسيف بني عمون ، والآن لا يفارق السيف بيتك الى الأبد ، لأنك احتقرتني وأخذت امرأة أوريا الحثي لتكون لك امرأة . هكذا قال الرب : هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك، وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس ، لأنك أنت فعلت بالسر ، وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس !.

« فقال داود لناثان : قد أخطأت الى الرب !.

« فقال ناثان لداود : الرب أيضاً قد نقل عنك خطيتك ، لا تموت ، غير أنه من أجل أنك قد جعلت بهذا الأمر أعداء الرب يشمتون فالابن المولود لك يموت .

« وذهب ناثان الى بيته .

« وضرب الرب الولد الذي ولدته امرأة أوريا لداود فثقِل ، فسأل داود الله من أجل الصبي ، وصام داود صوما ، ودخل وبات مضطجعاً على الأرض ، فقام شيوخ بيته عليه ليقيموه فلم يشأ ، ولم يأكل معهم خبزاً ، وكان في اليوم السابع أن الولد مات ، فخاف عبيد داود أن يخبروه بأن الولد قد مات ، لأنهم قالوا : هوذا لما كان الولد حياً كلمناه فلم يسمع لصوتنا ، فكيف نقول له : قد مات الولد ، يعمل أشر ؟.

« ورأى داود عبيده يتناجون ، ففطن داود أن الولد قد مات ، فقــال داود لعبيده : هل مات الولد ؟ فقالوا : مات :

« فقام داود عن الأرض واغتسل وادّهن وبدل ثيابه ، ودخل بيت الرب وسجد ، ثم جاء إلى بيته ، وطلب فوضعوا له خبزاً فأكل ، فقال له عبيده : ما هذا الأمر الذي فعلت ؟ لما كان الولد حياً صمت وبكيت ، ولما مات الولد قمت وأكلت خبزاً ، فقال : لما كان الولد حياً صمت وبكيت ، لأني قلت : من يعلم ؟ ربما يرحمني الرب ويحيا الولد ، والآن قد مات ، فلماذا أصوم ؟ هل أقدر أن أرده بعد ؟ أنا ذاهب اليه ، وأما هو فلا يرجع إلي !.

وعزى داود بتشبع امرأته ، ودخل اليها ، واضطجع معهـــا ، فولدت ابناً ، فدعا اسمه سليمان ، والرب أحبه » .

وفي أسرة داود ، في أولاده ما تثير منكراتهم البشعـة الاشمئزاز ، فهذا أمنون بن داود يزني باخته من أبيه داود ، واسمها « ثامار » بنت داود ، وكان قد احتال على الخلوة بها بعد أن برح به الشوق إلى مضاجعة اخته .

وها هوذا سفر صموئيل الثاني يتحدث في الإصحاح الثالث عشر بما نصه :

« كان لأبشالوم بن داود اخت جميلة اسمها ثامار ، فأحبها أمنون بن داود ، وأحصر أمنون للسقم من أجل اخته ثامار لأنهـــا كانت عذراء ، وعسر في عيني أمنون أن يفعل لها شيئاً ، وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب بن شمعى أخي داود ، وكان يوناداب رجلا حكيماً جداً ، فقــال له : لماذا يا بن الملك أنت ضعيف هكذا من صباح إلى صباح ؟ أما تخبرني ؟.

« تقال له أمنون : إني أحب ثامار اخت أبشالوم أخي .

« فقال يوناداب : اضطجع على سريرك وتمارض ، وإذا جاء أبوك ليراك فقل له : دع ثامار اختي فتأتي وتطعمني خبزاً ، وتعمل أمامي الطعام لأرى فآكل من يدها .

« فاضطجع أمنون وتمارض ، فجاء الملك ليراه ، فقال أمنون للملك : دع ثامار اختي فتأتي وتصنع أمامي كعكتين ، فآكل من يدها .

« فأرسل داود ثامار إلى البيت قائلاً : اذهبي إلى بيت أمنون أخيك، واعملي له طعاماً .

«فذهبت إلى بيت أمنون أخيها وهو مضطجع ، وأخذت العجين وعجنت، وعملت كعكاً أمامه ، وخبزت الكعك ، وأخذت المقلاة وسكبت أمامه ، فأبى أن يأكل ، وقال أمنون : اخرجوا كل إنسان عني ، فخرج كل إنسان عنه ، ثم قال أمنون لثامار : إيتي بالطعام إلى المخدع فآكل من يدك .

« فأخذت ثامار الكعك الذي عملته ، وأتت به أمنون أخاها إلى المخدع ، وقدمت له ليأكل ، فأمسكها وقال لها : تعالي اضطجعي معي يا اختي ، فقالت له : لا ، يا أخي لا تذلني ، لا يفعل هكذا في إسرائيل ، لا تعمل هذه القباحة ، أما أنا فأين اذهب بعاري ، وأما انت فتكون كواحد من السفهاء في إسرائيل ، والآن كلم الملك لأنه لا يمنعني منك .

فلم يشأ ان يسمع لصوتها ، بل تمكن منها ، وقهرها ، واضطجع معها ، ثم ابغضها امنون بغضة شديدة » .

واما داود فكل ما عمل هو ما يقول سفر صموئيل في آخر الاصحاح الثالث عشر نفسه : « ولما سمع الملك داود بجميع هذه الامور اغتاظ جداً».

الاغتياظ وحده ، ولا شيء مما حمل أبشالوم أن يقتـل أمنون ، ولكن بعد سنتين ، وأبشالوم هذا هو الذي حدث بينه وبين أبيه داود خلاف أدى به إلى ادعاء الملك ، حتى هرب داود من وجهه خوفـاً ، وترك قصره وفيه عشر من سراريه لحفظه .

وفي آخر الاصحاح السادس عشر من سفر التكوين هذه الفقرة :

« نصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ، ودخـل أبشالوم إلى سراري ابيه أمام جميع إسرائيل » .

ولكن ابشالوم قتل بعد ذلك في الحرب بينه وبين أبيـــه ، فكان أبوه داود يقول سائلاً : «أسلام للفتى أبشالوم ؟[١] » فلما علم أنه قتل أخذ يصيح: « ابني أبشالوم ! يا ابني ! يا ابني أبشالوم ! يا ليتـــني مت عوضاً عنك يا أبشالوم ! ابني . يا ابني» .

الحق، ان كل ما نسب إلى داود وبعض أولاده يثير مع الغضب الاشمئزاز، ولم يكن داود وحده موضع السخط والاشمئزاز من الناس في جميع الأزمان ممن اطلعوا على هذه المفاسد التي صدرت منه ، بل الله جل جلاله وعلاه وعز ذكره عرضه الكتاب المقدس لاستنكار حكمه ، فداود زنا ، وقتل زوج المرأة التي زنا بها ، وحبلها سفاحاً ، وزنا داود استوجب غضب الله ، لأنه ارتكب ما حرم الله ، فيعاقبه الله بفعلة من جنس فعله ، بل على أبشع وأقذر .

فداود زنا ، فحكم الله عليه ان يزني ابنه أبشالوم بنساء داود .

وداود زنا بأجنبية ، وحكم الله عليه أن يزني ابنه بنسائــه ، وزنا المحارم

(١) سفر صموئيل الثاني ١٨ : ٢٣ و١٩ : ٤ .

أشد وأبغض إلى الله .

وداود زنا سراً ، وحكم الله عليه أن يزني ابنه بنسائه جهراً ونهاراً وأمام عيون الشعب في الخيمة المنصوبة على السطح .

هذا ما يقرره الكتاب المقدس ، وسؤال الناس : إذا كان مثـــل هذه المنكرات البشعـة القذرة العفنة تحدث عن الأنبيـاء والمرسلين وأولادهم فما تكون حال عامة الناس ؟ كيف ينفذ داود شريعة التوراة المنوط به حفظها وتنفيذها على الناس وهو ملوث بالموبقـــة النكراء ؟ وكيف يعبد الناس رباً يعاقب على الزنا العادي بزنا غاية في البشاعة والنكر ؟.

وتعالى الله علواً كبيراً من أن يعاقب على الزنا بزنا أشد وأوبق وأبغض، مع أن التوراة نفسها نصت على حد الزنا العادي والزنا بالمحارم نصاً ، فكيف يغفل الله هذه العقوبة عن داود بعد أن بعث اليـه النبي ناثان ؟ لماذا لم يأمر ناثان بإقامة الحد على داود ؟.

ولماذا لم ينفذ داود حد الزنا بابنه أمنون ؟.

إن عقوبة داود كما تنص التوراة القتل ، وهـــا هوذا سفر التثنية ٢٢ : ٢٢ يقول : « إذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجة بعل يقتل الاثنان : الرجل المضطجع مع المرأة ، والمرأةُ ، فتنزع الشر من إسرائيل » .

وفي سفر اللاويين ٢٠ : ١٠ — ١٢ : « وإذا زنى رجل مع امرأة ، فإذا زنى مع امرأة قريبة فإنه يقتل الزاني والزانية، وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه ، إنهما يقتلان كلاهما ، دمهما عليهما، وإذا اضطجع رجل مع كنته فإنهما يقتلان كلاهما ، قد فعلا فاحشة ، دمهما عليهما ».

وفي سفر اللاويين ٢٠ : ١٧ — ١٨ : « إذا أخذ رجـل أخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورتها ورأت هي عورته فذلك عار ، يقطعان أمام أعين بني شعبيهما ، قد كشف عورة أخته يحمل ذنبه » .

وفي سفر اللاويين ١٨ : ٦ — ١٢ :

« لا يقترب إنسان الى قريب جسده ليكشف العورة .
« عورة أبيك وعورة أمك لا تكشف .
« إنها أمك ، لا تكشف عورتها .
« عورة امرأة أبيك لا تكشف ، إنها عورة أبيك .
« عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمـك المولودة في البيت أو المولودة خارجاً لا تكشف عورتها .
« عورة ابنة ابنك أو ابنة بنتك لا تكشف عورتها ، إنها عورتك .
« عورة بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك لا تكشف عورتها ، إنهـا أختك .
« عورة أخت أبيك لا تكشف ، إنها قريبة أبيك » إلخ .

وفي سفر التثنية ٢٧ : ٢٠ و ٢٢ :

« ملعون من يضطجع مع امرأة أبيه لأنه يكشف ذيل أبيه » .
« وملعون من يضطجع مع أخته بنت أبيه أو بنت أمه » .

هذه الحدود واضحة ، ومع هذا لا يقيمهـا الأنبياء والرسل ، وكيف تكون العقيدة الدينية عقيدة وشرعهـا لا ينفذه من جاء اليه وأمر بحفظه وتنفيذه ؟.

إن هؤلاء أما أن يكونوا غير انبياء ولا مرسلين ، لأن رؤية النبوة والرسالة معصومة عن أيسر من هذه الآثام الحاطمة ، فهم غير أنبياء ولا رسل لأنهم زناة أو فجرة فسقة ، ومعاذ الله أن يكون أنبياء الله ورسله فسقة ، وأما أن يكونوا انبياء حقاً ، ورسلا صدقاً ، فيرد كل ما نسب اليهم إلى من نسجوا هذه الأكاذيب .

وداود نبي الله حقاً ، ورسوله صدقاً ، فهو معصوم كل العصمة عما قذف به من الزنا بامرأة اوريا الحثي ، والاسلام يبرئه من هذه التهمة ، ويثبت له العصمة ، ويشهد له بالنزاهة والتمام في خلائقه وصفاته .

يقول الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ص : ١٧ .

و ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً * وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ النمل : ١٥ .

و ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ص ٣٠ .

و ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً ﴾ سبأ : ١٠ .

ولم يكف الكتاب المقدس طعن داود وبعض اولاده ابنته ثامار وابنيه امنون وابشالوم ونسائه حتى اضاف هذا الكتاب طعن سليمان بن داود طعنات نجلا في الصميم ، فقد طعن ام سليمان إذ جعلها زانية وجعلها تحمل سفاحاً وطعن اباه داود في اقتراف الزنا مع امه .

وبعد هذا كله تجعله مرتداً ، وهذا سفر الملوك الأول في الاصحاح الحادي عشر يقول :

« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات

وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل : لا تدخلون إليهم ولا يدخلون إليكم ، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم ، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ، وكانت له سبعمئة من النساء السيدات ، وثلاثمئة من السراري ، فأمالت نساؤه قلبه .

« وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه ، فذهب سليمان وراء عشتروت إلهة الصيدونيين ، وملكوم رجس العمونيين .

« وعمل سليمان الشر في عيني الرب ، ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه ، حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس المؤابيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ، ولمولك رجس بني عمون ، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللاتي كنّ يوقدن ويذبحن لآلهتهن .

فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين ، وأوصاه في هذا الأمر ألا يتبع آلهة أخرى ، فلم يحفظ ما أوصى به الرب ، فقال الرب لسليمان : من أجل ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزق المملكة عنك تمزيقاً ، وأعطيها لعبدك ، إلا أني لا أفعل ذلك في أيامك من أجل داود أبيك ، بل من يد ابنك أمزقها » .

وسليمان نبي ، ولا يكون النبي نبياً إلا إذا كان موحداً مؤمناً بالله وحده ، كافراً بكل ما عداه من الآلهة المتخذة من عبادها الكافرين ، ومع ذلك يمحقه الكتاب المقدس محقاً ، فيتهمه بعصيان الله جهراً من أجل شهواته ، من أجل

نسائه ، فيبني المرتفعات للأصنام ، ويتبع آلهة أخرى إرضاء لأزواجه ، ويتهمه بالكفر .

وليس أبشع ولا أشر من اتهام النبي بمعصية الله ورد أمره وإعلان الكفر، ولا يقبل عقلاً ولا ديناً أن يكون الأنبياء والمرسلون كما تصف التوراة وأسفارهم المقدسة ، لأن ما يصفهم به الكتاب المقدس يناقض ما اختارهم الله له من الرسالة والنبوة ، وهؤلاء المختارون إنما اختيروا لأنهم المثل الأعلى للبشر في الخلائق والصفات والأعمال الصالحة .

ومن الغريب أن أسفار اليهود تنسب إلى الله عز وجل ما لو نسب إلى مخلوق لحط من كرامته وشأنه ، ولاشمأز منه الناس .

فالنبي هوشع يأمره الله بأن يتخذ زانية ويصاحب حبيبة صاحب ، وها هوذا سفر هوشع — أحد الأسفار المقدسة — يقول في الإصحاح الأول في الفقرة الثانية وما بعدها :

« أول ما كلم الرب هوشع قال الرب لهوشع : إذهب ، خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى ، لأن الأرض قد زنت زنى ، تاركة الرب ، فذهب وأخذ جومر بنت دِبْلاَيِمَ ، فحبلت ، وولدت له ابناً ، فقال له الرب : ادع اسمه يَزْرَعيل ...

« ثم حبلت أيضاً وولدت له بنتاً ، فقال له الرب: ادع اسمها لورحامة...

ثم فطمت لورحامة ، وحبلت فولدت ابناً ، فقال : ادع اسمه لوعَمّي » .

وفي الإصحاح الثالث ، يقول هوشع :

« قال الربِ لي : اذهب أيضاً ، احبب امرأةً حبيبةَ صاحب ، وزانية ،

كمحبة الرب لبني إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى » .

وماذا يبقى من شرائـع الأخلاق وآداب السلوك وفضائل المجتمع وذخر الفرد والجماعة إذا كان الله يأمر باتخـاذ ما ينقص الأخلاق والآداب ويحطم الفضائل ، وإذا كان من وكل إليهم هداية البشر ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر يقارفون أشد الموبقات والعهر والفجور نتناً ؟

إذا كان الله يأمر أحد أنبيائه – وهو هوشع – بأن يأخذ زانية ،ويعاقب داود على زناه بأجنبية بزنا ابنه بنسائه ؛ فماذا يبقى للفاجرين والزناة من عامة الناس ؟!.

تعالى الله عما يصف كتاب اليهود الله علواً كبيراً .

ومحال على الأنبياء والمرسلين ما يصفهم به الكتاب المقدس ، ولا يمكن أن يختـار الله أحداً من خلقه للنبوة أو الرسالة إلا وهو في أعلى مراتب الكمال الانساني .

وكل ما جاء في الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى من وصف الأنبياء والمرسلين بما لا يليق من الصفات إنما هو كذب محض .

والشيء الذي يجدر بالوقوف عنده ولوع هذا الكتاب المقدس بالزنا والخمر والحيل والخداع والكذب وهتك الأعراض وزنا المحـــارم في بيئة الرسل والأنبياء وأسرهم .

ولا شك أن ما يوجه اليهود إلى أنبيائهم ورسلهم من تهمة هتك الأعراض والزنا والقتل إنما هو انعكاس صحيح صادق لما يعيش فيه اليهود من السفالة ، فهم مولعون بزنا الأباعد والأقارب والمحارم ، وليجعلوا منكراتهم وموبقاتهم

سائغة غير مستنكرة اتهموا أفضل الخلق وهم الرسل بما اتهموهم به من الفسق والفجور ، حتى يكون لهم العذر في سفالاتهم .

فإذا كان أفضل الخلق طهراً وهم الأنبياء والرسل زناة وقتلة وكذابين فلا لوم على الناس إذا سلكوا مسلكهم وتخلقوا بأخلاقهم .

والاسلام ينزه الرسل والأنبياء من كل عيب ونقص ، ويثبت لهم العصمة، وكل من طعنهم الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى نزههم القرآن الكريم منه ، وهذا هو الفارق بين الاسلام واليهود والنصرانية ، فالاسلام دين سمح نظيف ، الله عنده كامل كمالاً مطلقاً ، والرسل والأنبياء معصومون وفي أعلى مراتب الكمال الانساني .

والاسلام — آداباً وسلوكاً وشريعة وعقيدة — الدين الوحيد الذي تنزه عن كل ما يعيب ، وغيره من الأديان لا يرقى الى مرتبة الدين الحق ، لأن الدين الحق ، قائم على الايمان بوحدانية الله وكماله المطلق، والايمان برسله وكمالهم الانساني ، وبالكتب السماوية ، وبالقدر خيره وشره ، وبالبعث ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

وميزة الاسلام على جميع الأديان التي تصورها مصادرها تنزيه الله، ووصفه بالكمال المطلق في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله ، وتوحيده ، وإثبات الألوهية له وحده دون سواه ، والكفر بالآلهة المخترعة ، والأصنام المصنوعة .

فالله عز وجل في الاسلام ليس الله في اليهودية والنصرانية وفي سائر الأديان غير السماوية ، لأن ذات الله وصفاته وأقواله وأفعاله في الإسلام تتفق مع كماله المطلق .

ولهذا يرد الاسلام كل صفة لا تتفق مع كمال الله وجلاله، ولا يقبل ما نسب إلى الله عز وجل في قصة داود وسليمان وهوشع وغيرهم مما ازدحم بأساطيرهم وحكاياتهم الكتاب المقدس ، لأنه مناقض لكمال الله وجلاله .

والنبوة في الاسلام هداية وكمال إنساني وتهذيب وطهـــر وفضيلة وقداسة وخير وعصمة من الكبائر والخطل والزلل .

ولهذا يكفـّر الاسلام كل من اتهم رسولاً أو نبياً بالزنا كما في حادثة داود أو الردة كما في قصة سليمان ، لأن الاسلام نفسه دين تهذيب وفضيلة وخـــير وجمال .

ولم يؤثر عن الاسلام قط أن اتهم رسولاً أو نبياً، أو نسب الى الله ما يخل بكماله مثل الأمر الذي أصدره على هوشع ، والذي أثر عنه في كل أموره مع كمال الله وجلاله ، ومع الخير والحق والفضيلة والكمال .

الأسفار المقدّسة

التوراة كتاب الله المنزل على سيدنا موسى ، فيه هدى ونور ، وبه حكم الله ، والقرآن الكريم هو الذي عرفنا بالتوراة الحق ، وقال فيها :

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَمَا أُولٰئِكَ بِالمُؤْمِنِينَ * إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ ﴾ المائدة ٤٣ — ٤٤ .

وهذا الذي ذكره القرآن الكريم من آيات صدقه، وأنه لا يقول إلا الحق، فالتوراة كتاب من كتب الله، وذكر القرآن منذ أربعة عشر قرناً أن التوراة حرفت وغيرت ، حرفوا الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظاً مما ذكروا به ، ومع هذا أوتوا نصيباً آخر من الكتاب فأضاعوه ، ولم يحكموا بما أنزل الله.

ومنع الرسول صلى الله عليه وسلم صاحبه عمر بن الخطاب من قراءة صفحة من التوراة أخذها من يهودي ، لأن ما في القرآن غناء عن الكتب السابقة ، وعن التوراة التي حرفت .

وآمن عمر والمسلمون بما جاء في القرآن حق الإيمان ، كما آمنوا بما قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن الدراسات والكشوف العلميـة قد أفصحت – بعد – عن تاريـخ ما بيد اليهود مما يسمى التوراة وعن مؤلفي أسفارها ، وقدمت مصادق للقرآن تؤيده تفصيلاً فيما ذكره إجمالاً وإيجـازاً ، وتنطق بأن ما جاء به القرآن هو الحق الذي لا مراء فيه ، فآن لمثلي ولغيري من المسلمين ومن الذين يريدون الحق أن يقول : إن من معجزات القرآن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـه ظهور ما يؤيد ما ذكره بعد هذه القرون الطويلة .

وما كان المسلمون يعرفون عندما نزل القرآن أن الدراسات العلميـــة ستكشف عن مصادر تاريخية مدعومة بالحجج تؤيد ما ذكره من قصص وحوادث وأخبار .

وما يطلق اليوم على كتب العهد القديم من اسم « التوراة » خطأ ، فكتب العهد القديم تسعة وثلاثون سفراً ، ومن الخطأ تسميتها جميعاً التوراة ، لأن هذا الاسم بالمعنى الحاضر المعروف لدى اليهود لا يطلق إلا على خمسة أسفار ليس غير ، وهن : سفر التكوين ، وسفر الخروج ، وسفر اللاويـين ، وسفر العدد ، وسفر التثنية ، وهذه هي التوراة في عرف اليهود ، وهي التي أنزلت على موسى كما يزعمون .

وأما بقية أسفـــار العهد القديم – وعددها أربعة وثلاثون سفراً – فهي مقدسة أيضاً عند اليهود ؛ ويصنفونها في ثلاثة أبواب، ويضعون في الباب الأول اثنى عشر سفراً وهي: سفر يوشع والقضاة وراعوث وصموئيل الأول وصموئيل الثـاني والملوك الأول والملوك الثاني وأخبار الأيام الأول وأخبار الأيام الثاني وعزرا ونحميا واستير ، وتسمى هذه الأسفار الاثنا عشر الأسفار التاريخية .

والباب الثاني يحتوي خمسة أسفار وهي : سفر أيوب والمزامير والأمثال والجامعة والأناشيد ، وتسمى الأسفار الشعرية أو أسفار الأناشيد :

ويضعون في الباب الثالث ما بقي من الأسفار وعدده سبعة عشر سفراً هي : سفر أشعياء وأرميا والمرائي وحزقيال ودانيال وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصُفُنْيا وحجي وزكريا وملاحي.

وهناك سبعة أسفار أخرى تضمها الكنيسة الكاثوليكية إلى التسعة والثلاثين سفراً السابقة ، وهي : طوبيا ، ويهوديت ، والحكمة ، ويسوع بن سيراخ ، وباروخ ، والمكابيين الأول ، والمكابيين الثاني .

وأهمها جميعاً ما يعرف بالتوراة وهي خمسة الأسفار الأولى (التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية) ويعتقد اليهود وأكثر المسيحيين أنها هي توراة موسى صلى الله عليه وعلى نبينا محمد وسلم ، وأن الله أوحى بها اليه ، وإن كان كثير من باحثيهم لا يعترف بذلك .

وعندما نزل القرآن الكريم مشيراً إلى ما أصاب التوراة من عبث تصدى له بالتكذيب من كفروا برسالة محمد عليه صلوات الله وسلامه ، وما يزال من اليهود والمسيحيين من يتجنون على القرآن بالتكذيب لأنه ذكر التوراة والانجيل الموجودين بما يتفق مع حقائق العلم والتاريخ التي أثبتها علماء منهم غير متهمين إلا بالتعصب والحقد على القرآن ، وتلك من معجزات كتاب الله سبق اولئك الأعلام بتقرير واقع ما يسمى التوراة والانجيل .

وأشار أكبر الباحثين في كتب العهد القديم والعهد الجديد إلى ما يؤيد القرآن كل التأييد ، فقد أبان هؤلاء الباحثون في العصور الأخيرة — بخاصة — أساليب أسفارهما ولغاتها وبلدانياتها وكل ما يتصل بها من قريب أو بعيد ،

وما فيها من نظريات كونية وحوادث تاريخية ومعامـلات وأحكام وعقائد وتشريعات مختلفة ، وما فيها من تناقض أوضحه بعضهم وأوّله آخرون احتراماً لقدسيتها ، ووصفوا بيئاتها وحياة الشعوب الاجتماعية والدينيـــة والتجارية والسياسية والتاريخية والجغرافية .

وبحوث الباحثين الآلي تحروا فيها الدقة والاستيعـاب كشفت لهم عن حقائق تلتقي القرآن فيما وصف به التوراة والانجيل مما ينفي عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه مؤلف القرآن ، لأن ما جاء في الفرآن مجملاً أيدتـــه دراسات الدارسين من غير المسلمين وبحوث الباحثين من اليهود والنصـارى في أواخر القرن التاسع عشر وهذا القرن قبل هذه التواريخ .

وهذه الدراسات والبحوث التي هي ثمرة تطور العقل والعلم وتقدم وسائلها تراث تسلمه ورثة عن ورثة حتى انتهى إلى العصور الأخيرة فأضافت اليه ما أرباه ، وهو ما لا يتفق لفرد أن يحيط به مهما كانت عبقريته .

فمحمد رسول الله حقاً وخاتم النبيين صدقاً، ومع هذه المكانة لا يعلم الغيب لأن ذلك من علم الله وحده، فكيف تسنى لمحمد أن يعلم علم الأولين والآخرين، علوم الماضي وأحداثه ، تضاف اليها أحداث المستقبل وكشوفه التي تؤيد ما جاء في القرآن ؟.

إن كان كل هذا من عبقرية محمد فهو أعظم من هؤلاء مجتمعين ، وبذلـك يتم له الامتياز على البشر جميعاً ، وفيه من صفات الله ما لا يدعيه هو نفسه بل ينفيه كما ينفيه عنه أتباعه المخلصون على مر الأيام ، تلك هي صفـــة علم الغيب ، فما أدرى محمداً أن كشوفاً ستتم بعد أيامـه بعصور كثيرة ستؤيد ما أجمله القرآن ويشير اليه في إيجاز واضح مبين ؟.

إنهم لم يرضوا لمحمد أن يكون رسولاً نبياً ، ولكنهم من الجهة الأخرى وصفوه بما هو خاص بالذات الإلهية من الصفات مما لا يرضاه محمد نفسه .

إن الله وحده علام الغيوب ، فما في كتابه من ذكر وإشارات لما تؤيده الكشوف إن هو إلاّ علم علام الغيوب وحده أوحى به إلى محمد فأداه كما تلقاه وبقي محفوظاً حتى اليوم بنصه الحرفي لا مبدل لكلماته .

والباحثون من غير المسلمين انتهوا بعد دراسات إلى أن في التوراة تحريفاً ، وإلى أن ما يسمى « التوراة » ليس إلا من تأليف بشر ، والأسفار الخمسة والأسفار الأخرى التي يتم بها العهد القديم تتفاوت أسلوباً وأفكاراً ومعلومات مما يقتضي تعدد الكتاب والمنشئين ، وإن المؤرخ اليهودي الأشهر « سيمون دبنوف » أعظم المؤرخين المحدثين يذكر في ثقة : أن في الكتاب المقدس فصولاً كثيرة مأخوذة من الثقافة البابلية كما يظهر ذلك من المقارنة بين الكتابة المسمارية وما ورد في التوراة .

ويثبت التحريف ما في هذه الأسفار من نصوص لا تتفق مع التنزيل ، ولا مع التوحيد وعصمة الرسل ونزاهة الأنبياء وصفات الله وأسمائه ، وفيه من التناقض ما يعترف به غلاة من يؤمنون بالتوراة من يهود ومسيحيين ، وهناك اختلاف بين نسخ التوراة المعتمدة ، ففي كتاب « ميزان الحق » للقسيس الدكتور فندر قوله[١] : « كتب بعض المصنفين المسلمين جدولاً طويلاً من المتناقضات الواردة في الكتاب المقدس وزعم أنها متناقضات حقيقية وهي متناقضات ظاهرية فقط » وقال : « وقد وفق بين كثير منها العلماء المحققون والتي لم يهتدوا إلى التوفيق بينها فصعوبتها قائمة على عدم معرفة كل ظروفها» .

---

(١) ص ١٠٢ وهو من أشد المدافعين عن التوراة والإنجيل .

ويقول : « يوجد في التوراة ما يشبه التناقض في أخبار الوقائع والمسائل التي لا مساس لها بالجوهر ، وهو بالحقيقه ليس بتناقض ، فوجود شيء من هذا القبيل في أسفار التوراة مـع سكوت اليهود عنه وعدم تجاسرهم على تسويته لدليل قوي على تمسكهم بالمتون الأصلية » .

والتناقض الذي وقع فيه القسيس نفسه واضح من عباراته ، فهو يعترف أنها « متناقضات ظاهرية فقط » ومع ذلك يعترف بأن العلماء المحققين لم يهتدوا إلى التوفيق بينها للصعوبة القائمة على عدم معرفة ظروفهـا ، وينفي التناقض (بالحقيقة ليس بتناقض) ثم يثبت أن وجود شيء من التناقض دليل على أمانة اليهود لأنه لم يجسروا على تسويته .

ويقول القسيس في ص ١١٨ : « لا يوجد فرق إلا في أعمـار بعض الآباء الأولين المذكورين في إصحاح ٥ و ١٠ من سفر التكوين » ويعتذر بأنه خلاف لا يمس جوهر الكتاب في شيء .

ولكن هذا الفرق في الأعمار بين نسخ التوراة ينسب إلى الله الغلط الذي تنزه عنه ، فالنسخة العبرية تذكر أن مقدار الزمان من خلق آدم الى الطوفان ١٦٥٦ سنة ، والنسخة اليونانية المعروفة بالسبعينية تذكر أنـه ٢٢٦٢ سنة ، والنسخة السامرية تقول : إنه ١٣٠٧ سنوات ، فأيها الحق المنزل من الله ؟.

وهذا الاختلاف يلد اختلافاً سواه ، فالنسخ الثلاث متفقات على عمر آدم وهو ٩٣٠ سنة؛ وعمر نوح عند الطوفان ٦٠٠ سنة، فعلى ما في النسخة السامرية يكون نوح مولوداً في زمن آدم وأن كليهما أدرك من عمر الآخر ٢٢٣ سنة ، وهو غير واقع باتفاق جميع مؤرخي العـالم ، وما في العبرية واليونانية ينقض هذا الزعم ، وفي العبرية : أن آدم مات قبل نوح بمائة وست وعشرين سنة ،

واليونانية : أن موت آدم كان قبل ولادة نوح باثنتين وثلاثين وسبعمائة سنة .

ومن ألوان الاختلاف بين النسخ في مسألة الأعمـار ما يعد من الأفاكيه ، ففي الإصحاح الثاني والعشرين من سفر أخبار الأيام الثاني أن يهورام تولى الملك وعمره اثنتان وثلاثون سنة ، وملك ثماني سنين ومات غـير مأسوف عليه ، وفي الاصحـاح الذي يليه : أن ابنه الأصغر (أخزيا) ملك بعده وكان عمره اثنتين وأربعين سنة .

فكيف يصح في الأذهان أن الابن أكبر من أبيه بسنتين ؟ أيصح أن ينسب هذا إلى الله العليم الخبير في كتـاب يدعي اليهود والنصارى أنه منه سبحانه وتعالى ؟.

بل جـاء في سفر الملوك الثاني بالإصحاح الثامن ما يؤيد ما ذكر بسفر الأخبار الثاني من ناحية يهورام ، ملك وعمره اثنتان وثلاثون سنة وملك ثماني سنين، ويختلف في عمر أخزيا إذ جاء فيه أن عمره حين ملك اثنتان وعشرون.

وذكر آدم كلارك في المجلد الثاني من تفسيره عندما كان يفسر سفر الأخبار الثاني ووصل عند عمر أخزيا : « وقع في الترجمـة السريانية والعبرية اثنان وعشرون وفي بعض النسخ اليونانية عشرون » .

والخلاف بـين النسخ الثلاث (العبرية واليونانية والسامرية) كثير ، وهو باق دون إصلاح ، لأن لكل نسخة أتباعاً متمسكين بها ، وهو يقطع بأن هذا الخطأ لا يمكن أن يصدر من الله الذي يعترفون له بكمال العـلم المطلق ، ولم يقف الغلط في الأعمار بل في أشياء أخرى كثيرة .

ففي النسخة العبرية بسفر التثنية بالإصحاح السابع والعشرين يوصي موسى

وشيوخ إسرائيل الشعب ببناء مذبح في جبل « عيبـال » والنسخة السامرية تذكر أن الجبل هو جبل « جرزيم » ويعلق القسيس فندر على هذا بقوله[١] : « العبارة الأصلية « جبل عيبال » في الأصل العبراني لا جبـل جرزيم كما في النسخة السامرية التي حرفهــا السامريون لرغبتهم الخصوصية في الجبل الذي سموه بهذا الاسم ، ومع كونهم قـــد حرفوا نسختهم في هذه الكلمة انحصر التحريف فيها ولم يتعد إلى النسخ الأخرى المعتمدة عند طوائف اليهود » .

ولكن هورن وثق النسخة السامرية في هذا الخلاف بين عيبال وجرزيم وقال : «صدق ما عليه السامريون وأن اليهود هم الذين حرفوا التوراة عمداً[٢]» .

ومن ألوان التحريف المشهود في التوراة ما اعترف به كبـــار الباحثين وأيدته نصوص التوراة نفسها ، ففي سفر التكوين بالإصحاح السادس الثلاثين فقرة ٣١ — ٣٩ « وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبلما مَلَكَ ملِك لبني إسرائل ، ملك في أدوم بالع بن بعور وكان اسم مدينته دِ نْهابة ، ومات بالع فملك مكانه يوباب بن زارح من بصرة ، ومات يوباب فملك مكانه حوشام من أرض التيماني ، ومات حوشام فملك مكانـــه هداد بن بداد الذي كسر مديان في بلاد موآب وكان اسم مدينته عويت ، ومات هداد فملـك مكانه سملة من مسريقه ، ومات سملة فملك مكانه شاول من رحوبوت النهر ، ومات شأول فملك مكانه بعل حانان بن عكبور ، ومات بعـل حانان بن عكبور فملك مكانه هدار وكان اسم مدينته فاعو واسم امرأته مهيطبئيل بنت مطرد بنت ماء ذهب » .

وكل هؤلاء الذين ذكروا لم يكونوا قبل موسى بل جاءوا بعده ، فتاريـخ

---

(١) ميزان الحق ص ٥١ .
(٢) كتاب أدلة اليقين ص ١٦٢ .

«شاول» معروف ، فقد ملك بعد موسى بأكثر من ثلاثة قرون ونصف قرن ، وليس من المعقول نسبة هذه الأقوال إلى موسى عليه السلام .

وقال آدم كلارك أحد مفسري التوراة الموثوق بهم عندما جاء إلى تفسير الفقرات التي استشهدنا بها : « أظن ظناً قوياً قريباً من اليقين أن هذه الآيات كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة من التوراه فظن الناقـل أنها من المتن فأدخلها فيه » .

وفي سفر التثنية بالاصحاح الثالث في الفقرة الثالثـة عشرة : « يائير بن منسي أخذ كل كورة أرجوب إلى تخم الجشوريين والمعكيين ودعاها على اسمه باشان حوُوث يائير إلى هذا اليوم » .

وحسبنا تعليقاً على هذه الفقرة من سفر التثنية والفقرات التي بالتكوين ما قاله هورن في المجلد الأول من تفسيره للتوراة – وهو من أكبر مفسريهـا المعتمدين – : «لا يمكن ان تكون هذه الفقرات من كلام موسى لأن الفقرات الأولى (فقرات سفر التكوين) تدل على أن مصنف هذا الكتاب (يقصد التوراة) وجد بعد زمان قامت فيه مملكة بني إسرائيل ، والفقرة الثانيـة تدل على أن مصنفه كان بعد إقامة اليهود في فلسطين » .

وقد اتفق هؤلاء المفسرون على أن عزرا الكاتب زاد بعض العبارات في التوراة ، كما اتفقوا على أن هناك زيادات لا يعرف أصحابهـا ، وجزموا بأن كل ذلك ليست من كتابات موسى ، وكثرة الألفاظ البابلية في التوراة تدل على أنها كتبت بعد سبي البابليين لبني إسرائيل .

وأثبت الباحثون المحققون الذين لا يتهمون بعـداء التوراة وليسوا من

المسلمين ما أشار اليه القرآن الكريم في إيجـاز يغني عن الأسفار الضخمـة إذ قال :

﴿ مِنَ الذينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَـا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً في الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾ (١) .

و ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنَ بَعْدِ مَا عَقِلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

و ﴿ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوْا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ (٣) .

و ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ (٤) .

وأثبتوا أن الأسفار الخمسة التي تعرف بالتوراة مؤلفة بعـد عصر موسى بقرون ، وموسى كان في القرن الرابع عشر قبل الميلاد أو الثـالث عشر أو ما بينهما ، وأكثر مـا حواه سفر التكوين وسفر الخروج مؤلف في القرن التاسع قبل الميلاد ، أي بعد عديـد من القرون على موت موسى عليه وعلى المرسلين جميعاً أفضل الصلاة والسلام ، وسفر التثنية مؤلف في أواخر القرن السابع قبل الميلاد ، وسفر العدد وسفر اللاويين ألفـا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، وذلك بعد النفي المشهور في التاريخ بنفي بابل وعودة اليهود من النفي إلى فلسطين سنة ٦٣٥ ق .م.

(١) النساء : الآية ٤٥ .
(٢) البقرة : الآية ٧٥ .
(٣) المائدة : الآية ١٤ .
(٤) المائدة : الآية ٤١ .

وكل هـــذه الأسفار التي تعرف بالتوراة من تأليف يهود ، وتتضمن سير أنبيائهم ومعلميهم وملوكهم وتاريـخ بدء الخليقة وسير أبي البشر ومن جاءوا بعده من أمم وشعوب ، وتتضمن أحكاماً وتشريعات ومعاملات ونظمـــاً وقوانين تعد في تلـك العصور أرقى ما وصل إليه التنظيم الاجتماعي للبشر ، وتعكس بيئات اليهود وغـــيرهم من الشعوب والممالك والدول ، في أسلوب يختلف بعضه عن بعض مما يثبت تعدد المؤلفين .

ولماذا نذهب بعيداً ، وهذا الكتاب المقدس نفسه الذي طبعه الكاثوليك بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت يحوي في مقدمته ما يؤيدنا ، والمقدمة بعنوان « أسفار الشريعة الخمسة » .

وافتتحت المقدمة بما يلي :

« تؤلف الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس مجموعة كان اليهود يسمونها الشريعة أو التوراة ، وقد اتخذت باليونانيـــة اسم « بانتاتيكوس » (أي الكتاب ذو الأسفار الخمسة) » .

وتقول المقدمة :

« لقد كان اليهود أقلة في بدء التـــاريخ المسيحي ، يسندون إلى موسى تأليف هذه المجموعة الواسعة ، وقد جاراهم المسيح ورسله في هذا الاصطلاح ، والواقع أن خلاصة البانتاتيك أي جوهر التقاليد المدونة فيـه ونواة التشريع تتصل دون ريب بالزمان الذي فيـــه بدا إسرائيل كشعب منظم ، وذلك الزمان تسوده شخصية موسى الكبيرة ، فهو وسيط الوحي الإلهي ، ومنظم الشعب المختار ، والمشترع الأول ، إنما مصنفه الملهم لم يحتفظ به وديعة ميتة في دار المحفوظات » .

فالجزء الأول من التوراة المسمى «سفر التكوين» خاص بذكر بدء الخليقة من إبداع السماوات والأرض وخلق آدم وحواء وقصة خروجهما من الجنـة ، واتصالهما وميلاد البشر منهما . وقصة قايين وهابيل ، وتاريخ أولاده إلى نوح فقصته وقصة الطوفان ، وقصة إبراهيم وزوجـه وأولاده ، ويوسف ورحلة يعقوب إلى مصر مع أولاده ونسلهم حتى موت يعقوب .

وسمي التكوين لأن فيه قصة تكوين العالم، ويتكون من خمسين إصحاحاً.

والجزء الثاني وهو المعروف بسفر الخروج يبدأ بذكر أبناء إسرائيـــل (يعقوب) وقصة موسى من مولده حتى خروجه من مصر ببني إسرائيـــل وتاريخ حياتهم فيها وما لقوا بها على يد فرعون والمصريين من ظلم وتسخير واضطهاد ، وما تم على يد موسى من إنقاذ حتى انتهوا إلى سيناء وما كان من بني إسرائيل من الشرك وذهاب موسى إلى ربه وعودته .

وفيه بعض التشريعات والأوامر والنواهي والزواجر والعظات والمعاملات والعقوبات في الديانة الإسرائيلية .

وعدد إصحاحاته أربعون .

والجزء الثالث « سفر اللاويين » ويتكون من سبعة وعشرين إصحاحـــاً فأكثره في العبادات والفرائض وأحكامها وواجباتها وبخاصة القرابين وأنواعها وسبلها ، كما ورد فيه ما يتصل بالمعاملات .

وسمي سفر اللاويين نسبـة إلى أولاد « لاوي » بن يعقوب ومنهم هارون وموسى أنفسهما ، وميزوا عن الأسباط الاثني عشر ولم يدخلوا فيهـــم لأنهم

اختصُّوا بالسدانة والقوامة على الشريعة وحفظها وصونها والإشراف على العبادات والفرائض والذبائح والقرابين والمذابح وتنفيذ الشريعة اليهودية .

والجزء الرابع « سفر العدد » وفيه مسارد عن بني إسرائيل وإحصاء قبائلهم والمحاربين منهم وما يملكون وما يمكن أن يتناوله الإحصاء إلى غير ذلك من أحكام وتشريعات ووصايا تتصل بالعبادات والمعاملات ، ولما فيه من الإحصاء سمي سفر العدد ؛ وإصحاحاته ستة وثلاثون .

والجزء الخامس « سفر التثنية » ويقال له « تثنية الاشتراع » لأنه يضم شريعة اليهود وأحكامها ونظمها ومبادئها في تنظيم المجتمع وبنائه وما يحتاج إليه من تشريعات هامة في السياسة والاجتماع والاقتصاد والتجارة والبيع والشراء والمعاملات والزراعة والحرب والجنايات والحدود والعقوبات ، وعرف بالتثنية لأنه فيما جاء به «تكراراً» لما تلقى موسى من ربه ليبلغها بني إسرائيل ، وفي التكرار معنى التثنية لأن الاثنين « مكرر » الواحد .

وإصحاحات سفر التثنية أربعة وثلاثون .

هذه أجزاء التوراة حسب اعتقادهم ، وهي عند المسلمين ليست التوراة الحقيقية المنزلة من السماء على سيدنا موسى ، ويؤيد المسلمين كثير من العلماء الباحثين من يهود ونصارى .

ويطلق من قبيل التسامح على كل أسفار العهد القديم « التوراة » ولكن المعنى الحاصر لها هو ما جاء في خمسة الأسفار التي سلف ذكرها .

ويحسب مؤرخو العرب أن لغة أسفار العهد القديم التسعة والثلاثين كتبت بالعبرية ، وهو صحيح على التغليب وإن كانوا لم يقصدوا إليه عندما حسبوا

ذلك ، لأن ما لم يدون بالعبرية غير مذكور ، وهو لا يعدو بعض فقرات من سفر عزرا وسفر دانيال وفقرة منسفر أرمياء وكلمتين اثنتين من سفرالتكوين دونت باللغة الآرامية في مبدأ تأليفهـا ثم نقلت إلى العبرية ، ويرجع تاريخ استعمال اللغة الآرامية في تدوين ما دون بها من سفر عزرا إلى سنة ٣٠٠ قبل الميلاد ، وسفر دانيال سنة ١٦٦ قبل الميلاد .

وزمن تأليف أسفـار العهد القديم – ما عدا ما يطلق عليه التوراة وهو خمسة أسفار – بعد موسى بقرون كثيرة ، ففي ما بين منتصف القرن التاسع وأوائل القرن السادس قبل الميلاد ألفت أسفار عديدة منهـا : سفر يشوع والقضاة وصموئيل والملوك والأيام ، وفيما بين أوائل القرن السادس وأواخر القرن الرابع قبل الميلاد ألفت أسفار أخر مثل سفر يونان (يونس) وزكريا، وألف سفر الجامعة حوالي سنة ٢٠٠ ق. م.

فليس بين موسى والتوراة وسائر أسفار العهد القديم « معاصرة » لأن بينه وبين أقربها إليه عهداً بضعة قرون ، ولا شك أنهـا من تأليف بشر وليست منزلة من الله على موسى ، وإن كان بعض ما جاء فيها من التوراة مطابقاً لما جاء في القرآن الكريم أو الحديث الشريف في المضمون ، لأن الكتب السماوية واحدة الجوهر ، واللاحق منها يزيد على السابق في الأحكام أو ينسخ منهـا ما يتفق مع العصر الذي يكون فيه ، في بعض هذه الأسفار مما في القرآن مثله أو حكمه يجوز أن يكون من بقايا التوراة قبل تحريفها الثابت .

ولم تكن التوراة كالقرآن للحفظ والتلاوة ، ولم يوجـد على الأرض من يحفظ التوراة ويستظهرها غير موسى عليه السلام .

ففي الإصحاح الواحد والثلاثين من سفر التثنية (٩ – ١٢) : « وكتب

موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل ، وأمرهم موسى قائلاً : في نهاية السبع سنين في ميعاد سنة الإبراء في عيد المظالّ حينما يجيء جميع إسرائيل لكي يظهروا أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره تقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل في مسامعهم، إجمع الشعب الرجال والنساء والأطفال والغريب الذي في أبوابك لكي يسمعوا ويتعلموا أن يتقوا إلهكم ويحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة » .

وفي الفقرات ٢٤ — ٢٩ من الاصحاح الواحد والثلاثين نفسه : « فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها ، أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً : خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم ، لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة ، هوذا وأنا بعدُ حيّ معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي ، إجمعوا إلي كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات ، وأشهد عليهم السماء والأرض ، لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به ويصيبكم الشر في آخر الأيام لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم ».

فالتوراة لم تكن بأيدي الشعب بل كانت محفوظة بعيدة عن متناول الأيدي ، وحدد موسى الوقت الذي تقرأ فيه على مسامع الشعب والغريب عنه أيضاً « لكي يسمعوا ويتعلموا » وأمر بوضعها بجانب تابوت العهد ليكون شاهداً عليهم .

وهذه النسخة التي كتبها موسى فقدت قبل عهد سليمان عليه السلام لأن في عهده لم يجدوا في التابوت غير اللوحين اللذين كتبت فيها الوصايا العشر ، ففي سفر الملوك الأول بالاصحاح الثامن في الفقرة التاسعة : « لم يكن في

التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعها موسى » .

ونهبت أورشليم وخربت غير مرة ، ففي سنة ٩٢٠ ق.م قام أحد فراعنة مصر – واسمه شيشنق وتذكره التوراة باسم شيشق – بنهب أورشليم وسلب ما كان في قصر سليمان والهيكل من كنوز وتحف ، وفي سنة ٥٨٦ ق.م خرب نبوخذ نصر اورشليم تخريبـاً ، ونهب كل ما في الهيكل ، وقتل الإسرائيليين وأجلى الأحياء منهم إلى بابل ، وفي سفر الأيام الثاني ، الاصحاح ٣٦ والفقرات ١٦ – ٢٠ : « ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفـاء ، فأصعد عليهم ملك الكلدان فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم ، ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده ، وجمع آنيـــة بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه أتى بها جميعاً إلى بابل ، وأحرقوا بيت الله وهدموا سور اورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار وأهلكوا جميع آنيتهـا الثمينة ، وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيداً إلى أن ملكت فارس » .

وفي عهد انطيوكوس الرابع ملك السلوقيين (١٧٥ – ١٦٤ ق.م) دخل اورشليم حرباً وعاث فيها فساداً ، وأباحها لجيشه ، وقتل وأسرف في القتل ، وأخذ كل ما كان في الهيكل ونقله إلى أنطاكية ، وأجبر اليهود على اعتنـاق الوثنية وعبادة الإله الاغريقي « زفس » وتقديم القرابين له بدل إلههم يهوه .

ولم يكتف انطيوكوس بما فعل ، فبعد عودته إلى أنطاكيـة بعث جيشاً قوياً بقيادة قائده الأول «أبلونيوس» الذي اختار يوم السبت لدخول أورشليم وتظاهر بالسلام والمحبة ، وفتك باليهود فتكاً ذريعاً ، ودك أسوار اورشليم ، ولم يدع منه حجراً على حجر ، وزاد في التنكيل بهم عن انطيوكوس نفسه ، فجعل يوم السبت يوم عمل ، وأجبر اليهود عليه ، ومنع الختان ، وشيد معبداً

لزفس وملعباً رياضياً حتى ينقل اليهود من ديانتهم إلى ديانة الاغريق الوثنية .

وتاريخ هذه الفترة بالنسبة لليهود لا يخلو من شرف لهم ، فقد صبروا على البلاء الماحق وقاوموه وضحوا بأنفسهم في سبيل عقيدتهم ، وأبدوا من صنوف البطولة والصبر ما أجبر انطيوكوس على الاعجاب .

لقد قتلوا النساء والرجال والأطفال ، قتلوا المختونين من الأطفال كما قتلوا الخاتنين ، وامتنع كثير من اليهود بل أكثرهم عن الخضوع لأوامر انطيوكوس فأبوا أن يأكلوا لحم الخنزير ويتركوا الختان ويعبدوا زفس .

وأشار سفر المقابيين إلى ما أبدى شيخ كهل من الصبر وسبعة شبان إخوة من العناد البطولي حتى أحرقوا جميعاً بأمر انطيوكوس .

ويروي سفر المقابيين عن هؤلاء الشبان السبعة ما يثير الاعجاب ، فقد كان الملك يريد أن يستخلصهم ، فعرض عليهم أن يأكلوا لحم الخنزير فأبوا ، وأغراهم ولكنهم تشبثوا بالاباء فأراهم آلات التعذيب فلم يبالوا ، وكانت أمهم تشجعهم وتذكرهم بالله وتنصحهم أن يثبتوا ، فالشهيد إلى الجنة، فثبتوا على إيمانهم ، فعذبوا ثم قتلوا دون أن يبدو من أحدهم غير ما يثير الاعجاب ، حتى أن انطيوكوس نفسه أعلن لجيشه إعجابه بهؤلاء الشهداء وطلب اليهم أن يكونوا مثلهم في الشجاعة والصبر .

وإذا كان الخيال زوق هذه القصص فإنه مما لا شك فيه أن اليهود قد اضطهدوا على يد انطيوكوس اضطهاداً بشعاً لا حد له .

وهذا البلاء المتكرر لم يدع في الهيكل توراة ولا أي كنز أو تحفة ، ويؤيد فقدان التوراة فقداناً تاماً مصادر لا يرقى اليها الشك ، ومنها ما هو

يهودي ، ففي دائرة المعـارف اليهودية الانجليزية [١] أن عزرا (المعروف عند العرب بعزير) هو الذي نشر الشريعة بعد أن نسيت .

وفي كتاب « إظهار الحق » [٢] .

قال كليمانس إسكندريانوس : « إن الكتب السماوية ضاعت فألهم عزرا أن يكتبها مرة اخرى . وقال ترتولين ، المشهور أن عزرا كتب مجموع الكتب بعد أن أغار أهل بابل على أورشليم » [٣] وقال تهيو فلكت : « إن الكتب الالهية انعدمت رأساً فاوجدها عزرا مرة اخرى بإلهـام » وقال جان ملنر كاتلك في الصفحة ١١٥ من كتابه الذي طبع في بلدة دربي سنة ١٨٤٣ «اتفق أهل العلم على أن التوراة الأصلية وكذا نسخ كتب العهد العتيق ضـاعت من أيدي عسكر بخت نصر ولما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطـة عزرا ضاعت تلك النقول أيضـاً في حادثة انتيوكس » وانتيوكس هو انطيوكوس الرابع الذي أشرنا اليه .

ولم يأت ذكر للكتاب المقدس خلال القرون الماضية قبـــل سليمان عليه السلام ، وداود نفسه نزل عليه الزبور وكان عارفاً بشريعة موسى ومنفذها ، وقد ثبت أن التوراة لم تكن على عهد سليمان لخلو التابوت منه حيث لم يكن به غير لوحي موسى ، وليس هنالك نص على وجود التوراة الأصلية في عهد داود عليه السلام .

وفي عهد يوشيا الذي ملك سنة ٦٣٨ ق.م تقريباً عثر على «سفر الشريعة»

---

(١) طبعة سنة ١٩٠٣ م .
(٢) تأليف الشيخ رحمة الله الهندي (راجع الجزء الأول ص ١٦٧ من طبعة الاستانة) .
(٣) في الأصل : «بابل بروشالم» .

ففي الاصحاح الثاني والعشرين من سفر الملوك الثاني أن الملـــك أرسل إلى الكاهن حلقيا أن «يحسب الفضة المدخلة إلى بيت الرب» وفيه (الفقرة ٨) : «فقال حلقيا الكاهن العظيم لشافان الكاتب قد وجدت سفر الشريعـة في بيت الرب وسلم حلقيا السفر لشافان» الخ .

وفي تاريخ يوشيا أنه كان على سنة داود ومشى في الطريق المستقيم كما جاء في سفر الملوك الثاني (ح ٢٢ ف ٢) وأعاد التوحيد إلى اليهود الذين دخلوا قبله في الوثنية ولكنه لم يجد التوراة حتى يحكم بما فيهـا ، وأمضى سبعة عشر عاماً في الملك بدون توراة حتى وجد حلقيا الكاهن «سفر الشريعة» في السنة الثامنة عشرة لملك يوشيا .

ويقول الدكتور جورج بوست في «قاموس الكتــاب المقدس» في هــذه النسخة : ربما كانت سفر التثنية وحده ، ويدعون أن الحكم كان عليه مــدة السنوات التي بقيت من حكم يوشيا .

ويذهب اليهود إلى أن عزرا هو الذي كتب التوراة من جديد بعد أن ألهمه الله، وعزرا هو ابن سرايا بن عزريا بن حلقيا وصعدوا بنسبه إلى هارون عليــه السلام ، ويعتبر اليهود عصره – كما تذكر دائرة المعـــارف اليهودية الانجليزية (طبعة ١٩٠٣ م) – ربيع تاريخ الديانة اليهودية ، ويملأ فراغ موسى حيث يشغل مكانة عليا تقابل مكانة موسى، وينسبون إلى عزرا تأسيس المجمع الكبير ، وجمع أسفار الكتاب المقـدس ، وتأليف سفري الأيام وسفر عزرا ونحميا ، وعلى يديه تم نقل اليهود من بابل إلى فلسطين نحو سنة ٤٥٧ ق م.

وعلى هذا فإن عزرا كتب التوراة إلهاماً أو أن يكون جامعهـا ، وإذا أُريد التوفيق بين الادعاءين جاز لنا أن نذهب إلى أن من الجائز أن يكون

بعض ما في التوراة مكتوباً وموجوداً في يد بعض الأفراد ، فجمعه منهم عزرا ، ولهذا وصفوه بأنه مرمم الأسفار المقدسة ، وألهم الباقي .

وإذا صح صنيع عزرا فإن ما صنعه لم يبق على مدى الأيام، فإنطيوكوس الملك السلوقي أحرق المعبد وخرب أورشليم وتتبع نسخ العهد القديم ، وأنذر من لديه منها شيء أن يسلمه أو يقتل ، وأحرق ما وجد ، وذكر يوسيفوس مؤرخ اليهود اليهودي وغيره من المؤرخين أن كل النسخ التي كتبها عزرا « انعدمت » .

وذكر المؤرخون أن استيلاء الامبراطور تيطس الروماني على أورشليم وبلاد اليهود سنة ٧٠ م صحبه إتلاف نسخ كثيرة .

وعزرا هو الذي ينسب إليه حفظ الشريعة وكتابة الكتاب المقدس بعدما تعرضا له من محو وفقدان ، هو نفسه لم يسلم من إنكار وجوده فقد جاء في دائرة المعارف البريطانية [١] أن أسطورة عزرا اختلقها مختلقون .

ولا شك عندنا أن ما يسمى الآن « التوراة » ليس توراة موسى ، فما فيه من وثنية وشرك ووصف مهين للأنبياء والمرسلين ونسبة الفواحش إلى بعضهم كداود لا يتفق مع كمال الله المطلق وعصمة الأنبياء .

ولم تكن التوراة محفوظة في الصدور حتى اليوم مثل القرآن الكريم الذي كان يحفظه بعض الصحابة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وحفظه بعده كثير حتى يومنا هذا يعد حفظته ومستظهروه بالآلاف ، ولم تكن التوراة كالقرآن للناس بل كان لموسى ثم حفظ في الهيكل مع التابوت ولم يكن

(١) ص ١٤ ج ٩ الطبعة الرابعة عشر سنة ١٩٢٩ م .

الاطلاع عليه مباحاً لأحد ، بل كان مقصوراً على آحاد من الكهنة المختصين مما جعل فقدانه سهلاً يسيراً .

وأنا لا أنكر أن من التوراة ما كان بيد الكهنة يعرفونه ولكنهم يخفونه أسوة بموسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، ومن هذا الإخفاء التقليدي كان لدى اليهود أسفار غير أسفار العهد القديم يخفونها ، وأشار القرآن الكريم إلى ذلك في آيات بسور مختلفة .

﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ الذي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ .

و ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ ﴾ .

ولا يقتصر اليهود على أسفار العهد القديم التسعة والثلاثين بل لديهم ما يعرف بأسفار « التلمود » وهي قسمان : تلمود بابل وتلمود فلسطين ، والأول هو المعتمد الذي يعول عليه اليهود حتى اليوم ، ولا يعولون على التلمود الآخر الذي وضع في فلسطين .

والتلمود المعتمد جهد نحو ألفي عالم من علماء اليهود خلال خمسة قرون ، وأقوالهم تتناول كل أسس الديانة الموسوية ومبادئها وشرائعها حسبما يراه هؤلاء العلماء .

وليس التلمود و « المشنا » واحداً ، لأن التلمود لا يحوي كل ما في المشنا، ويقال : إنه التلمود على صيغته الأولى ، و « شنا » كلمة عبرية يقابلها في العربية « ثنى » ، وإذا كان « شنا » بمعنى أعاد وكرر فإن « ثنى » العربية

لا تخلو من معنى الإعـادة والتكرار ، فالاثنان تكراراً لواحد ، وأطلقت « المشنا » على المأثورات التي يستظهرها الحفظ بتكرار ذكرها حتى ترسخ في الذاكرة .

وما في « المشنا » من مأثورات يعود إلى عهد جلاء اليهود من فلسطين إلى بابل على يد نبوخذنصر (٦٠٥–٥٦٢ قبل الميلاد) ، وهو شرح ما يطلق عليه التوراة وتفسيره والتعليق عليه مما كتبه أحبار اليهود وفقهاؤهم والربانيون منهم والكهنة ، كما يضم العظات التي تلقى في المعابد .

ويرجع تدوين المشنا الى القرنين الأول والثاني بعد الميلاد ، فقد كانت قبل التدوين محفوظة يتناقلها الرواة حتى تم لها التدوين .

وتتكون المشنا من ثلاثة وستين رسالة مشتملة على خمسمئة وأربع وعشرين فقرة ، موزعة على ستة أقسام :

الأول – قسم الزراعة وفيه الأحكام والمعاملات الخـاصة بالزرع والسقي والمحصول .

الثاني – قسم الموعد وفيه مواقيت المواسم ومواعيد الأعياد .

الثالث – قسم النساء ويحوي ما يتصل بالمرأة وأحكامـه وأوامر ونواهي خاصة بها ، وفيه ما يخص الزواج والطلاق والأحوال الشخصية .

الرابع – قسم المعاملات والأحكام .

الخامس – قسم العبادات والفرائض .

السادس – قسم الطهارة .

وأضيف الى « المشنا » في العصور الحديثة ما يعبر عنه بالإضافات أو الملاحق والذيول ، وأكثرها مما أضافه كهان اليهود الأوربيون إلى القرن الثاني عشر الميلادي ، وتسمى هذه الاضافات بالعبرية « التصافوت » من « يصاف » بمعنى « يضاف » وهي مزيد من الشرح والتوضيح لما في المشنا .

وليس في « المشنا » كل ما أثر عن رؤساء اليهود الدينيين ، بل هناك ما هو خارج عنه مما يتناقله اليهود رواية ومشافهة ، ويسمى « البراتيا » أي البرانية .

وشرحت « المشنا » وأطلق على شروحها وتكملتها اسم « الجمارا » بمعنى التكملة ، ومن المشناة والجمارا يتألف التلمود ، والجمارا مؤلف باللغة الآرامية .

ولدى اليهود غير التلمود من الكتب مثل « المدراش » أي الدراسات ، ويضم أقوال الفقهاء ، وشروحهم لبعض النصوص وتعليقاتهم عليها ، وأشهر ما عرف من كتب « المدراش » : مدراس رباه ، وهو دراسة للتوراة في أسفارها الخمسة ، وهي في قيمتها تلي الجمارا .

ولكن « التلمود » أعظم المأثورات الاسرائيلية، بل هي أعظم من التوراة عندهم ، وفيه ما يندى له الجبين ، بل فيه كفر لا يتفق مع ديانة التوحيد اليهودية .

في التلمود تجن سافر على المسيح عليه الصلاة والسلام ، فهو متهم بولادة غير شرعية ، وأمه الصديقة هدف سهام يهودية مسمومة ، والمسيح خارج عن الايمان ، ومحروم من رضا الله ، وخاطىء ويدفع الشعوب الى الخطيئة ، وسرق اسم « يهوه » المبارك وادعاه لنفسه ، فعقابه جهنم وبئس المصير إلخ.

وبلغ من جرأة اليهود أن عالماً من كبــار علمائهم في العصر الحديث وهو « لوب » نشر في مجلة « الدروس اليهودية » ما يؤيد شتيمة المسيح واتهامه ، وهذا نصه :

« أي عجب أن يتضمن التلمود بعض المذمات في حق يسوع؟ إنما الغريب أن يكون الأمر على نقيض ذلك ، وإن كان لا مفر من العجب فلنعجب من أن التلمود لم يذكر من المذمات أكثر مما ذكر » .

والتلمود الحقيقي ممـــا أخفاه اليهود فلا يطلعون عليه أحداً ، لأن فيه ما لا يمكن قبوله، وإن كان مطبوعاً عديداً من الطبعات أقدمها طبعة البندقية سنة ١٥٢٠ م ثم توالت الطبعات ، فكانت شراً على اليهود وبلاء مـــا حملهم على تكوين « مجمع » قام بتنقيح التلمود وحذف ما يثير عليهم الفتن وإخلائه مما هو شاذ وناب ومستهجن .

والتلمود عنـــد اليهود أعظم مكانـــة وقدسية من التوراة ، ويزعمون أنه أقدم من الخليقة لأنه وجد قبلهـــا ، مع أنه شروح متأخرة وأقوال بعد التوراة وموسى .

ومن قدسية التلمود عندهم أن فيالتوراة أحكاماً لا يعاقب تاركها بالموت، أما التلمود فإن من يخالف منه حرفاً فجزاؤه القتل ، بل بلغ عقاب من يهزأ بكلمة من التلمود ما لا يخطر بعقل بشر غــــير من ابتكروه ، وهو أن «يغمس في الغائط ويساق فيه حياً الى أن يموت» ولا يتعجل القارىء فسننقل له نص ذلك ومصدره .

بل ورد في التلمود الأصلي أن كلام الحاخام حق ، ومـــا يقوله أو يقره شريعة الله ، بل هو إله لأنه يصبح « يهوه » بل هو أعظم من الله ، فإذا كان

هناك خلاف بين الله والحاخام فالحق مع الحاخام ، بل الله خاضع للحاخام لأن عليه إجراء ما يريده الحاخام .

وإذا كان القارىء غير مصدق هذا فله العذر ، ولكن هذا نص ما جاء في التلمود الأصلي ، وهو غير التلمود المنقح الذي تتداوله الأيدي :

« التلمود وجد قبل الخليقة ، ولولا التلمود لزال الكون » [سفر بشليم ٥٤ و٥٨ من التلمود الأصيل] .

« إحذر يا بني – يقول الحاخام رابا – واتبع التلمود لا التوراة، فالتوراة تتضمن أحكاماً لا تستوجب مخالفتها عقاب الموت، وأما من يخالف حرفاً جاء في التلمود فالقتل عقابه، ومن يهزأ بكلمة من كلمات التلمود يغمس في الغائط ويساق فيه حياً إلى أن يموت» [سفر روبين ٢١ حرف ب من التلمود الأصل].

« إن الله يدرس التلمود منتصباً على قدميه » [سفر مجيلا ٢١] .

« من يعارض حاخاماً أو يناقشه أو يتململ منه يعارض العزة الإلهية » و « كلام الحاخام إن ناقض كلام حاخام آخر هو من وحي الله أيضاً ، فلليهودي أن يختار من الكلامين المتناقضين ما يوافقه » [سفر شولبين وسفر جيباموث] .

« إن الحاخامين ملوك ، ويجب إكرامهم كملوك » [سفر جينين ٦٢] .

« دخلت يوماً قدس الأقداس فرأيت الله جالساً على كرسي مرتفع، فقال لي : باركني يا بني ، وإذ باركته شكرني وسلم وانصرف [سفر بيراشون ٧ حرف أ] .

« ما يقوله الحاخامون على الأرض هو شريعة الله » [سفر روس هشاشا ٨ حرف ب] .

« الحاخامون يصبحون جميعاً آلهة ويدعون يهوه أي الله »] سفر باباتبرا ٧٥ حرف أ] .

« للحاخامين السيادة على الله ، وعليه إجراء مـا يرغبون فيه » [سفر مويدقنان ١ حرف أ] .

« إذا احتدم الخلاف بين الحاخامين والله فالحق مـع الحاخامين » [سفر بابا مزيا ٨٦ حرف أ] [١].

ومن أقوال التلمود :

« لا عمل لله في الليل غير تعلم التلمود مع الملائكة » .

و « في ساعات النهـــار الثلاث الأخيرة يجلس الله ويلعب مع الحوت ملك الأسماك » .

و « إن الله ليس معصوماً من الخطأ ، فهو يندم على تركـه اليهود شعبه المختار في حالة التعس عندما كتب الذلة والمسكنـــة عليهم ، وصرح بهدم اورشليم ، ولهذا فهو يبكي وينوح كل يوم » .

و « الله ليس معصوماً من الطيش ، لأنه حين يغضب يستولي عليه الطيش ، كما حدث يوم غضب من بني إسرائيل في الصحراء ، وحلف أن يحرمهـم من الحياة الأبدية ، ولكنه ندم على ذلك بعد إفاقتـه ، ولم ينفذ القسم ، وهو يحنث في يمينه » .

و« إن الله يكذب بقصد الاصلاح ، إذ كذب ليصلح بين إبراهيم وزوجه سارة ، ولذلك فالكذب حسن وسائغ من أجل الاصلاح » .

---

(١) النصوص المنقولة هنا هي ما استشهد به الأستاذ نقولا الحداد في مقال له بعنوان «التلمود خداع اليهود» منشور بمجلة الرسالة ، العدد ٧٧٠ الصادر في ٢٥/٥/١٣٦٧ هـ (٥/٤/١٩٤٨م).

و « خلق الله الشياطين يوم الجمعة عند الغروب ، ولم يخلق لهم أجساداً وملابس ، لأن يوم السبت كان قريباً فلم يكن لديه من الوقت ما يكفيه لخلق الأجساد والملابس » .

و « أرواح اليهود أعز لدى الله من أرواح غيرهم ، وأرواح غير اليهود أرواح شيطانية » .

و « يسوع الناصري في لجج الجحيم بين العار والنار ، وحملته أمه من « باندارا » العسكري سفاحاً ، والكنائس المسيحية قاذورات ، وأساقفتها كلاب نابحة ، وقتل المسيحي فريضة على اليهودي ، والعهد مع المسيحي ليس عهداً ملزماً يجب الوفاء به ، وفرض على اليهودي لعن رؤساء المسيحية » الخ.

وتقوم الديانة اليهودية على هذه الأسس : الشريعة وهي « التوراة » وتكرارها أو تثنيتها التي تتجلى في « المشنا » وفقه الشريعة الذي يحتويه « الجمارا » ووراء هذه الكتب تل من الشروح والمؤلفات تأتي على قمتها أقوال الآباء .

وفي الجزء الفقهي من المشنا طائفة من أقوال الآباء الموجزة وضعت بين القسم الذي يبحث في الوثنية والقسم الذي يتعلق بالخطايا العفوية الناجمة من قلة خدمة بعض المرشدين والكهنة .

وهذه الأقوال الموجزة تتسم بطابع الحكمة والمثل ، ولها من المكانة لدى اليهود ما جعلهم يضمونها إلى سفر صلواتهم ، وقصد من ذلك الاصلاح والعظة والتطهير ، فالعامة الذين لا يدركون أسرار التوراة ولا يفهمون التلمود يجدون في أقوال الآباء غذاء أرواحهم وضمائرهم وقلوبهم .

وعني علماء اليهود ومفكروهم بشرح هذه الأقوال وأسهبوا فيـه وأبانوا مكانتها في الآداب الموسوية وأثرها في نفوس اليهود، وضمت شروحها في كتاب مقسم إلى ستة أبواب ، ويضم كل باب فصولاً أشبـه بالفقر ، ويحوي كل باب عديداً من الفصول ، وأصغر الأبواب يحوي أحد عشر فصلاً ، وأكبرها سبعة وعشرين فصلاً .

ومن طرائف هذه الأقوال وأجملها :

إذا أردت أن تحكم على أحد فضع نفسك مكانه .

أحبب العمل وابغض الرئاسة وترفع عن خدمة السلطات الحاكمة .

حفظ الدنيا مضمون بثلاثة : الصدق والعدل والسلام .

كن رجلاً في الموضع الذي يُفْتَقَد فيه الرجال .

من يكثر من اللحم يكثر من الديدان ، وإكثار المـال إكثار الهم ، وكثرة الخدم تزيد الفسق .

المزاح يفضي الى الحماقة ، وهي تهدي الى الفسق .

الحكيم من يتعلم من جميع النـاس ، والقوي من يملك هواه ، والغني هو القانع بما في يده أو بنصيبه ، والشريف من يحترم أبناء جنسه .

ليس في مقدورنا تصور ما ينجم من رخاء اللئيم وجوع الكريم .

ثمرة تكفـّي العلم من الشبان هي الحصرم .

ما كان للسيف وجود لولا التهاون في العدل ، والانصراف عنه .

وهناك كتب إسرائيلية أخرى لم تصل الى درجة الأسفار التي أشرنا اليها، لأنها لم ترتفع إلى درجة القداسة .

ومكتبة الديانة اليهودية حافلة بآلاف الرسائل والشروح والذيول والصلات والتكملات في العقيدة والفقه وفي الفلسفة والاجتماع وغير ذلك من العلوم والآداب والفنون، ولكن أعظمها الأسفار المقدسة التسعة والثلاثون على رأي الكنيسة البروتستانتية، والستة والأربعين على رأي كنيسة الكاثوليك، وأعظم من هذه الأسفار الأسفار الخمسة المسماة « التوراة ».

ولكن اليهود يجمعون على أن « التلمود » أعظم أسفارهم المقدسة، وأكثر قداسة من التوراة نفسها.

اليهُود أعـدَاء الله وَرُسُـله

لم تعهد البشرية في تاريخهـا شعباً متوحشاً كاليهود ، لا يبالي بالقيم الانسانية والمثل الرفيعة ، فهو يدوسها في سبيل شهواتـه وبغيه ، ولم ينج رضيع من جبروت اليهود ووحشيتهم ، ممـا يثبت أن توحشهم طبع أصيل فيهم ، فالرضيع لم يأت بأذى ، ولكن حقدهم المشتعل يدفعهم الى إيذاء كل الناس .

ولا يستثنون أحداً من غيرهم ، فالمسيحيون والمسلمون وكل أصحـاب الديانات والملل والنحل والملاحدة واللادينيون والجاحدون وجود الله ، كلهم هدف اليهود ، ومنزل نقمتهم وبغضهم ومقتهم .

وتفنن اليهود في ابتكار وسائل التعـذيب التي يغفل عنها الشيطان الرجيم نفسه .

واليهود لا يؤمنون بوجود الله ، وأما إيمانهم بالإله « يهوه » فهو إيمان شر

من الكفر اللئيم ، لأنهم يصورونه صورة غاية في الضعة والضعف والهوان والوحشية .

فالله سبحانه وتعالى عندهم كالبشر ، يختلف عليه ما يختلف على البشر من النقائض والعيوب ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فهم يذكرون في توراتهم المزيفة أن الله تصارع مع يعقوب وها هي ذي روايتها في سفر التكوين ، بالاصحاح الثاني والعشرين :

« ... بقي يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه ، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال : أطلقني فقد طلع الفجر، فقال : لا أطلقك إن لم تباركني إلخ».

وهذا الانسان الذي تصارع مع يعقوب هو الله ، وجعلوا يعقوب ينتصر على ربه .

ولا يكفيهم ذلك فيصفون الله بالخبث والندم على الشر الذي يفعله ، كما يذكر سفر الخروج ٣٢ : ٧ — ١٢ وهو أحد أسفار التوراة المحرفة المكذوبة.

وهؤلاء اليهود يضفون على الله صفاتهم المرذولة ، ويزعمون أن الله أمرهم بقتل الرضع ، فيذكر سفر صموئيل الأول ١٥ : ٣ ما نصه : « أقتل رجلا وامرأة ، طفلا ورضيعاً ، بقراً وغنماً ، جملا وحماراً » .

وكل أعمالهم الإجرامية البشعة يخلعون عليها أثواب القداسة فيزعمون أنها أمر الله ، وتعالى الله عما يفعلون .

بل ينزلون الله الى مرتبة أقل من مرتبة رؤسائهم ، فيزعمون في « التلمود »

الذي يعتبرونــه أقدس من توراتهم عن الله مزاعم باطلة ، فيقول سفر باباتبرا ٧٥ حرف أ ما نص ترجمته : « الحاخامون يصبحون جميعاً آلهة ، ويدعون يهوه أي الله » ، وفي سفر مويدقنان ١ حرف أ : « للحاخامين السيــادة على الله ، وعليه إجراء ما يرغبون فيه » .

وكل فكرة عن الألوهية لدى اليهود في توراتهم وأسفارهم وتلمودهم فكرة قبيحة، وكل صفة يخلعونها على الله إنما هي انعكاس صفاتهم المشوهة والرديئة .

وماذا نجد عند شعب يصف ربه بشرّ النعوت وأقبــح الصفات في أقدس كتبهم ؟ ماذا نجد لديه من المكارم والمحامد وهو خلو منهــا ، فإذا كان ربهم موصوفا منهم بالنقائص فانهم لكافرون ألأم كفر وألأم إلحـــاد ، وإنهم لأشد نقصاً مما يصفون به ربهم غير المعبود .

وإننا نرى الوثنيين يخلعون على أربابهم صفات الكمال ، ولكن اليهود أقبح وثنية من جميع الوثنيات .

بل بلغت باليهودية السفالة أن جعلوا الله سبحانه وتعالى في سفر صموئيل الثاني — الاصحاح الثاني عشر — يقضي بفعل الفاحشة التي يمقتها أشد المقت من خلقه ويحكم على مرتكبيها بالموت ، وهذا هو نص ما جاء فيه في الانذار أو الحكم الذي قضى به الله سبحانه وتعالى علىداود المتهم بفعل الحرام في امرأة مجاهد:

« قال الرب : هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك ، وآخذ نساءك أمـــام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائــك في عين هذه الشمس ، لأنك أنت فعلت بالسر، وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع اسرائيل وقدام الشمس».

تعالى الله عز وجل عن هذه الصفات وهذه الأعمال التي لو عملها إنسان

لاستحق اللوم ، ولكن اليهود يصفون الله بما وصفوه به من العيوب والنقائص ليسوغوا لأنفسهم الموبقات والفواحش وكل المنكرات .

فاذا كان الله موصوفاً من قبل كتاب اليهود المقدس بما وصفوه بــه فان رسله لم يسلموا من وصف اليهود إياهم بشر ما يوصف بــه بشر، فكل رسلهم الكرام مطعونون في أسفــار اليهود المقدسة ، فإبراهيم ولوط ويعقوب وبعض أولاده وداود وسليمان صلوات الله على نبينا وعليهم وغيرهم من رسلهم وأنبيائهم مطعونون في أخلاقهم ومعتقداتهم .

وعيسى عليه الصلاة والسلام مطعونة أمه العذراء من قبل اليهود شر طعن، وعيسى نفسه موضع النقمة الأبدية منهم ، والمسيحيون منذ كانوا حتى يرث الله الأرض منقوم عليهم الى أبد الآبدين .

جاء في التلمود كتاب اليهود المقدس أكثر من توراتهم ما نصه :

« يسوع الناصري في لجج الجحيم بين القار والنار، وحملته أمه من «باندارا» العسكري سفاحاً ، والكنائس المسيحية قاذورات ، وأساقفتها كلاب نابحة ، وقتل المسيحي فريضة اليهودي ، والعهد مع المسيحي ليس عهداً ملزمــاً يجب الوفاء به ، وفرض على اليهودي لعن رؤساء المسيحية إلخ ..

هذه عقيدة اليهود في الله جـــل جلاله ، وفي الرسل الكرام وفي الناس جميعاً .

وإني لاعجب من المسيحيين ورؤسائهم الدينيين وحكامهــم المدنيين كيف يؤيدون اليهود الذين يطعنون مسيحهم هذا الطعن النافذ ، ويطعنون أمــه ، ويطعنون كل المسيحيين ؟

وإذا كان الفرد العادي من المسيحيين لا يعلم ما في كتـاب اليهود المقدس فإن علماءهم يعلمونه حق العلم ، وقد نشروا ما وقفوا عليه في الصحف والكتب التي ألفوها ، ومع هذا يؤيدون اليهود في عدوانهم على العرب وعلى جميـــع مقدسات الأديان الاخرى .

ورسول الاسلام أراد الخير لليهود ، ولكنهم استكبروا على الحق والخير ، وآذوه وشتموه ، وغدروا به وأعانوا عليه عدوه ، وخانوا العهـــد ونصروا أعداءه ، وعندما طوق أعداؤه الاسلام كله في المدينـة نكثوا عهودهم مع رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، وانضموا إلى أعدائـه الأقوياء لولا أن خذلهم الله جميعاً .

واليهود يتوارثون عداءه وبغضه ، وفي سفر حازوحار (المطبوع بالفرنسية في باريس) سنة ١٩٥٧ ج ٢ ص ٨٨ : «يا أبناء إسرائيل ، اعلموا أننا لن نفي محمداً حقه من العقوبة التي يستحقها حتى ولو سلقناه في قدر طافحة بالأقذار ، وألقينا عظامه النخرة للكلاب المسعورة لتعود كما كانت نفايات كلاب ، لأنه أهاننا وأرغم خيرة أبنائنا وأنصارنا على اعتناق بدعته الكاذبـة ، وقضى على أعز آمالنا في الوجود ، ولهذا يجب عليكم أن تلعنوه في صلواتكم المباركة أيام السبت ، وليكن مقره في جهنم وبئس المصير » .

ويعرف العرب والمسلمون نيات اليهود ، ولكنهم مع ذلك غافلون .

والعرب الذين يقاتلون إسرائيل وحكامهـــا الصهيونيين لا يقاتلونهم عن عقيدة ، وأما قتال اليهود فعن عقيدة تدفعهم إلى محاربـة المسلمين والعرب وكل الناس .

والعقيدة لا تحارب بغير العقيـدة ، ولو أن العرب حاربوا باسم العقيدة

الصحيحة لاستطاعوا قهر عقيدة اليهود الباطلة .

واتخذ اليهود في محاربتهم العرب كل الوسائل ، وبرعوا في الدعاية حتى ضللوا العالم ووفقوا لأن يجعلوا أكثر القوى في العالم تناصرهم، وسوغوا باطلهم، والعرب لم يتخذوا للحرب أسبابها ، ولم يوفقوا في الدعاية ، مع أنهم يملكون الأدلة والوسائل التي تدين إسرائيل ، ويستطيعون إثارة المسيحيين عليهم ، وفي وسع العرب أن يحيلوا أنصار إسرائيل أشد الخصوم .

ومع أن « التلمود » مزدحم بالكفر وشتم المسيح عليه الصلاة والسلام ، وطعن أمه الشريفة العذراء ، وأكبر رجال الدين المسيحي ، مليء بما يجعل الناس أعداء لليهود لم يقم العرب حتى اليوم بترجمته وطبعه .

وليس في الأرض أقذر من اليهود ، فكل خلائقهم رضعت لبان الدنس ، وكل أعمالهم غاية في الشر والأذى والمنكر ، ومع هذا يجدون من المسيحيين عطفاً ونصرة وعوناً ، مع أن الحق يقضي على المسيحيين أن يعادوا اليهود الذين آذوا المسيح .

وتلك براعة اليهود التي أكسبتهم النصر المبين على العرب ، وما كانوا لينتصروا لو أن العرب رجعوا إلى دينهم الذي ارتضاه لهم الله ، وطلبوا اليه النصر بحقه وأسبابه .

وانه لعجيب من المسيحيين أن ينصروا اليهود ويساعدوهم ضد العرب والمسلمين ، ولو عقلوا وأرادوا الحق لعادوا اليهود الذين يعلنون في تلمودهم المقدس أن « المسيح في لجج الجحيم بين القار والنار ، وحملته أمه من باندارا العسكري سفاحاً ، والكنائس المسيحية قاذورات ، وأساقفتها كلاب نابحة ».

ولو عقـــل المسيحيون وأرادوا الحق لوجب عليهم عداء اليهود وحربهم ومسالمة المسلمين ومناصرتهم لأن كتابهم المقدس (القرآن الكريم) يقول :

﴿ وَإِذْ قَالَتِ المَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَـــاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ ﴾ .

و (مَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ) .

و (يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) .

و (وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ القَانِتِينَ) .

و (وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ البَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ) .

وفي الوقت الذي تدنس أسفـــار اليهود وبخاصة توراتهم وتلمودهم الرسل الكرام ، وترميهم بأبشع التهم وأقذرها ينزه المسلمون رسل اليهود والنصارى أعظم تنزيه ، فيقول كتاب المسلمين المقدس (القرآن الكريم) :

(وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً) .

و (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ . إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ . وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ) .

و (وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ القَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ . وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) .

والقرآن الكريم يذكر كل الرسل ذكراً محموداً منزهاً من الآثام ، ويذكر في حقهم العصمة التي لا يكتفي اليهود بنفيها عنهم ، بل يتهمهم تهماً لا يرضى بها الانسان العادي ، لأنها مسقطة له .

وإذا كان المسيحيون يمجدون المسيح الى حد الألوهيـة والربوبية فكيف يوالون اليهود الذين يصفون المسيح وأمه وأكـبر رجال الدين المسيحي شر ما يوصف مخلوق به ؟.

إن على العرب في هذا الصراع الرهيب مع اليهود أن يتخذوا سلاح الدعاية الحق بالحق حتى يزيلوا الغشاوة عن عيون أهل الأرض ويكشفوا لهم حقيقة هذا الشعب الذي كان نقمة عليهم وفساداً كبيراً .

أسفار اليهود المقدّسة
تَلعنهم وتتنبأ بزوال دولتهم واستئصالهم

لكل أتباع دين كتابهم المقدس ، فللمسيحيين كتابهم المقدس ، وللمسلمين وللهندوس، وللمجوس، ولليهود كتابهم المقدس، ولكن كل أسفار اليهود تلعنهم وتركبهم بالشتم والدعاء عليهم، مما يتفردون به دون سائر من لهم كتب مقدسة.

واليهود يستحقون اللعنة التي لا تفارقهم ، فهم قد كفروا بربهم، وتناولوا رسلهم وأنبياءهم بشر ما يكون التناول ، وعادوا كل بني البشر ، وحقدوا عليهم ، وتربصوا بهم الدوائر ، ودبروا لهم كل ما يشينهم ويؤذيهم ويحطمهم، واستباحوا الحرمات ، واتخذوا أقذر الوسائل لتحقيق غاياتهم .

واليهود يتفردون دون بني البشر الذين لهم كتب مقدسة بأن كتابهم المقدس يلعنهم بالاجماع ، ويبين حقيقتهم وما طبعوا عليه من اللؤم والبخل وكل الشرور والموبقات .

ولا نريد أن نكثر من الشواهد لأن بعضها يغني عن بعض ، وقطرة الماء تدل على خصائص الماء كله .

في سفر اشعياء – أحد أسفار اليهود المقـدسة لديهم ولدى المسيحيين – ٦ : ٨ – ١٣ : « ان الله قال : اذهب ، وقل لهذا الشعب: اسمعوا سمعاً ولا تفهموا ، وابصروا ابصاراً ولا تعرفوا ، غلظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه ، واطمس عينيه ، لئلا يبصر بعينيه ، ويسمع بأذنيه ، ويفهم بقلبه » .

وفي سفر اشعيـاء نفسه بالإصحاح التاسع ، فقرة : ١٣ – ١٧ : « يقطع الرب من إسرائيل الرأس والذنب والنخل والاسل في يوم واحـد ، الشيخ والمعتبر هو الرأس ، والنبي الذي يعلم بالكذب هو الذنب ، وصار مرشدو هـذا الشعب مضلين ، ومُرْشَدوه مبتلعين ، لأجل ذلك لا يفرح السيد بفتيانه ، ولا يرحم يتاماه وأرامله ، لأن كل واحد منهم منافق وفاعل شر ، وكلهم متكلم بالحماقة » .

وهذا يثبت أن كل إسرائيل حكاماً ومحكومين ، رجالاً ونساءاً مجرمون لا يمكن أن يهتدوا إلى الحق ، ويقلعوا عن الاجرام ، لأنهم مطبوعون على اللؤم والفساد .

ونعود الى التوراة نفسها لنجد سفر الخروج ٣٢ : ٧ – ١٤ يقول : «قال الرب لموسى : اذهب ، انزل ، لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر ، زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتهم ، صنعوا لهم عجلاً وسجدوا له وذبحوا له، وقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. وقال الرب لموسى : رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقاب ، فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم » .

ومواقف اليهود من أوامر الله عصيان وسفـه ، وكذلك موقفهم من أنبيائهم ، فأذلهم الله ، وكتب عليهم الذل والعار ولو أن الظروف مكنتهم

من إقامة دولة .

وعجيب أن تكون لهم دولة في فلسطين ، ومع هذا نجدهم غرقى في الذل والرعب ، يريدون العزة فلا ينالونهـا ، ويريدون الدولة فإذا الرعب يتفجر من داخلها ، ويحاصرها من جميع حدودها ، ويشغلهم الله ليل نهـــار بالقلق والذعر ، ولا يهنأ لهم استقـلال ولا يلذ لهم عيش ، لأن الله كتب عليهم أن يعيشوا في قلق وذعر وذل ومسكنة .

وإن دولتهم التي أقاموها منذ سنوات لن تدوم ، فهم قد تجمعوا فيها من أقطار الأرض ليسهل على الصالحين أن ينفذوا فيهم ما كتب الله عليهم .

وكتاب اليهود المقدس يعرفهم خيراً من أي أحد ، ولهـذا قالت توراتهم في سفر التثنية ٢٨ : ١٥ وما بعدها ما نصه :

« ملعوناً تكون في المدينة ، وملعوناً تكون في الحقل .
« ملعونة تكون سلتك ومعجنك » .
« ملعونة تكون ثمرة بطنك ، وثمرة أرضك ، نتاج بقرك وإناث غنمك» .
« ملعوناً تكون في دخولك ، وملعوناً تكون في خروجك » .
«يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر في كل ما تمتد اليه يدك» .
« يلصق بك الرب الوباء حتى يبيدك عن الأرض التي أنت داخـل اليهـا لكي تمتلكها » .

يضربك الرب بالسل والحمى والبرداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول فتتبعك حتى تفنيك » .

« وتكون سماؤك التي فوق رأسك نحاساً ، والأرض التي تحتك حديداً .
«ويجعل الرب مطر أرضك غباراً وتراباً ينزل عليك من السماء حتى تهلك .

« يجعلك الرب منهزماً أمـام أعدائك ، في طريق واحدة تخرج عليهم ، وفي سبع طرق تهرب أمامهم، وتكون قلقاً في جميع ممالك الأرض، وتكون جثتك طعاماً لجميع طيور السماء ووحوش الأرض ، وليس من يزعجها .

« يضربك الرب بقرحة مصر وبالبواسير والجرب والحكـة حتى لا تستطيع الشفاء .

« يضربك الرب بجنون وعمى وحيرة قلب ، فتتلمس في الظهر كما يتلمس الأعمى في الظلام ، ولا تنجح في طرفك ، بـل تكون مغصوباً كل الأيام ، وليس مخلص .

« تبني بيتاً ولا تسكن فيه .

« تغرس كرماً ولا تستغله .

« يذبح ثورك أمام عينيك ولا تأكل منه .

« يغتصب حمارك من أمام وجهك ولا يرجع إليك .

« تدفع غنمك إلى أعدائك وليس لك مخلص .

« يسلم بنوك وبناتك لشعب آخر وعيناك تنظران اليهم طول النهـار فتكلان ، وليس في يدك طائلة .

« ثمر أرضك وكل تعبك يأكله شعب لا تعرفـه ، فلا تكون إلا مظلوماً ومسحوقاً كل الأيام .

« وتكون مجنوناً من منظر عينيك الذي تنظر .

« يضربك الرب بقرح خبيث على الركبتين وعلى الساقين حتى لا تستطيع الشفاء من أسفل قدمك إلى قمة رأسك .

« يذهب بك الرب وبملكك الذي تقيمه عليك إلى أمة لم تعرفها أنت ولا آباؤك ، وتعبد هناك آلهة اخرى من خشب وحجر .

« وتكون دهشاً ومثلاً وهزأة في جميع الشعوب الذين يسوقك الرب إليهم.

« بذاراً كثيراً تخرج إلى الحقل ، وقليلاً تجمع ، لأن الجراد يأكله .

« كروماً تغرس وتشتغـــل ، وخمراً لا تشرب ، ولا تجني ، لأن الدود يأكلها .

« يكون لك زيتون في جميع تخومك ، وبزيت لا تدهن ، لأن زيتونك ينتثر .

« بنين وبنات تلد ، ولا يكونون لك ، لأنهم إلى السبي يذهبون .

« جميع أشجارك وأثمار أرضك يتولاه الصرصر .

« الغريب الذي في وسطك يستعلي عليك متصاعداً ، وأنت تنحط متنازلاً ، هو يقرضك وأنت لا تقرضه ، هو يكون رأساً وأنت تكون ذنباً .

« وتأتي عليك جميع هذه اللعنات ، وتتبعك ، وتدركك حتى تهلـــك ، لأنك لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحفظ وصاياه وفرائضه التي أوصاك بها ، فتكون فيك آية وأعجوبة ، وفي نسلك إلى الأبد .

« من أجل أنك لم تعبد الرب إلهك بفرح وبطيبـة قلب لكثرة كل شيء تستعبد لأعدائك الذين يرسلهم الرب عليك في جوع وعطش وعري وعوز كل شيء ، فيجعل نير حديد على عنقك حتى يهلكك .

« يجلب الرب عليك أمة من بعيد ، من أقصاء الأرض ، كما يطير النسر ، أمة لا تفهم لسانها ، أمة جافية الوجـه ، لأنها لا تهاب الشيخ ، ولا تحن على الولد ، فتأكل ثمرة بهائمك وثمرة أرضك حتى تهلـك ، ولا تبقي لك قمحاً ولا خمراً ولا زيتاً ولا نتاج بقرك ولا اناث غنمك حتى تفنيـــك ، وتحاصرك في جميع أبوابك ، في كل أرضك التي يعطيك الرب إلهك ، فتأكل ثمرة بطنك :

لحم بنيك وبناتك الذين أعطاك الرب إلهك في الحصار والضيقة التي يضايقك بها عدوك » .

ويستمر سفر التثنية في سرد ما ينتظر شعب إسرائيل حتى يقول له الرب:

« يجعل الرب ضرباتك وضربات نسلك عجيبة ، ضربات عظيمة راسخة، وأمراضاً ردية ثابتة » .

و « كل مرض ، وكل ضربة لم تكتب في سفر الناموس هذا يسلطه الرب عليك حتى تهلك وتبقون نفراً قليلاً » .

« كما فرح الرب لكم ليحسن اليكم ويكثركم يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم، فتستأصلون من الأرض التي أنت داخل اليها لتتملكها ، ويبددك الرب في جميع الشعوب من اقصاء الأرض إلى أقصائها » .

و « في تلك الامم لا تطمئن ولا يكون قرار لقدمك ، بل يعطيك الرب هناك قلباً مرتجفاً ، وكلال العينين ، وذبول النفس ، وتكون حياتك معلقة قدامك ، وترتعب ليلاً ونهاراً ، ولا تأمن على حياتك ، وفي الصباح تقول : يا ليته المساء ! وفي المساء تقول : يا ليته الصباح ! من ارتعاب قلبك الذي يرتعب ، ومن منظر عينك الذي تنظر ، ويردك الرب إلى مصر في سفن في الطريق التي قلت لك : لا تعد تراها ، فتباعون هناك عبيداً وإماء ، وليس من يشتري » !.

هذه نذر من الله ، وحرب يعلنها على شعب إسرائيل الذي كفر، واستباح الحرمات ، وقتل الأطفال والرضع على صدور الامهات ، وقتل الشيوخ والعجزة ، ودمر المنازل ، وأهلك الحرث والنسل .

وفي هذه النذر نبوءات صادقة ، فعندما خرج بنو اسرائيل بقيادة موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ضرب البحر فانفلق ، وجعـل الله في الماء طريقاً يبساً سلكوه ونجوا ، ولكنهم عادوا إلى الكفر ثم إلى الايمـــان الذي لم يتغلغـل في نفوسهم ، وستتحقق النبوءة قريبـاً إن شاء الله فيهلـك شعب إسرائيل .

وإن ربك لبالمرصـاد لهؤلاء اليهود الذين دنسوا الأحرام المقدسة ، وعاثوا فيها وفي الأراضي المباركة فساداً ، وستكون — كما جاء في سفر التثنية — سماء إسرائيل نحاساً وأرضهـــا حديداً من الطائرات وما تقذف ، ومن الدبابات والمصفحات وما ترمي .

ولن تكون الغلبة إلا إذا رفرفت راية الاسلام ، وخرج المسلمون جهـاداً في سبيل الله .

وما أشك أن يكون الشعب الغريب الذي لا يفهم شعب إسرائيل لغته شعباً مسلماً يقضي بإيمانه وجهاده وإخلاصه لله على إسرائيـل التي قامت على الاثم والكفر والعدوان ، وبذلـك تتحقق نبوءة توراتهم التي يؤمنون بها أو لا يؤمنون .

اليهودي
الإنسان الغريب الشاذ بين الناس

ليس في اليهودي خليقة فاضلة أصيلة ، لأن نفسه قد استحالت مع مرور الزمن من إنسانيتها الفاضلة إلى نفس لئيمة قذرة شريرة خاسئة ليس فيها موضع يصلح لبذرة خير أو إحسان ، وغرائز الفساد والشر والتوحش تنمرت في تلك النفس اللئيمة وخنقت الغرائز الطيبة ومسخت الصفات الكريمة ، حتى انتهت إلى الحيوانية التي لا يرضى بها الحيوان .

وإذا بدت في اليهودية صفة طيبة فما الطيبة إلا طلاء يخفي المعدن الخسيس وما يظن فضيلة في اليهود ليس إلا شراً ، ففي اليهود علم ونشاط وغنى وفن ودأب على العمل ، ولكن هـذه المزايا تنقلب عندما تكون في يهودى شر الرذائل والموبقات ، لأنه لا يريد منها وجه الخير ، بل يتخذ كل ذلك في سبيل تدمير العالم والانسان والانسانية .

وعرف اليهودي بالمكر والخداع والحقد على كل بني الانسان دون استثناء ،

واحتكار الله والدين والمال بحيث يحرم اليهودي على غيره أن يعبـد « يهوه » ويتدين بدينه .

وكان يمكن أن يتجه اليهودي الى الخير لولا هذا الاحتكار الذي جعله ألأم خلق الله وأشرهم وأفسدهم على الإطـلاق ، ولولا طبيعته الفاسدة ووجوده الشرير .

وكان يمكن أن يتجه اليهودي إلى الخير مثل سائر الناس لولا ما ذكرنا ، فهو يحتكر ربه « يهوه » ولا يرضى أن يعبده غيره ، ولو كانت صفات إلهه « يهوه » مثل صفات رب العالمين لما رضوا به إلهاً ، وإنما اتخذوه إلهاً لأنــه صورة من صورهم وانعـــكاس طبيعتهم ، فيهوه إله مُحتكِر ، احتكر اليهود دون البشر جميعاً ، لأنه لم يجد اللؤم والخسة والتوحش في إنسان غير اليهودي فاختاره لأنه مجتمع كل الخلائق السيئة الشريرة .

وكان يمكن لليهودي أن يتجه إلى الخير لو استطـــاع أن يغير وجوده وطبيعته ، ولكن ذلك محال ، فربه محتكَـر له ، ودينـه محتكر له ، ولو رضي بأن يكون ربه رب العالمين لانحلت العقدة وصلح اليهودي ، ولكنه لن يرضى ، لأنه مدرك أن هذا الرضا يهدم كل دعواه القائمة على احتكار الإله .

وتحدد اتجاه اليهودي وصفاته ووجوده وطبيعته صفات إلهه كما تذكرهـا كتبه المقدسة .

فإله إسرائيل « يهوه » كما تصفه كتبهم المقـــدسة موصوف بأن « الرب رجل حرب » ومتوحش ظامىء للدماء ، ويأمر شعبه بالسرقة والاحتيال . وبأنه يفعل الشر ويندم عليه ، وبأنه تصارع مع يعقوب فغلبـــه يعقوب ،

وموصوف بأنه يجهل بيوت أبناء شعبه فيطلب إليهم أن يضعوا علامة بدم الشياه على الأبواب ، ويلعب ، ويدرس ، ويجادل ، وأن الحاخامين مثله ، بل السيادة لهم وكلمة الفصل كلمتهم إذا اختلفوا مع يهوه .

وإذا كان إلههم «يهوه» موصوفاً بتلك الصفات وبشر منها، فهو يعاقب على الزنا بزنا أبشع وأفظع كما في قصة داود الذي زنا بامرأة اوريا الحثي فعاقبه بأن يزني أبشالوم بن داود بنساء أبيه علانية في وضح النهار وأمام بني إسرائيل كما يذكر سفر صموئيل الثاني .

وعقيدة الانسان تحدد وجوده وحقيقته ، فعقيدة اليهود قائمة على تلك الألوهية البشعة التي جعلت منهم أبشع شعب عرفته الأرض .

ورسله وأنبياؤه موصوفون من اليهود في كتبهم المقدسة بأبشع الخلائق والصفات ، ومطعونون في شرفهم وأعراضهم ، و« الشيء الذي يجدر بالوقوف عنده ولوع هذا الكتاب المقدس بالزنا والخمر والحيل والخداع والكذب وهتك الأعراض وزنا المحارم في بيئة الرسل والأنبياء وأسرهم ، ولا شك أن ما يوجه اليهود إلى أنبيائهم ورسلهم من تهمة هتك الأعراض والزنا والقتل إنما هو انعكاس صحيح صادق لما يعيش فيه اليهود من السفالة ، فهم مولعون بزنا الأباعد والأقارب والمحارم، وليجعلوا منكراتهم وموبقاتهم سائغة غير مستنكرة اتهموا أفضل الخلق وهم الرسل بما اتهموهم به من الفسق والفجور ، حتى يكون لهم الغدر في سفالاتهم ، وإذا كان أفضل الخلق طراً وهم الأنبياء والرسل زناة وقتلة وكذابين فلا لوم على الناس إذا سلكوا مسلكهم وتخلقوا بأخلاقهم[1]» .

---

(١) ما بين الحاصرتين من كتابنا المخطوط « الديانات والعقائد في مختلف العصور » في الجزء الخاص بالديانة اليهودية .

وإذا كانت عقيدة اليهود أسوأ العقـائد ، وطبيعتهم أخبث ما عرف من طبائع وألأمه فلا غرابة أن يكون اليهودي خلاصةمافي الأرض من لؤم وكفر، بل خلاصة الأخلاق والصفات والطبائع السافلة التي تجعل اليهود جميعاً مخلوقين من طينة غير طينة البشر والحيوان .

إن البشر لا يمكن أن يصلوا في الانحدار والبهيمية القذرة إلى الحد الذي انتهى اليه اليهود ، ولهذا نجدهم خارجين على سنة الانسان وخلقه ، ولهذا لا نجد بينهم ذا خلق كريم ، وافتقدنا فيهم الأريحي الكريم الذي يعطي ويرتاح إلا إذا كان ما يقدمه في نفع نفسه ، أما إذا كان غير ذلك فهو كنز بخيـل لئيم لا يجود بدرهم ، لأن نفسه المطبوعـة على اللؤم والحقد والسوء لا تطيق عطاء الخير .

وكيف يطيق عطاء الخير وهو لئيم مقبوض النفس واليد ، لا يستطيـع الانفاق الذي يشترك في الانتفاع به اليهود وغير اليهود .

ولم يعرف تاريخ الانسان شعباً قط اجتمع له كل صفات الذم واللؤم والجبن غير الشعب اليهودي الذي لا يشذ فرد فيه عن العموم في تلك الصفـــات الأصيلة فيه .

فكما أن إلهه « يهوه » الموصوف منهم بتلك الصفات التي لا يرضى أحد من غير اليهود أن تكون من صفاته، فضلاً عن صفات إلهه، إله يتفق معهم في المزايا والصفات ، كذلك رسله وأنبياؤه الذين ننزههمنحن المسلمين وغيرنا ، فقد خلع اليهود عليهم صفاتهم كما أضفوها على إلههم حتى يكونوا جميعـــاً على صورة واحدة .

فالرحمة فطرة فطر الله عليها البشر ، وعلى بساطها الجميـل يعيش الناس

سعداء أقرباء وإن لم يتحدروا من أرومة واحدة ، بل إن أرومة الرحمة تلتقي بالنسب الذي هو مصدرها .

ولكن اليهود غلاظ الرقاب أفظـاظ قساة القلوب – كما يصفهم كتابهم المقدس – ولا تعرف الرحمة سبيلاً إلى نفوسهم ، ولهذا لا يضمرون لغيرهم غير الشر ، بل لا يعطف اليهودي على اليهودي ، وشيلوك الدليل ، لأنه لم يعطف على ابنته ، ويتوجس خيفة من كل أحد ولو كان هذا الأحد يهودياً ، لأن كل يهودي يعرف أنه « أذى » فهو يخشاه من أخيـه اليهودي أكثر مما يخشاه من غير اليهودي ويتقيه .

وإذا تعاطف اليهود فيما بينهم فمرد ذلك اتقـــاء الأذى المحتوم ، لأنه يعرف أنه هو نفسه أذى ، فاليهودي الآخر مثله ، فكل يهودي يخشى ويتقي، ويخاف اليهودي أخاه اليهودي أكثر مما يخاف غيره .

فالتعاطف فيما بينهم نفاق ، وأما حقدهم على غيرهم فهو في غير حاجة إلى برهان ، فهم يرون ويعتقدون أنهم شعب الله المختار ، وغير اليهود بهائم وكفرة، هم يهود خلقوا من نفس الله ، وأمـا غيرهم فحيوانات نجسة ، وما خلق الخلق على صورة اليهود إلا ليكونوا في خدمتهم لئلا ينفروا من منظرهم ، وأن الناس وما يملكون ملك اليهود لا ينازعهم فيه أحد .

ويطلق اليهود على غيرهم كلمـة « الجوييم » وهم في عرفهم خنازير وبهائم وأنجاس ، وهم حلال لهم وعبيد مسخرون لخدمتهم ، ومن حق اليهودي أن يقتل أي أحد من الجوييم ويغشه ويغدر به ويسلبه كل شيء .

وكتبه المقدسة مليئة بمثل هذه الأوامر المشددة ، ولهذا كان اليهودي ألأم عدو للانسان ، وإذا ظفر بأي أحد من الجوييم اضطهده ، وتجنوا على المسيح

عيسى بن مريم – على نبينا وعليه صلوات الله وسلامـــه – تجنوا عليه حياً وميتاً ، ففي تلمود اليهود المقدس أكثر من توراتهم يوصف المسيـح بأنه ساحر وكذاب وكافر ، ومريم العذراء بأنهـا حملت بالمسيـح سفاحاً من العسكري « باندارا » وأن يسوع الناصري (المسيح) في لجج الجحيم بين القار والنار ، والكنائس المسيحية قاذورات ، وأساقفتها كلاب نابحة .

ووصفوا محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه كاذب ، لأنـــه صدق المسيـح ، ويزعم التلمود قائلاً : إن محمداً كاذب لأنـه صدق الكاذب يسوع الناصري ، ومن صدق الكاذب كاذب مثله .

وإذا كان رسل اليهود وأنبيـاؤهم مطعونين منهم كما تروي كتبهم المقدس فلا جرم يتطاولون على المسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام .

واحتكر اليهودي الجنة لنفسه دون غير اليهودي كما احتكر الإله وكل ما هو حسن ، فلا يدخل الجنة أي أحد إلا اليهودي .

وهكذا نفتقد الرحمـة في اليهودي ، وإذا كان لا يعرفها مع غير اليهودي فهو لا يعرفها مع الحيوان الأعجم ، وإذا بدا من اليهودي عطف أو من يهودي عطف على الحيوان أي حيوان فهو ليس عطفاً إنسانياً ، ولكنه مجرد ميـل يراد منه الانتفاع والاستغلال ، فإذا بدا من يهودي عطف على كلبه فليس ذلك بعطف إنساني ، ولكنه من قبيل حفظ اللص السفاح سلاحـه ليعتدي به على الأبرياء ويدفـــع به عن نفسه ، فالكلب الذي لدى اليهودي سلاح كالمسدس والبندقية ، يتخذه لحراسة نفسه ، وتسليطه على عدوه .

فهو – إذن – ليس عطفاً إنسانياً بحال من الأحوال ، فاليهودي لا يطعم كلباً غير كلبه ولو رآه يكاد يموت من الجوع ، وهذا يفسر لنا تحجر قلبـــه

وجفاف عاطفته وجهله بالرحمة في جميع صورها وألوانها .

وهذا بدون جدال لا يسمى رحمة ، ولا يمكن أن يتفتح قلب اليهودي أو ينبض بغير القسوة على البشر أجمعين ، ولا يمكن أن يخفق بغير الشر .

وأوامر كتبهم المقدسة : أسفار التوراة والتلمود كثيرة ، فهي تأمر اليهودي بقتل غير اليهودي وسلبه وغشه وأكل الربا منه وإذلاله وإهانته وتحقيره .

ونواهي كتبه المقدسة تأكيد لتلك الأوامر ، فهي تقول له : لا تقتل ، ولا تجعل النهي على العموم ، بل هو مردف بكلمة « يهودي » فيكون النهي هكذا : لا تقتل يهودياً ، ولا تسرق يهودياً .

أما غير اليهودي فقد أمر بقتله وسرقته ، حتى النهي الذي كان في التوراة عاماً وهو : « لا تزن » حرفه التلمود وجعله : لا تزن بيهودية ، ومعنى هذا إباحة الزنا بغير اليهودية .

وهذه الطبيعة التي طبع عليها اليهودي جعلته شاذاً في تفكيره وسلوكه وآدابه ومعتقده ومعاملاته ، ولا يسعه مغالبتها مع طول الزمن ، فاليهودي يبقى يهودياً بتلك الطبيعة ولو ترك دينه إلى دين آخر ، وإذا استطاع أن يخفيها نفاقاً فإنها لا يمكن أن تختفي ، وستظهر بعد زمن ولو في ذريته الآتية بعد أجيال .

والتلمود يقول : « الرحمة محرمة على الوثني » وكلمة الوثني تطلق على غير اليهودي ، وما كان اليهودي في حاجة إلى نص في كتابه المقدس حتى يحرم الرحمة على غيره لأن ذلك في طبعه ، فالكائن الحي ليس في حاجة إلى من

يأمره بأن يتنفس ، وكذلك اليهودي ، فإيذاء الناس والإضرار بهم بمثابة النفس .

ويؤكد التلمود على اليهودي أن يسرف في الأضرار بغير اليهودي ، ويقول له : « إذا وجدت أجنبياً في حفرة فسدها بحجر » حتى لا يكون هناك أمل في انقاذه .

بل يسرف التلمود إسرافاً في أوامر البغي والعدوان ، ويهدد من يخالفها بالموت الذي هو عقاب من يخالف شرع التلمود ويقول : على اليهود أن يقتل من أمكن قتله من الأجانب وإلا خالف الشرع .

وإذا كانت العقيدة انعكاس أتباعها فإن هؤلاء الاتباع صورة معتقدهم في أغلب الأحيان ، فالتلمود كتاب إضلال وأجرام وليس كتاب هداية ودعوة إلى الخير والاصلاح والتهذيب .

ولهذا لا يهتم اليهود بالنبل والشرف والرحمة في سبيل غايتهم المنشودة، ومما يؤكد أنهم من غير بني الانسان أن الرحمة الأصيلة في الأب على أولاده في عالم الانسان وعالم الحيوان لا نجدها في اليهودي ، ولو كان من بني الانسان لما افتقدنا هذه الخليقة الأصيلة أو الغريزة الثابتة في اليهودي الذي لا ينبض قلبه بالرحمة على ولده .

وشيكسبير قد فطن الى ذلك فصوّر في« تاجر البندقية » شخصية اليهودي « شيلوك » اليهودي صورة لا نخطئها في أي يهودي على مدار التاريخ كله ، فهو « نموذج » اللؤم والوحشية والجشع وموت الضمير وجفاف العاطفة حتى لا ينبض قلبه بحنان على ابنته المفقودة ، وكل ذكره إياها لم يكن لشخصها بل

للخاتم الذي في اصبعها ، فهو يريد عودتهـا من أجل الخاتم ، وإذا عاد إليه فلتذهب الى الجحيم .

وإذا كان قلب اليهودي مغلقاً لا يتفتح لحب الولد فانه لن يتفتح لأحد من الناس ، ولا لشيء حسن يتصل بالانسانية ويسع خلائقها ، أو بعض خلائقها ومظاهرها .

ولا ينبض قلب اليهودي ويتفتح لغير الشر ، وهتاف اليهود الدائم باسم الذهب ، لأنهـم جعلوه إلههم المعبود الذي أنساهم الإله الحق ونبيهم الصادق موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، وجعلهم في قلق دائم من أجل الحصول على الذهب ، لا رغبة في خير يعملون به ، فما رأى التاريخ قط منهم الخير ، بـل كانوا على مدى التاريخ مسعر الشر والشقاء والحروب ، لأنهم مطبوعون على الشر .

والسعة في الرزق والمال لم تحمل اليهودي قط على فعل الخير للخير نفسه ، بل كانت السعة في الرزق والوفرة في المال من أسباب شقاء البشرية .

وليس اليهود وحـدهم الذين يحبون المـال ، ولكن حبهم مغاير لحب الناس جميعاً ، لأنهم يحبون المال حب عبادة وتقديس ، والناس يحبونه ولكن ليس كحب اليهود ، لأنه ليس أنفس ما يقتنى ، بل السلعة التي يشترونها أو الرغبة التي يحققونها عن طريق المال آثر عندهم منه ، ولهذا أنفقوه .

ولكن اليهودي الخاسىء يحبه لأنه غايته المفضلة التي لا غاية بعدها ، فهو يبيع السلعة — ولو كانت عرضاً — طمعاً في المال ، لأنـه أعز شيء عنده ، وقـد يصبح وسيلة عنده ، ولكن إلى مال أضخم وأغلى ، فهو غاية على كل حال .

ومن هنا يفترق اليهودي عن غيره في حب المال ، فالناس يحبونه لأنـه وسيلة إلى غاياتهم الطيبـــة ، ومطيتهم الى العمل الصالح وتحقيق الرغبات ، ووسيلة من وسائل الترفيه عن النفس أو التوسعة عليها أو تفريج الكربات ، وأما المال عند اليهودي فأداة شر وأذى وتعذيب ، ومسعر الفتن والحروب، وتدمير الانسانية وأجمل خلائقها ، ولهذا نجد الشكوى من اليهود عامـــة لاحتكارهم الأسواق ، والمتاجرة بالأعراض ، وتزكية أموالهم بالربا الفاحش.

وعبادة اليهودي المال جعله صاحب حمى غير منيع وعرض غير مصون ، فهو لا يبخل بجميع القيم الرفيعة في سبيل إرباء دخله ، ولا يهمه العرض إذا كان المال أداة التمزيق ، وهو يضحي بما هو عزيز في سبيل الحصول على الدرهم لأنه أعز من العرض المنيع المفتدى، وهو لهذا لا يتبع سبيل الرشاد والشرف والكرامة ، لأن للمزايا الانسانية قيود دينية وأخلاقية تمنع عن الحرام ، وهو لا يطيق أن ينال مبتغاه إلا عن طريق الحرام يؤثره على كل حلال .

ولا يمكن أن يحيا اليهودي إلا إذا شبع من لحوم البشر ، ولا يرتوي إلا إذا تضلع من دماء الضحايا البشرية ، ولهذا كانوا هم وحدهم وراء كل فتنة صماء عمياء ، ووراء كل حرب وقتال ، وهم وحدهم المتلاعبون بالأسواق والأسعار ، وهم مفجرو الثورات التي تهدم الديانات والأخلاق والمجتمعات ، ولا يشعرون بندم على آثامهم وبغيهم .

وليس كاليهود في الأنانية ، فهم يكرهون جميع البشر على اختلاف الأديان واللغات والأجناس والأعمار ، حتى الأطفـــال الأبرياء لم يسلموا من شرهم وجبروتهم وقسوتهم ، فقتلوا الرضع على صدور الامهات ، وما يزعم أحد أن الطفل البريء عدو أحد ، ولكن وحشيـة اليهود تصب العذاب على الأبرياء وغير الأبرياء على السواء .

وأنانيتهم جعلتهم يحتكرون الإله لهم وحدهم كما يحتكرون كل الضرورات والمنافع ، ويعتزلون كل الناس في السكن والمجتمع فلا يصاحبون غير أبناء ديانتهم وجنسهم ، ويتصدون الناس جميعاً بالأذى والشر .

وليس تكتل اليهود من المزايا ، بل هو شر كله ، فما في « خراف بني اسرائيل » مزية إنسانية ، وقد صدق المسيح في كلمته هذه كما صدق في وصفه إياهم بأنهم « أولاد الأفاعي » فما تملك غير السموم .

وتكتلهم ما كان ليكون إلا في سبيل الشر ، وهو لا يعدو تكتل عصابات المجرمين وسفاكي الدماء الذين يتفقون فيما بينهم على انتهاك الحرمات ، وسلب الحقوق ، وقتل النفوس والحريات .

والاجتماع في الشر شر الرذائل ، واجتماع اليهود وتكتلهم ليس إلا ائتماراً على الانسان والانسانية والمبادىء والقيم والديانات ، فهو شر محض لا يمكن أن يكون فيه ذرة من خير .

واللؤم على مختلف ضروبه مصدر كل الصفات المذمومة الممقوتة ، واللؤم كله وقف على اليهودي ، فإذا أضيف إليه الجبن خرج الانسان عن كل إنسانيته ليعيش يهودياً لا يرد موارد الجود والعطاء والشرف والبطولة والكرامة ، لأنه لا يمكن أن يكون في قلب اللئيم الجبان مكان لغير صفات الشر .

وتاريخ اليهود لا يشرفهم في ميادين الجهاد والبطولة والحرب الشريفة ، وليس فيهم بطل واحد خاض غمار حرب من أجل مبدأ شريف أو دعوة خيرة أو قصد نبيل ، ولهذا عاشوا — وما زالوا — أذلاء جبناء مقهورين برغم الذهب الذي كنزوه ، وبرغم التكتل الذي لا يعدو تكتل الجناة المجرمين .

واليوم لليهود دولة قوية في فلسطين العربية ، وكل يهودي قلعـــة حصينة فيها ، ومع ذلك يعيش قلقاً خائفاً مذعوراً من عربي أعزل ، بل ينهال رصاصه وابلا إذا رأى شبحـــاً يتحرك في الظلام ، وهذا برهـــان نفسه المطبوعـة على الجبن .

والجبن والبخل والخسة والسفالة والشعور بالذلة طبع أصيـــل في اليهودي ما يفارقه ولا يستطيع التغلب عليه ، ومن كانت تلك خلائقه فهو ملتقى كل صفة قذرة خاسئة .

واليهودي كريه لأن كل صفاته خبيثة منفرة، وما به خليقة ترضي الانسان، بل تبغضه فيه ، ومن شر صفاته الغدر ، فهو غدار منافق كذوب ، لا يعرف الوفاء ، ولا يؤمن جانبه ، وماذا يراد ممن يغدر بدينه وحماه وعرضه ؟.

وإذا ظهر من يهودي وفاء في المعامـــلة فهو ليس الوفاء الانساني ، ولكنه وفاء النفاق ، وإذا زالت أسباب الوفاء زال الوفاء وحل محله الخيانة والغدر، فهو يدين بالوفاء ما دام الوفاء يأتيه بالمغانم المادية ، وعندما لا يصطادها له لا يعرفه ، وكذلك الأمانة .

وإن ما يظهر من اليهود من الوفاء والأمانة في القليل من المعاملات إنما هو طعم الصياد يقدمه للسمك ، فهو لا يريد أن يغذيه ، ولكن يريد أن يتغذى بها ، كذلك وفاء اليهودي وأمانة طعم الأبرياء لاصطيادهم .

وما إجماع العالم على كراهية اليهود ومقتهم ، إلا الدليـــل على أن اليهود شعب قذر مطبوع على الشر والضراوة والقساوة والوحشية والفساد والأنانية وكل الخلائق والصفات الذميمة .

ويزعم اليهود أن سبب كراهية العالم إياهم : اختيـار الله لهم وتفوقهم على البشر ، والواقع يكذبهم ، فالله عز وجل لن يختار أمة تلك صفاتهـا ، والله طيب لا يحب إلا طيباً ، أما تفوقهم على البشر ففرية مكشوفـة ، ولم يثبت لهم إلا التفوق في الجرائم ، وإذا كانوا متفوقين في كنز الأموال ، ولولا أنهم أقلية ممقوتة لما ظهر هذا التفوق الذي عوضوا به نقائصهم وشرورهم فكان التعويض إضافة شر إلى شر .

ويزعم اليهود أن العالم يحسدهم فيعاديهم ، وعلى ماذا يحسدون ؟ إن الحسد على النعم والمزايا الصالحة وهم عطل منها جميعاً ، والمقت ليس حسداً ، فالعالم يمقتهم ولا يحسدهم .

كان العالم يمقتهم وهم فقراء ضعفاء ، ويمقتهم الآن وهم أغنيـاء وذوو نفوذ وقوة ، وسبب المقت خلائقهم السافـلة التي لم تتغير ، وان كان الغنى والدولة والقوة زادت من ضراوة تلك الخلائق .

وكل الذين كتبوا في اليهود أجمعوا على دناءة هذا الشعب وما طبع عليـه من الإثم والجريمة ، وبين يدي — وأنا أكتب هذه الكلمـة — كتاب « اليهود في تاريخ الحضارات الاولى » لغوستاف لوبون ترجمـة الاستاذ عادل زعيتر ، وأقتطف منه بعض ما جاء فيه .

يقول لوبون : « لم يكن لليهود فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أي شيء تقوم به حضـارة ، واليوم لم يأتوا قط بأية مساعدة مهما صغرت في شَيْد المعارف البشرية ، واليهود لم يجاوزوا قط مرحـلة الامم شبه المتوحشة التي ليس لها تاريخ » .

و « تاريـخ اليهود الكئيب لم يكن غير قصة لضروب المنكرات ، فمن حديث الأسارى الذين كانوا ينشرون بالمنشار أحياء أو الذين كانوا يشوون في الأفران ، فإلى حديث الملكات الـلائي كن يطرحن لتأكلهن الكلاب ، فإلى سكان المدن الذين كانوا يذبحون من غـير تفريق بين الرجال والنساء والشيب والولدان » .

و « تأثير اليهود في تاريخ الحضارة صفر ... وأن اليهود لم يستحقوا بأي وجه أن يعدوا من الأمم المتمدنة » .

و « لا تجد شعباً عطل من الذوق الفني كما عطل اليهود » .

و « لا أثر للرحمة في وحشية اليهود ، فكان الذبح المنظم يعقب كل فتح مهما قـلّ ، وكان الأهالي يوقفون فيحكم عليهم بالقتل دفعة واحدة فيُبادون باسم يهوه من غـــير نظر الى الجنس ولا الى السن ، وكان التحريق والسلب يلازمان سفك الدماء » .

ويصف لوبون مزاجهم النفسي قائلاً : « إنه ظل قريباً جداً من حال أشد الوحوش ابتدائية على الدوام ، فقد كان اليهود عُنُداً مندفعين غُفلّا سذجـاً جفاة كالوحوش » .

وموجز القول في اليهود أن طبيعتهم أسوأ الطباع وأخبثهـا ، وليس في اليهودي صفة محببة ، بـــل كل صفاته غاية في القبح ، وهو ومعتقده وكل ما يتصل به شر محض وفساد بشع ورذيلة عفنة ، جعلته حيوانـاً متوحشاً لا يمكن أن يعد من بني الانسان .

ليسَ لليهود قوميّة ولا وطن

منذ عرف اليهود ببني إسرائيل أو العبرانيين أو اليهود لم تكن لهم قومية بالمعنى المعروف ولا وطن بهذا المعنى ، فهم يدعون أنهم من نسل ابراهيم الذي ثبت – كما تذكر المصادر الاسرائيلية – أنه وفد من العراق إلى فلسطين، وسكن مع سكانها الأصليين وهم الكنعانيون والفلسطينيون .

وقبل مولد سيدنا إبراهيم بآلاف السنين كانت فلسطين ملك أهلها العرب، وكان هو وبنوه غرباء في أرض أجنبية لا تربطهم بأهلها رابطة من قبل وفودهم ، ولم يملك إبراهيم شبراً من الأرض ، ولما ماتت زوجه سارة لم يكن لديه من الأرض ما يدفنها فيه ، فاشترى تحت قمه جبل صهيون أرضاً يدفنها فيها .

وفي سفر التكوين ٢٣ : ٢ – ١٦ :

« وماتت سارة في قرب أربع التي هي حبرون في أرض كنعان ، فأتى إبراهيم ليندب سارة ويبكي عليها ، وقام إبراهيم من أمام ميته وكلم بني حث قائلاً : أنا غريب ونزيل عندكم، أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي،

فأجاب بنو حث إبراهيم قائلـين له : أسمعنا يا سيدي ، أنت رئيس من الله بيننا ، في أفضل قبورنا ادفن ميتك، لا يمنع أحد منا قبره عنك حتى لا تدفن ميتك ، فقام ابراهيم وسجد لشعب الأرض لبني حث وكلمهم قائلاً : إن كان في نفوسكم أن أدفن ميتي من أمامي فاسمعوني والتمسوا لي من عفرون بن صوحر أن يعطيني مغارة المكفيلة التي له التي في طرف حقله بثمن كامل يعطيني إياها في وسطكم ملك قبر ، وكان عفرون جالساً بين بني حث ، فأجاب عفرون الحثي ابراهيم في مسامع بني حث لدى جميع الداخلين باب مدينته قائـــلاً : لا ، يا سيدي ، اسمعني ، الحقل وهبتك إياه ، والمغارة التي فيه لك وهبتها ، لدى عيون بني شعبي وهبتك إياها ، ادفن ميتك ، فسجد إبراهيم امـــام شعب الأرض وكلم عفرون في مسامع شعب الأرض قائلاً : بل إن كنت أنت إياه فليتك تسمعني ، أعطيك ثمن الحقل ، خذ مني فادفن ميتي هنــاك ، فأجاب عفرون ابراهيم قائـــلاً له : يا سيدي ، اسمعني ، أرض بأربعمئة شاقل فضة ما هي بيني وبينك ، فادفن ميتك ، فسمع ابراهيم لعفرون ، ووزن ابراهيم لعفرون الفضة التي ذكرهـا في مسامع بني حث ، أربعمئة شاقل فضة جائزة عند التجار ».

ورواية التوراة هذه تثبت أن ابراهيم لم يكن كنعانياً ولا فلسطينياً ، ولم يكن من سكان فلسطين ، وهو يعترف بأنه « غريب ونزيل » فيها .

وبعد ابراهيم بقرون تبلـــغ خمسة أو ستة لم يكن للعبرانيين أي أثر في فلسطين، لا حكم ولا تملك، ثم كان عهد موسى – وهو قبل المسيح بخمسة عشر قرناً – ولم يكن للعبريين اسم معروف في فلسطين ، ثم بعد دخول يشوع بن نون لم يكن الاسرائيليون يملكون من فلسطين إلا رقعـاً صغيرة ، ولم تقم لهم

مملكة إلا في أيام شاول الذي انتحر بسبب هزيمته هو وأبنائه وجيشه الاسرائيليين سنة ١٠٥٦ قبل الميلاد حيث هزمهم الفلسطينيون هزيمة نكراء .

والمملكة التي قامت للاسرائيليين بحق كانت مملكة داود وسليمان ، ولم تكن غير مملكة صغيرة انتهت بوفاة سليمان سنة ٩٨٤ قبل الميلاد .

ثم انقسمت المملكة الى قسمين ، هما : مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل ، وكانتا تحت نفوذ دول أخرى حتى زالتا من الوجود .

وبيت المقدس لم يكن مقدساً بالاجماع لدى اليهود ، وكانت المدينة في أيدي اليبوسيين ، وكان يسكنها بنو بنيامين مع اليبوسيين دون أن يكون لهم أي حق في بيت المقدس ، بل كان الحق كله لليبوسيين .

ولو كان للمدينة قداسة عند الاسرائيليين لما دمرها يهواش ملك اسرائيل، ففي سفر الملوك الثاني ١٤ : ١٢ — ١٦ :

« فانهزم يهوذا أمام اسرائيل وهربوا كل واحد الى خيمته ، وأما امصيا ملك يهوذا.. فأمسكه يهوآش ملك اسرائيل في بيت شمس وجاء الى أورشليم ، وهدم سور أورشليم من باب أفرايم الى باب الزاوية أربعمئة ذراع ، وأخذ كل الذهب والفضة وجميع الآنية الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك والرهناء ورجع الى السامرة ، وبقية أمور يهوآش التي عمل وجبروته وكيف حارب امصيا ملك يهوذا.. ثم اضطجع يهوآش مع آبائه ودفن في السامرة».

ومع هذا العدوان الصارخ من يهوآش على بيت الرب ونهبه ما فيه لم يكن موضع غضب الله وسخطه ، لأنه اضطجع مع آبائه ، وهذا الاضطجاع آية على رضا الله عندهم ، لأنه لا يرقد مع الآباء إلا الأبناء البررة الصالحون .

ولما حدث السبي البابلي لم يكن حنين الاسرائيليين لفلسطين لأنهـا وطنهم القومي ، بـــل كان الحنين الى ذكرياتهم حيث كان لهم ذات يوم مضى ملك وسيادة ، ولو تيسر لهم في المنفى ما يحنون إليه لما ذكروا فلسطين ، بل هم لم يذكروها وإنما كانوا يذكرون جبل صهيون .

ولما أبيح لهم أن يعودوا من الأسر الى فلسطين تخلف عدد جد كبير منهم في العراق وآثروه على فلسطين ، ممـــا يدل على أن الوطنية لم تكن عاطفة أصيلة فيهم ، فحيث يجدون مأملهم هو الوطن .

وسواء أكان اليهود يحنون الى فلسطين أم لا يحنون فما كانت لهم وطنـاً قط إلا رقعاً صغيرة منها اغتصبت من أهلها ، ولم تكن لديهم عاطفة الوطنية أصيلة ، لأنهم كانوا يهاجرون منها بالآلاف ويتركون فلسطين الى غير عودة .

أما العرب فلم يذكر تاريخهم في فلسطين أنهم تركوها قط، بل عاشوا فيها كتراب أرضها بل كجبال فلسطين، ولم يفكروا قط في هجرها، مع ما مر بهم من فترات كانوا فيها تحت أحكام غاشمة أجنبية، وكانوا يحاربون الغزاة حرباً ، ويفتـدون وطنهم بالدم ، فإذا غلبوا على أمرهم صبروا وهم على أرضهم وفي وطنهم ، لأنهم جزء منه .

ففلسطين لم تكن أرضاً يهودية قط ، فإبراهيم – على نبينا وعليـه الصلاة والسلام – كان دخيلاً عليها ، قدم من العراق اليهـا ، ولما كان من الصالحين وجد من سكان فلسطين حفاوة وترحابا ، وعاش حياته غريباً فيها ونزيلاً لدى أهلها باعترافه الصريح .

وأكبر دعوى اليهود في عصرنا الحاضر وتشبثهم بهـا أن الله أعطاهم عهداً

بأن تكون فلسطين وأرضاً تمتد من النيل الى الفرات لهم دون غيرهم، وحجتهم ما جاء في أسفارهم المقدسة .

ودعواهم وحجتهم دعوى من جانب واحد ، وما حجتهم إلا جزء من هذه الدعوى الباطلة من الأساس .

جاء في سفر التكوين ١٥ : ١٨ : « في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلاً : لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات » .

وفي سفر التكوين ١٧ : ٤ — ٨ :

« أما أنا فهو ذا عهدي معك ، وتكون أباً لجمهور من الأمم ، فلا يدعى اسمك بعدُ ابرام ، بل يكون اسمك ابراهيم، لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم، وأثمرك كثيراً جداً ، وأجعلك أمماً ، وملوك منك يخرجون ، وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً ، لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك ، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً » .

ثم تكرر هذا الوعد من بعد إبراهيم لإسحاق ويعقوب وداود وموسى وغيرهم ، ففي سفر التكوين — أول أسفار توراتهم — ٢٦ : ١ — ٤ :

وكان في الأرض جوع غير الجوع الأول الذي كان في أيام إبراهيم ، فذهب إسحاق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين إلى جرار ، وظهر له الرب وقال : لا تنزل إلى مصر ، اسكن في الأرض التي أقول لك : تغرب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك، لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقسم

الذي أقسمت لابراهيم أبيــك ، وأكثر نسلك كنجوم السماء ، وأعطي نسلك جميع هذه البلاد ، وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض » .

وتجدد هذا العهد أو الوعد ليعقوب كما في سفر التكوين ٢٨ : ١٠ — ١٤ حيث يقول :

« فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران ، وصادف مكاناً وبات هناك ، لأن الشمس كانت قد غابت ، وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه فاضطجع في ذلك المكان ، ورأى حلماً ، وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء ، وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليهـا ، وهوذا الرب واقف عليها فقال : أنا الرب إله ابراهيم أبيك وإله إسحاق ، الأرض التي أنت مضطجع عليها لك ولنسلك ، ويكون نسلك كتراب الأرض ، وتمتد غربـاً وشرقاً وشمالاً وجنوباً ، ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض » .

وعهد الله — حسب هذه الروايات — لابراهيم ثم لاسحاق ثم ليعقوب بأن يعطيهم هم أرض غربتهم لم يقع ، فكلهم كان فقيراً ، فإبراهيم لم يكن يملـــك شبراً من الأرض ، ولما ماتت زوجه الكريمة سارة لم يكن يملك مدفناً يدفنها فيه ، ولولا أن فرعون وأبيمالك أعطيـــاه مالاً لما كان في وسعه شراء مدفن لزوجه .

وإسحاق نفسه كان فقيراً ، وذهب إلى ملك جرار مستجديـاً ، ويعقوب كان فقيراً ، وأرسل بنيه إلى مصر يمتارون ، وحسبه أنه لم يكن لديه فراش يضطجع عليه ، ولا وسادة يضع عليها رأسه فاتخذ من الحجارة وساداً .

ومات ابراهيم ثم اسحاق ثم يعقوب ولم يُعْط أحد منهم أرض غربتـه ،

بل إن نسلهم الذي اختصته أسفار اليهود المقدسة لم يعطوا أرض غربتهم ، إذ لم يملك بنو إسرائيل إلا قطعاً صغيرة من أرض الغربة .

وعهد الله لابراهيم بأن يعطي نسله هذه الأرض من نهر مصر إلى نهر الفرات لم يتحقق حتى هذا اليوم بالنسبة لنسل إسحاق الذي انحدر منه العبرانيون أو بنو إسرائيل .

ومع أن أربعة آلاف سنة مرت على ذلك العهد الالهي فإنه لم يتحقق ، ومعاذ الله ألا يتحقق وعد الله وألا يقع عهده .

وفي العهد أن الله يكثر نسل إسحاق كنجوم السماء كما يجعل نسل يعقوب كتراب الأرض ، وها هي ذي أربعة آلاف سنة مرت ولم يكثر نسلهما كالنجوم أو التراب .

وعهد الله لابراهيم بأن يجعله أباً لجمهور من الامم وأن يجعله اماً ويخرج منه ملوك لم يتحقق بالنسبة لبني إسرائيل ، فلم يكونوا جمهوراً من الامم ، ولم يكن منهم ملوك إلا قلة معدودة ، ومنذ أكثر من خمسة وعشرين قرناً لم يكن منهم ملك قط .

ولكن كل هذا العهد قد تحقق بالنسبة للعرب بعد ابراهيم ، فهم قد ملكوا فلسطين وملكوا مصر والعراق وعشرات الأقطار وما زالوا يملكونها حتى وصلوا إلى اوربا والمحيط الأطلسي غرباً وإلى الصين شرقاً ، وأخذ حكم الاسلام يمتد في كل اتجاه حتى دخلت فيه قارات .

وإذا كان بنو إسماعيل خارجين عن ذلك العهد الإلهي فكله يكون عهداً باطلاً ، ومعاذ الله أن يكون عهد الله غير حق ، وما يكون هذا العهد حقاً

إلا بالنسبة لنسل ابراهيم من اسماعيل على رسولنا وعليها الصـلاة والسلام ، والمسلمون جميعاً من أي أب كانوا هم أبناء إبراهيم كما جاء في القرآن الكريم إذ يقول : ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ .

ومحتويات العهد تصرفه عن اليهود إلى المسلمين ، فعهد الله – على زعمهم – لاسحاق ويعقوب بأن يتبارك في نسلها جميع امم الأرض لم يقع قط ولن يقع أبداً ، فمنذ عرف الناس اليهود ونقيض البركة هو الذي حدث من اليهود .

وأما في الحاضر فهم كما في الماضي ، كانوا وما يزالون مسعر الفتن والحروب ومباءة الفساد وجميع الشرور .

وفي المستقبل لن يتغيروا، لأن ديانتهم قد احتكروها لأنفسهم فلا يبيحون لغيرهم أن يعتنقوها ، وربهم « يهوه » محتكر لهم أيضـاً ، ولا يجيزون لأحد غير يهودي أن يدعوه ويعبده ، لأن يهوه يشبه الأب الذي لا يمكن أن يدخل في نسبه وعداد ولده من لم يولد منه .

كذلك اليهود ، ولهذا لن يتبارك فيهم أحد بل امم الأرض جميعاً .

وهذا العهد يتحقق كل التحقق بالنسبة لنسل اسماعيل بن ابراهيم ، وليس بالنسبة لإسحاق بن ابراهيم ويعقوب بن اسحاق – فديانة محمد الذي ينتمي إلى إسماعيل هي ديانة الرحمة والانسانية والهدى، وإله محمد هو وحده رب العالمين الرحمن الرحيم ، ورحمته وسعت كل شيء .

وهي ديانة مفتوحة للأمم كافـة على نقيض اليهودية المغلقة ، ومن هنا كان عهداً لله حقاً بالنسبة لنسل اسماعيل وغير واقع بالنسبة لغيره سواء أكان نسل اسحاق أم يعقوب .

والعهد لم يكن – على رواية التوراة – التي ذكرناها – خاصاً بإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وداود وغيرهم ، بل سبق هذا العهد أن أعطيه نوح كما يذكر سفر التكوين بالاصحاح التاسع في الفقرات الآتية التي تبدأ من الرقم ٨ الى ١٧ :

« وكلم الله نوحاً ونبيه معه قائلاً : وها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم ومع كل ذوات الأنفس الحية التي معكم : الطيور والبهائم وكل وحوش الأرض التي معكم من جميع الخارجين من الفلك حتى كل حيوان الأرض ، أقيم ميثاقي معكم فلا ينقرض كل ذي جسد أيضاً بمياه الطوفان ، ولا يكون أيضاً طوفان ليخرب الأرض ، وقال الله : هذه علاقة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحية التي معكم الى أجيال الدهر ، وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض وتظهر القوس في السحاب إني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حية في كل جسد ، فلا تكون أيضاً المياه طوفاناً لتهلك كل ذي جسد ، فمتى كانت القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية في كل جسد على الأرض. وقال الله لنوح : هذه علامة ميثاقي الذي أنا أقمته بيني وبين كل ذي جسد على الأرض » .

وهذا الميثاق أو العهد – فكلاهما بمعنى – يتفق مع كمال الله ورحمته التي عمت الخلق كله ووسعت كل شيء ، فهو عهد بين الله وكل ذي نفس حية في كل جسد ، وكل ذي جسد .

وأما ادعاء اليهود بأن عهد الله مقطوع لهم وحدهم فقد كذبتهم فيه

محتويات العهد ونصه الذي ذكرته أسفارهم المقدسة ، فهم قـــد كذبوا العهد بواقعهم ، وأقرب مثال على هذا التكذيب أن العهد مقطوع لهم بأن يكونوا في الكثرة كنجوم السماء أو تراب الأرض .

ومنذ العهد المقطوع حتى اليوم حوالي أربعة آلاف سنة وعـدد اليهود في العالم كله لم يزد على عشرين مليوناً في حـين أن عدد العرب أضعاف أضعاف عددهم ، فإذا أضيف المسلمون أبنـاء ابراهيم الى العرب كانوا كتراب الارض ونجوم السماء ، فاذا أضيف المسيحيون ازداد الرقم طفراً .

وأسطورة « شعب الله المختار » في حاجة الى تحقيق، فهل اليهود في جميع العصور شعب الله المختار ؟.

لا يمكن أن يعقل هذا الزعم ، فبنو إسرائيل كانوا في فترة من التاريـخ شعب الله المختار ، لأنهم كانوا عباداً صالحين ، وكتـاب المسلمين المقدس الذي هو القرآن الكريم يقرر ذلك إذ يقول سبحانه وتعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيـــلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العَالَمِينَ ﴾ .

وسبب التفضيل والاختيار الايمان بالله وحده لا شريك له ، وطاعته فيما أمر ، والانتهاء عما نهى ، فلما تركوا سبب التفضيل زال عنهم ، ولم يصبحوا شعب الله المختار .

وفقدوا هذا التفضيل بمجرد بعث المسيح اليهم ، فهو رسولهم الحق المرسل من الله ، وهو يقول — كما يروي إنجيل متى ١٥ : ٢٤ — : « لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » ولكن اليهود كفروا به ، مع أن العهد القديم يبشر بالمسيح الذي انتظروه ، فلما بعثه الله اليهم كفروا به وكذبوه واتهموه

وحاربوه حتى قتلوه كما تذكر الأناجيل .

ومن الغريب ان المسيحيين – وليسوا كلهم – ما زالوا يعتقدون ان اليهود حتى الآن شعب الله المختار ، غافلين عن الحق الذي يفصحه العهد القديم والعهد الجديد .

والعهد القديم لا يعطي عهد الله لمن لم يؤمنوا ، والعهد الجديد كالقديم ايضاً في هذا المنع ، بل ذهب المسيح إلى أبعد من ذلك فنفى ان يكون معاصروه من اليهود ابناء ابراهيم ، بل ذهب إلى ابعد من هذا أيضاً فجعلهم ابناء الشيطان .

ومما لا خلاف فيه أن عهد الله لا يعطاه أبناء الشيطان ، لأن العهد يعطاه أحباء الله وحدهم ، وما كان اليهود أحباء الله بل كانوا أعداءه ، والمسيح – عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام – جاءهم بالهدى ودين الحق فآذوه وكفروا به ، وهو الذي نفى عنهم أن يكونوا أبناء ابراهيم وأحباء الله ، وفي الحوار الذي دار بين المسيح واليهود يكشف عن حقيقتهم ، ويصرخ في وجوههم: « أنتم تموتون في خطاياكم » ويعنف الجدل بين المسيح واليهود ، وفي إنجيل يوحنا بالإصحاح الثامن تفصيل ذلك الحوار الذي جاء فيه قول المسيح لهم : « أنا أتكلم بما رأيت عند أبي ، وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم » . فيجيبه اليهود قائلين : « أبونا هو ابراهيم » . فيرد عليهم المسيح بقوله : « لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم ، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله ، هذا لم يعمله ابراهيم، أنتم تعملون أعمال أبيكم » .

وغضب اليهود من قول المسيح ، لأنه نفى أبوة ابراهيم عنهم ، ونسبهم

الى غيره ، فغضبوا وقالوا له: «إننا لم نولد من زنا ، لنا أب واحد وهو الله».

ونفد صبر المسيح وقـــال لهم : « لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأني خرجت من قِبَل الله وأتيت ، لأني لم آت من نفسي ، بل ذاك أرسلني، لماذا لا تفهمون كلامي ؟ لأنكم لا تقـــدرون أن تسمعوا قولي ، أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا » .

وأبناء ابليس لن يكونوا شعب الله المختار، والذين كفروا بالمسيح وكذبوه لن يكونوا هم الموعودين ، والذين قتلوه — كما يدعون — لن يكونوا مع الله في عهد ، بل هم الخاسرون وأبناء إبليس .

وما يزال اليهود حتى اليوم يكذبون المسيح عليه الصلاة والسلام ، وأباحوا لأنفسهم أن يقفوا ألأم المواقف وأبشعها فيلعنونه ويتهمون أمه العذراء — كما يزعم تلمودهم — ويلعنون الكنائس ورؤساءها ، ويحقـدون على جميع الأمم والشعوب ، ويعملون لتدمير العالم .

وكل هذا يجعلهم شعب الشيطان لأنهم أطاعوه وعصوا الله ، وحسبنا أن يقول لهم المسيح في بيان : « أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا » .

وإذا لم يكن قط لليهود وطن قومي في فلسطين فإن ديانتهم الـتي تشبثوا بها قد تغيرت روحها ونصوصها ، وما جاء في أسفـارهم من العهود والمواثيق المنسوبة الى الله لم تثبت لهم حتى اليوم ، وإنما تصح للعرب وحدهم .

وأول العهد ما جاء في التوراة من أن الله قطع لابراهيم عهداً بأن يعطي من نسله هذه الأرض من نهر مصر الى نهر الفرات ، وزعم اليهود أن المقصود

نسله هم وليس غيرهم ، وهو عهد لم يتحقق منذ ابراهيم حتى اليوم .

ولكنه يصبح حقاً وواقعاً مشهوداً إذا كان المقصود من نسل ابراهيم العرب نسل اسماعيل ، فهم الذين ملكوا تلك الأرض بحدودها منذ القدم الى اليوم ، وكان العرب هم وحدهم أصحاب الحق في الجزيرة العربية بما فيها العراق والشام .

والعرب لم يتركوا وطنهم قط ، بل لزموه وصبروا وبذلوا دماءهم من أجل الاحتفاظ به ، مما يبرهن على أنهم يشعرون بتبعة الوطن ويحملونها ، ويربطون مصيرهم به ومصيره بهم .

أما اليهود فلم يربطوا أنفسهم بفلسطين قط ارتباط العرب ، فقد هجروها الى بلدان كثيرة اتخذوها أوطانهم ، حتى فقدوا دماءهم ، فلم يعد في أيامنا هذه دم يهودي نقي ، وإنما الذي بقي الدين اليهودي، وليس للديانات أوطان.

والدين اليهودي نفسه قد نسخه المسيح عليه الصلاة والسلام بديانته السمحة التي جاء بها من عند الله ، لأن اليهودية قد بشرت في أسفارها المقدسة بأن مسيحاً سيظهر ، وانتظروه، فلما أنعم الله عليهم به كفروا به وعتوا عن أمر ربهم وقتلوه وصلبوه كما يدعون .

اضطهاد اليهود أسطورة

في صباح يوم الأحد ٢٩ شعبان ١٣٨٩ (٩ نوفمبر ١٩٦٩ هـ) كان في البرنامج الذي أعدته الاذاعة الالمانية لي مقابلة مسؤول في وزارة الاعلام الالمانية في برلين .

وكان مرافقي الاستاذ مروان الشوربجي – وهو سوري من دمشق ومن كبار موظفي الاذاعة الالمانية بالقسم العربي ، والمعلق السياسي بها – وهو الذي يقوم لي بالترجمة ، وهو ذو خلائق فاضلة .

بدأت زيارتي إياه بمكتبه في الساعة العاشرة صباحاً ، ودامت المقابلة ثلاث ساعات ، شغلها الحديث في الشيوعية والصهيونية واليهود ودولة اسرائيل وقضية فلسطين .

ولم يكن المسؤول الالماني متعصباً لليهود ، بل أستطيع أن أقول : انه كان صديقاً للعرب .

وقال المسؤول الالماني : الواقع أن قضية الأسلحة التي قدمتها ألمانيا لاسرائيل لم تكن في صالح الشعب الالماني ، ولم يكن المسؤولون الالمان – غير المستشار السابق ووزير الدفاع الالماني – على علم بها ، وأن البرلمان الالماني استنكر صفقة الأسلحة التي تمت بين إسرائيل ومستشار ألمانيا السابق ووزير خارجيته .

ثم قال : إن الشعب الالماني لا يخلو من شذوذ ، ومن هذا الشذوذ أنه لا يعرف الوسط ، فهتلر اضطهد اليهود وقتلهم بالجملة ، وهذا اندفاع شاذ ، واضطر الشعب الألماني الى دفع التعويضات ، لأن هتلر قتل اليهود ، وصادر أملاكهم وأموالهم ، وشعر الشعب الألماني بالإثم الفظيع ، وأراد أن يكفر عن خطيئته فدفع لليهود تلك التعويضات الضخمة ، ومن بينها الأسلحة .

فأجبته : لنفرض أن هتلر اضطهد اليهود ، وقتلهم بالجملة ، وشعر الشعب الألماني بالإثم ، وصمم على التكفير ، واستعد بدفع التعويضات عن أرواح اليهود وأموالهم وأملاكهم المصادرة، أترى أن هتلر صادر لهم أسلحة ومعدات حربية ؟ إن تكفيركم عن إثم مفتعل بإثم أشد وأفظع يحتاج الى تكفير ! إنكم شعرتم بالإثم لأن هتلر قتل آلاف اليهود ، وأنتم أبحتم لليهود أن يقتلوا آلاف الأبرياء المدنيين الذين لم يؤذوا أحداً بالأسلحة التي دفعتموها لهم .

وإذا كان هتلر قتل آلاف اليهود ، أفترى هؤلاء اليهود كانوا أبرياء ؟

إني لا أدافع عن هتلر ، فهو ليس أهلاً لأن أدافع عنه ، ولكني أجعل التاريخ هو الذي يذكر لك الحقائق ، فاليهود في المانيا لم يكونوا يوماً بارين بوطنهم الألماني ، بل كانوا مع أعدائه دائماً ، وهم سبب هزيمته في حربين كبريين .

وما يزال اليهود حتى اليوم يعادون المانيا الغربية ، وإذا كانوا يتظاهرون لها بترك العداء السافر فسببه حاجتهم إلى أموال المانيا وأسلحتها ومساعداتها.

واليهود دائماً يبالغون ، فإذا طلبت إليـــه حقاً من حقوقك وكان غير راغب في الوفاء به هاج وماج ، وصاح : قف ، هنــا لا سامية ، هنا حرب لليهود .

وأنتم باعترافك تبـــالغون ، وتسرفون ، والاسراف في الشعور بالإثم المكذوب دفعـكم إلى تضخيم التعويضات ، وإلى دفع الأسلحـة والمعدات الحربية لليهود .

إنكم تزعمون أنكم أصدقاء العرب ، أما العرب فقد كانوا وما يزالون أصدقاءكم ، ووقفوا معكم في الحربين ، وكانوا معكم دائمـــاً ، وانهزمت دولة المسلمين وخلافتهم حتى أُزيلت الخلافة من الوجود وكسرت شوكة المسلمين من الأرض بسبب وقوفنا معكم .

واليهود وقفوا ضد الشعب الالماني ، وكانوا من اسباب هزيمته النكراء في حربين كبريين ، وقبلهما ، وعد إلى تاريخ ألمانيا فستجد أن اليهود الالمان كانوا ضد ألمانيا في كل فترات تاريخها .

ومع ذلك جحدتم فضل العرب والمسلمين ، وهم أصدقاء لكم ، وأيـــدتم اليهود وقدمتم لهم الأسلحة التي قتلوا بها أصدقاءكم العرب والمسلمين ، قتلوا بها الأطفال والرضع والنساء والعجزة ، أيدتم اليهود وهم أعدى أعدائكم .

ثم ان اليهود لم يضطهدهم هتلر إلى الحد الذي بالغ اليهود في تصويره ، ولم يذكر عنه انه قتل أطفال اليهود ، ولكن أسلحتكم التي أعطيتموهـا اليهود

قتلت مئات الأطفال العرب .

ثم زعم المسؤول الألماني بوزارة الاعلام أن اليهود قد اضطهدوا على مر التاريخ وان آلاف اليهود هاجروا من المانيا بسبب الاضطهاد الهتلري كما هـاجروا من غير المانيا ، وفلسطين وطن اليهود الأصلي ، فإذا هاجروا إلى فلسطين فقد عادوا إلى وطنهم القومي ، ولكننا لا نوافق على إخراج العرب من ديارهم في فلسطين ، ويجب أن يعيش العرب واليهود في فلسطين بسلام .

فقلت له : إنني أتحدث إليك حديثاً تدعمه الحقائق ، أما أنت فتحدثني حديثاً بعيداً عن الحق ، فاليهود لم يضطهدهم أحد في التاريخ كله ، بل هم الذين نكبوا الشعوب التي عاشوا في أوطانها ، ووسعتهم بفضلها وخيراتها .

وأما أن فلسطين وطن قومي أصيل لليهود فذلـك زعم مردود ، فاسم فلسطين يثبت أنها ليست لليهود ، ولم تكن مدينة القدس موضعاً دينياً لهم .

فإبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي يدعي اليهود نسبته إليهم ، وهو أبو كل رسلهم لم تكن فلسطين وطناً له ، فهو نفسه عليه الصلاة والسلام قد هاجر من العراق إلى فلسطين ، وسكن مع أهلها الأصلاء ولم يكن يملك فيها شبراً من الأرض ، ولما توفيت زوجته سارة لم يكن يملك قبراً يدفنها فيه ، فاشترى من عفرون الحثي في جبل صهيون مكانـاً دفن به زوجته ، وارجع إلى سفر التكوين تجد ذلك .

والتوراة نفسها تثبت ان فلسطين ارض الكنعانيين ، وليست لليهود ، بل اليهود يعترفون انهم هاجروا إليها وشاركوا اهلهـا السكن ، وكان اليهود عشائر غير متحضرة ، وكانوا منحطين عقلياً وثقافياً ، ولم تكن لهم مملكـة ولا دولة ، بل كان لكل عشيرة شيخ يسمى قاضياً ، ومشهور في التاريخ ان

عصر القضاة هو أول عصورهم في فلسطين .

وهاجر يعقوب وأولاده الى مصر حيث وجدوا الأمن والرخاء ، وعاشوا تحت حكم الفراعنة ، ولسوء نيات اليهود وفساد أخلاقهم اضطهدهم الفراعنة ، فقرروا الهجرة ، ولم تكن فلسطين مقصدهم لأنها وطن قومي ، أو مكان ديني لهم ، فهاجروا مع موسى عليه الصلاة والسلام الى الشرق من مصر ، ولكنهم لم يدخلوا أرض فلسطين إلا بعد أربعين سنة ، وبعد موت موسى .

ولم تكن لليهود دولة إلا لفترة قصيرة من سنة ١٠٢٠ قبل الميلاد الى سنة ٩٢٣ قبل الميلاد ، وهي الفترة التي حكم فيهـا أول ملوكهم شاوول ثم داود وسليمان ، وبعد وفاة سليمان انقسمت المملكة قسمين : مملكـة اسرائيل ، ومملكة يهوذا ، ولم تكن المملكة الموحدة إلا في جزء صغـير من فلسطين ، وأما المملكتان فكانتا صغيرتين ، وانتهى حكم الدولتين في فترتين ، فمملكة اسرائيل وعاصمتها السامرة انتهت في أوائل القرن الثامن قبل الميلاد ، ومملكة يهوذا انتهت في أواخر القرن السادس للميلاد .

ثم يجب أن نلاحظأن اليهود قد نفوا وهاجروا منفلسطين بأعداد كبيرة، ومن بقي منهم في فلسطين كانوا في أحط الدركات .

فأرض فلسطين ليست وطناً قوميـاً لهم ، وهيكل سليمان لم يكن مقدساً لدى اليهود جميعاً ، فقد هدمه أحد ملوك اليهود كما تذكر أسفارهم المقدسة .

لا حق لليهود في فلسطين ، لا من ناحية الدنيا ولا من ناحية الدين .

وأما خرافة اضطهاد اليهود فيجب فهمها على حقها ، وعلى سبيل المثال :

من الذي اضطهد اليهود في مصر في عهد موسى ؟ وما أسبابه ؟ إن الشعب المصري لم يضطهدهم ، بل كانوا على وفاق معه ، بدليل نجده في سفر الخروج أحد أسفار التوراة ، فهو يذكر أن بني اسرائيل استعاروا من المصريين مصوغات ذهبية وفضية وملابس وهربوا بها ، ولو كانوا أعداء المصريين لما أعاروهم نفائسهم .

وما يدعيه اليهود من اضطهاد الشعوب إياهم كذب ، فهم الذين يضطهدون الجوييم ، والجوييم غير اليهود ، يتاجر اليهود في كل بلد أكرمهم أهله بأرزاقه ويحتكرونها ، ويسلبون الناس أموالهم وأملاكهم ومزارعهم بوساطة القروض الربوية ، ويعزلون أنفسهم في كل بلد عن أهله، فلا يؤاكلونهم، ولا يشاركونهم في ضرائهم ، بل ضراؤهم ناجمة من اليهود .

إن اليهود حتى اليوم هم الذين يضطهدون الشعوب الأخرى ، ولا تدل الهجرة اليهودية الى فلسطين على اضطهاد الناس إياهم ، بل سياسة زعمائهم ورغبتهم في حشد اليهود بفلسطين هي التي دعتهم الى تهجيرهم .

ونكتفي بألمانيا مثالاً نسوقه ، فالمعروف المستقر في أذهان الناس أن الهتلريين اضطهدوا اليهود ، واضطروا الى الهجرة فراراً من اضطهاد النازيين، ولكن الواقع غير ذلك ، فقد كان للوكالة الصهيونية مكتب رسمي في برلين ، يرعى شؤون يهود ألمانيا ، وله فروع في مدنها ، وعلاقته بالجستابو علاقة وثيقة ، وأنت تعرف — ولا شك — شارع « ماين شستراس » في برلين ، ففي هذا الشارع يقع المكتب اليهودي الصهيوني ، وكان يحتل العمارة رقم ١٠ قبل هدم برلين ، في أيام هتلر .

وكان مدير هذا المكتب يهودياً صهيونياً مشهوراً في أوروبا يدعى جلعاد.

وكان هـــذا المكتب يقوم بترحيل اليهود الألمان الى أوروبا وأمريكا وفلسطين .

وكان اليهود المهاجرون ذوي صحة حسنة، ويخرجون ومعهم أموال طائلة ينقلونها معهم الى البلدان التي يهاجرون اليها .

أفيتفق هذا مع الاضطهاد ؟.

إن المضطهد لا يكون موفور الصحة ، حراً في نقل أمواله .

فرد المسؤول الألماني قائلا : إنني أسمع هذه الحقائق لأول مرة ، وسأرجع الى المصادر التي ذكرتها ، وإلى الوثائق الرسمية والكتب التي ذكرت هجرات اليهود لأتزود منها بمعلومات أكثر ، وأعدك أنني سأرفع الى المسؤولين الكبار كل ما ذكرت .

* * *

ومضت ثلاث ساعات في الحديث بيني وبـين المسؤول الألماني وقلت له : إنني لم أذكر لك كل ما أعـلم مما يتصل باليهود والصهيونية ، وما ذكرته إن هو إلا عناوين ومن الذاكرة ، ولم أكن مستعداً للبحث العلمي الشامـــل في موضوع اليهود، ومع ذلك ففيما ذكرت بعض الغناء لمن يريد أن ينصف العرب والمسلمين وشعب فلسطين .

وقلت له في ختام الحديث : إنكم تزعمون أن النازيـين صادروا أملاك اليهود وأموالهم في ألمانيا ، لنفترض صحة هذا الزعم ، ولنفترض أن لهم الحق في التعويض، وأنا أوافق جدلاً على أن ذلك حق، فأنتم أعطيتم دولة إسرائيل الأموال بدلاً من أموالهم وأملاكهـم ، أفترى أن النازيين صادروا من اليهود

أسلحة ومعدات حربية حتى تعطونهم إياها ؟.

ثم إنك تعترف بأن الشعب الألماني والحكومة لم يكونا على علم بصفقة الأسلحة التي تمت بين إسرائيل ومستشاركم السابق ووزير دفاعه ، ولم يوافق الشعب والحكومة عندما علما بهذه الصفقة ، وهذا يدل على أن العملية مريبة وغير شرعية ، وإلا لما استنكرتم .

فوافق المسؤول الألماني على كل ما قلت ، ورجا أن تكون العلاقات بين ألمانيا والعرب حسنة في الحاضر والمستقبل .

والحق ان الشعب الألماني المعروف بالشجاعة والكرم يكره اليهود لما طبعوا عليه من اللؤم والخسة وكراهيتهم لكل شعوب العالم .

والعرب مسؤولون أكثر من غيرهم ، فلا صوت لهم يسمع في الغرب الذي تدوي في أقطاره أصوات الصهيونية ، ولا تجد من يفند أكاذيبها ويكشف عن ضلالاتها .

اليهود يبيحون أعراضهم في سبيل تحقيق أغراضهم

اليهود منذ كانوا وحتى يرث الله الأرض ومن عليها مطبوعون على الشر والحقد والفساد ، ولا يسعهم أن يغالبوا طبعهم الذي فطروا عليه ، وفي سبيل تحقيق مآربهم الشريرة وأغراضهم الفاسدة لا يهمهم الدين ولا الله ولا القيم الانسانية الرفيعة ولا العرض المصون .

وكتبهم المقدسة التي ألفها أساطينهم طافحة بإباحة كل منكر ، وهدم كل ما كان وما يكون من القيم والمثل ، وتخريب الذمم والمجتمعات ، وافساد الضمائر ، ونشر كل ما يزلزل العقائد والأخلاق ، وإباحة كل وسيلة تحقق لهم غرضاً من أغراضهم الدنيئة .

وإذا كان الرسل والأنبياء المثل الاعلى لبني البشر في الخلائق والصفات والمعتقد والقول والعمل فإنهم يختلفون عند اليهود ، فالرسل والأنبياء عند

اليهود ذوو أخلاق كريهة مقيتة تشمئز منهـا نفوس ذوي الأجرام البشع ، وذوو عقائد فاسدة وأقوال كاذبة وأعمال شريرة .

وصفات رسل اليهود وأنبيائهم في كتبهم المقدسة صفات غاية في القذارة ، ومعاذ الله أن يكون أفضل الخلق طراً وخير البرية دون استثناء أرذل الخلق طراً وشر البرية دون استثناء .

فإذا وصف اليهود أفضل خلق الله – هؤلاء – بما يجعلهم مضرب المثـل في المنكر فلا غرابة أن يبيحوا لأنفسهم انتهـاك كل المقدسات ، وارتكاب جميع الآثام والموبقات في سبيل أن يصلوا إلى غاية من غاياتهم .

وما نريد أن نعيد في هذا المقال ما ذكرناه في الفصـل الذي كتبناه تحت عنوان « أنبياء بني إسرائيل ورسلهم » وفيه صفاتهم كما ترويها كتبهم المقدسة، وهي صفات لا يرضى الحقير من البشر أن تكون فيه .

وكل تاريخ اليهود زاخر بالفضائح والمنكرات ، ومنهـا دفعهم بناتهم ونساءهم إلى الإثم ما دام ذلك يحقق غرضاً من أغراضهم .

فاليهود عندما أرادوا – في القرن الثامن عشر – قتـل الروح الوطنية والقومية في الشعب الألماني حشدوا جهودهم وأموالهم وأجمـل بناتهم لحطمه بافساد شبابه ورجاله ونسائه .

وخطط اليهود برنامجاً يتناول الحياة كلها في ألمانيـا من العقيدة إلى ما عداها .

ومن سفالة اليهود حشدوا أجمل بناتهم لهدم أخلاق الشباب الألماني ، بل لهدم أخلاق الألمان جميعاً ، ومن جملة بناتهم « هنريت هيرز » أجملهن وأكثرهن

ثقافة وأعظمهن مجداً وحسباً ونسبـاً ، بل تعد من أعلى طبقة عند اليهود ، فهي ابنة أحد الحاخامين .

وفي « التلمود » في سفر باباتيرا ٧٥ حرف ا :

« الحاخامون يصبحون جميعاً آلهة ، ويدعون « يهوه» أي الله » .

وفي سفر مويد قنان احرف أ :

« للحاخامين السيادة على الله ، وعليه إجراء ما يرغبون فيه » .

وفي سفر بابامزيا ٨٦ حرف ا :

« إذا احتدم الخلاف بين الحاخامين والله فالحق مع الحاخامين » .

فالحاخام عند اليهود إله ، بل هو إله أعظم من الله جل جلاله ، وعلى هذا تكون «هنريت هيرز» من طبقة الآلهة عند اليهود ، لأنها ابنة حاخام .

وهي – بعد ذلـك – مثقفـة تخرجت من مدرسة عاليـــة للراهبات الكاثوليكيات ، وكانت متزوجة من يهودي تلمودي .

فهنريت قد حوت المجد كله من جميع أطرافه أب تحول إلى إله ، ثم صار أعظم من الله ، لأنه حاخام ، وهي ابنته ، ثم أخذت من الثقافة بأوفر حظ حتى كانت من المبرزات ، وكانت أجمل بنات اليهود ، وكانت ساحرة الحديث خلابة فاتنة تأسر .

ومع هذا المجد الباذخ تاجرت بجسدها وعرضها في سبيل «الديانة اليهودية» وأباحتها للشباب الألماني .

واتخذت هنريت للفساد كل أسبابه وهيأت له كل مطالبـــه ، فاتخذت

مسكناً آية في السعة والفخامة والفخارة في برلين ، وحشدت فيه كل ضروب المتعة للفكر والجسد ، فأقامت فيه ندوة ثقافية كانت أكبر ندوات الأدب والعلم والفن والفلسفة في ألمانيا ، بل كانت أكبر الندوات في اوروبا في ذلك الوقت .

ولما كان هذا القصر بما أعد له وبما كان يطلب منه فقد استعد الثري اليهودي موسى مندلسون بكل النفقات ، وأغدق على هنريت الأموال لتنفذ أبشع مخطط يهودي وأقذره ، ألا وهو إيقاع شباب المانيا في شباك المجون والفجور والفسق والتهتك، حتى يفقدوا الكرامة والنخوة والمرْوءة ، وبذلك تفقد المانيا روحها الوطنية والقومية فتتحطم على صخرة اليهودية اللئيمة .

وجذب جمال هنريت الفاتن الخلاب شباب المانيا من أعلى طبقاتها، وازدحم قصرها الواسع وندوتها بأفذاذ الشباب والرجال ، حتى إذا امتصت دماءهم وأموالهم ونخوتهم ومروءتهم وأفسدت أخلاقهم وضمائرهم وعقائدهم قذفت بهم الى المزابل فاقدي الشخصية كافرين بالمثل العالية والقيم الانسانية .

ولم تكن هنريت هيرز وحدها بالطبع ، بل كان معها في قصرها وندوتها عشرات الحسناوات الفاتنات الإسرائيليات يساعدنها في إطفاء سعير شهوات الشباب وغير الشباب من الألمان ، وهدم صرحهم الديني والخلقي والوطني والقومي ، وحطم المجتمع الألماني .

وفقد رواد قصرها وندوتها نخوتهم وكرامتهم ، وكانوا رسلها الى غيرهم كما كانوا خدمها المبشرين بدعوتها الفاسقة الكافرة ، وشاعت في المجتمع الألماني الأخلاق السافلة والإلحاد والفحش والفجور ، وتقوضت صروح مثله الرفيعة .

وصارت ندوة هنريت مركزاً لليهودية اللئيمة الفاجرة والماسونية المدمرة

وكل دعوات الهدم والتخريب ، وقاعدة لانطلاق الثورة ضد الدولة الألمانية ، وانطلاق القذائف المدمرة لأخلاق الشعب الألماني .

وكانت الندوة أعظم دار للفساد والفجور وانحلال الأخـلاق في اوروبا ، وانتشرت منها الخلاعة والمجون والإباحية والبدع التي تقذف بجرائر المانيا إلى احتراف الإيماس ، وبشبابها إلى التفسخ والانحلال والكفر بالقيم .

وكانت ندوة هنريت أكبر وكر للجاسوسية ، وملتقى زعماء الماسونيـة والفوضويين وأعظم رجال اوروبا المناصرين لليهود ليضعوا المخططات الثورية بغية هدم المجتمعات والقيم والأخلاق والأسر والأوطان .

ومن رواد ندواتها « ميرابو » خطيب الثورة الفرنسية ، فقد زارهـــا في ندوتها قبل الثورة الفرنسية ، واجتمع بأقطاب اليهود من زعماء الماسونيـــة وغيرهم ودرس معهم في خطة الثورة الفرنسية التي عمل لها اليهود ورعوهـا وساعدوها .

فلما عاد ميرابو إلى فرنسا كانت الدعاية قد سبقته وجعلت منـــه أعظم خطيب في الدنيا ومن أبرز رجال فرنسا واوروبا ، وهو نفسه كان داعية هنريت هيرز وندوتها ، وأشاد بها وباليهود علانية ، وصار من أكبر دعـاة اليهود ومن أعظم أنصارهم، وأصبح أداة تسخرها أيديهم القذرة الملوثة بدماء الشعوب والأبرياء ، فقامت الثورة التي هي في حقيقتها وغاياتهـا ثورة يهودية ضد الشعب الفرنسي والدم الفرنسي والعنصر الفرنسي .

ومنذ الثورة الفرنسية حتى اليوم ونفوذ اليهود في فرنسا غـالب على نفوذ أبنائها المخلصين من سياسيين وقادة ووزراء وحكام .

ولم تكن ندوة هنريت هيرز الوحيدة في ألمانيا وإن كانت أكبرها على الاطلاق ، بل كانت هناك ندوات تقوم بالمهام التي تقوم بها ندوة هنريت ، وكذلك كانت الحال في أوروبا وأمريكا ، واقتضت هذه الندوات المنتشرة في العالم احتراف آلاف اليهوديات مهنة الرقيق الأبيض .

واستعانة اليهود بنسائهم وبناتهم في إفساد المجتمعات وتفكيك روابطها أمر معروف ومشهور ، ففي أسفارهم المقدسة لديهم حوادث من هذا النوع المخزي ينسبونها الى رسلهم وأنبيائهم، ولا يجدون غضاضة في اقتراف الفحش نساء ورجالاً على أعلى مستوى فيهم .

ويزعمون في تلك الأسفار غض الرسل الكرام عيونهم عن آثام أبنائهم وبناتهم فيما بينهم ، مع أن فيها أحكاماً بالموت ضد مقترفي ذلك الضرب من الآثام .

وفي رضا الرسل أو سكوتهم وغض أبصارهم عن تلك الآثام وترك تنفيذ أمر الله في مقترفيها إثم يضاف الى آثامهم .

ونقول للمرة الثانية وعلى الدوام : معاذ الله أن يكون الرسل الكرام كما وصف اليهود اللئام كلما ذكرنا الاتهام .

وما صفوا رسلهم بما وصفوا من المنكر إلا ليجعلوه شريعة متبعة ، وإن المطبوعين على الفساد يعملون على نشره وتعميمه ، ولهذ نرى اليهود وراء كل كوارث الأخلاق ، وتجار الخنا في العالم كله ، وهم أصل كل بلاء الانسان منذ عرفوا وحتى اليوم وما بعده ما داموا يسيطرون على الشرق والغرب .

وما أحب أن أستشهد بما ذكر العقاد في كتابه « الصهيونية العالمية »

ص ٨١ و ٨٣ إذ يقول :

« ما من رئيس ذي خطر إلا يحيط به صهيونيون وصهيونيات ، ولكل من الفريقين عمله وميدانه الذي يعمل فيه » و « إن كتب اليهود التي يتعبدون بها طافحة بأخبار الرجال والنساء الذين يجدون النعمة «أو اللائي يجدن النعمة في أعين » الملوك والرؤساء ، ولا شك أن المستور أكـثر وأغرب من المنشور والمشهور » .

لا أريد أن أستشهد بأقوال العقـاد العربي المسلم لئلا تقال : شهادة عدو موتور من العرب المسلمين خصوم اليهود ، بل نستشهد بمن يؤمن أعمق الايمان بكتاب اليهود المقدس ثم بما قرر اليهود رسمياً .

يقول سرجي نيلوس في التعقيب الذي كتبه وختم بـــه « بروتوكولات مشيخة صهيون » عند نشره إياها في الطبعة الروسية [١] :

« إن عودة رأس الأفعى إلى صهيون لا يمكن أن تتم إلا بعد أن تنحط قوى كل ملوك اوروبا ، أي حينما تكون الأزمات الاقتصادية ودمـار تجارة الجملة قد أثرا في كل مكان ، هناك ستمهد السبيـــل لإفساد الروح المعنوي ، والانحلال الاخلاقي ، وخاصــة بمساعدة النساء اليهوديات المتنكرات في صور الفرنسيات والايطاليات ومن اليهن ، إن هؤلاء النساء أضمن ناشرات للخلاعة والتهتك في حيوات Lives المتزعمين على رؤوس الأمم ، والنساء في خدمـة صهيون يعملن كأحابيل ومصايد لمن بفضلهن في حاجة إلى المال على الدوام ، فيكونون لذلك دائماً على استعداد لأن يبيعوا ضمائرهم بالمال ، وهذا المال ليس

(١) الترجمة العربية بقلم الأستاذ محمد خليفة التونسي ، ص ١٧٠ – ١٧١ .

إلا مقترضاً من اليهود ، لأنه سرعان ما يعود من طريق هؤلاء النسوة أنفسهن إلى أيدي اليهود الراشين ، ولكن بعد أن اشترى عبيـــداً لهدف صهيون من طريق هذه المعاملات المالية » .

ويعلق المترجم الاستاذ التونسي على هذه الجملة مرتين : احداهما على كلمة «المتزعمين» والأخرى على «المعاملات المالية» فيقول :

« يلاحظ أن كثيراً من زعماء الامم والمشهورين فيهـــا كالعلماء والفنانين والادباء وقادة الجيوش ورؤساء الدول والشركات لهم زوجات أو خليلات أو مديرات لمنازلهـــن من اليهوديات ، يطلعن على أسرارهم ويوجهـــن عقولهم وجهودهم لمساعدة اليهود أو العطف أو كف الأذى عنهـم ، وهن سلاح هو أخطر الأسلحة » .

و « كان اليهود يشترون الأراضي من عرب فلسطين بأثمان عاليــة ، ثم يسلطون نساءهم وخمورهم على هؤلاء العرب حتى يبتزوا منهـم الأموال التي دفعوها لهم ، وعلى هذا النحو وأمثاله يعملون في كل البلاد » .

وتأكيداً لكل ما سبق نستشهد بما قرره مؤتمر اليهود العاشر الذي انعقد سنة ١٩١٢ م ، وقد أجمع المؤتمرون المتآمرون على اتخاذ قرار سري بفلسطين جاء فيه ما نص ترجمته[١] :

«ليس من بأس بأن نضحي بالفتيات في سبيل الوطن القومي ، وان تكون هذه التضحية قاسية ومستنكرة لأنها في الوقت نفسه كفيلة بأن توصل لأحسن

---

(١) الصهيونية، تأليف عرفات حجازي، وهو الكتاب الأول من «سلسلة التوعية الفلسطينية» الطبعة الاولى ، وما بين الحواصر الصغيرة من هذا الكتاب .

النتائج ، وماذا عسى ان نفعل مع شعب يؤثر البنات ويتهـــافت عليهن وينقاد لهن ؟ » .

وليس هذا القرار السري بمجهول ، ولا أول قرار ولا آخره يتخذونه في هذا السبيل ، فاليهود معروفون بمثـل هذه الطباع والصفـات ، وما أكثر مخططاتهم الجهنمية التي افتضحت ، ولكن اليهود لا يرعوون .

وذلك القرار السري المفضوح «كشف السرعة في المحاكمة التي جرت لعدد من اليهود في فلسطين بتهمة « تشغيل البنات في السياسة » وقد جاء نصـه في القرار الذي اصدره المستر كوبلاند رئيس المحكمـة المركزية في يافا صباح يوم ١٨ حزيران ١٩٣٤ »[١] .

والآن وقد تمت لليهود السيطرة على كل أراضي فلسطين العربيـة ، فهل انتهى برنامجهم للدعارة التي قرروا في مؤتمرهم السري اتخاذها من اجل الوصول إلى احسن النتائج ؟.

كلا ، لم ينتهوا ، ولن ينتهوا ، فقد فتحت حكومة اسرائيـل عديداً من بيوت الدعارة في المدن الفلسطينية اصطياداً لشباب فلسطين وإفسادهم وقتل روح النخوة والكرامة والنضال .

ولن يقف اليهود ولن ينتهوا ، فكل تجارة الفجور في العالم بجميع أنواعه في يدهم ، وهم مروجوها .

وفي مجلة « حضارة الاسلام » الدمشقية بالجزء الذي يضم العددين : التاسع والعاشر لشهر ذي القعدة وذي الحجة سنة ١٣٨٩ (شباط ــ آذار ١٩٧٠) :

---

(١) المصدر السابق .

« ولا ننسى ما نقلته وكالات الأنباء والاذاعات في البلدان الغربية من أن النسوة العرب رفعن مذكرة احتجاج للسلطات الاسرائيلية المحتلة يطالبن فيها منع استخدام الفجور والنساء لإفساد شباب القدس الصامدين ، ويكشفن فيها الغاية الخبيثة التي تقصدها إسرائيل من وراء ذلك ، خاصة وأن إسرائيل افتتحت عدداً من بيوت الدعارة ، وأرسلت عدداً من الفتيات الساقطات لكي يفسدن الشباب العرب ، ولإلهائهم عن الجهاد والنضال ضدها ، وتقضي بهذا السلاح على المقاومة ، وتطفىء – عندهم – بواسطة المثيرات الجنسية ثورتهم ضد الاحتلال والاغتصاب والعدوان » .

وهكذا نفذ اليهود قرارهم في فلسطين قبل الاحتلال وبعده ، ودفعوا للموبقة والفسق أجمل بناتهم ومن أرفع طبقاتهم للدعارة السرية والعلنية .

ولم يتخذوا هذا القرار خاصاً بشعب فلسطين، فقد اتخذوه بالنسبة لألمانيا ، وفي سبيل إفساد المجتمع الألماني وشبابه دفعوا ابنة حاخامهم مع آلاف الاسرائيليات لاحتراف الفساد والدعارة، وأهدروا أعراضهن من أجل تحقيق مآربهم الدنيئة ، وهو ما عملوه مع شعب أوروبا وأمريكا في السلم والحرب .

بل كان اليهود يرافقون الجيوش المتحاربة في الحربين الماضيتين ومعهم أخواتهم ونساؤهم وبناتهم يضاجعن الضباط والجنود ، ويسرقن الأسرار والوثائق ، ويحصلن على أجور سخية منهم .

سرقوا أسرار الدول بواسطة نسائهم ، وبوساطتهن حصلوا على خطط الحرب من القادة الذين سلطوا عليهم بناتهم ، فاستدرجنهم ، وفي غمار اللذة والمتعة والسكر حصلن منهم على خططهم الحربية فتاجروا بها .

بل استدرج اليهوديات قادة وزعماء وحكاماً ووزراء وسفراء وفلاسفة

وصحفيين ومخترعين وأساتذة جامعات وقضاة وممثلي دول وأقمن معهم علاقات آثمـة ، وأخذن بآلات تصوير خفية صوراً شائنة لضحاياهم في أوضاع مخجلة معهن ، ثم هددهم بها اليهود فاستعبدوهم ، وسخروهم لأغراضهم .

فإذا أبى أحد منهم الخضوع لهم حطموا سمعته ، ونشروا صوره الخليعة الماجنة ، وقد انتحر في مصر منذ سنوات أحد الدبلوماسيين الغربيين خشية من الفضيحة عندما هدده اليهود بفضحه على جرائم أخلاقية قذرة اقترفهـا باستدراج اليهود إياه .

وليس بعيداً كسبهم لقضية زيوريخ المشهورة التي حكم القضاة فيها بتبرئة القاتل الأثيم لأنه صهيوني ، وبتجريم شابين عربيين وشابة عربيـة دافعوا عن وطنهم السليب وشعبهم المشرد . وهؤلاء القضـاة واثقون من أنهم حكموا بغير الحق .

ولعل المستقبل يكشف ما استتر بالنسبة لهؤلاء القضاة الظالمين ، وإن العالم واثق كل الثقة من أن حكم قضاة زيوريخ حكم جائر غشوم .

والعالم يعرف أن اليهود على استعداد دائم للتضحيـــة بالأعراض وبكل مقدس لديهم في سبيل الوصول إلى غاياتهم ، وبروتوكولات مشيخـة صهيون تكشف الستر الذي أنزلوه على مخططاتهم الرهيبة لتحطيم القيم والمبـــادىء والديانات والضمائر والأخلاق ، وتثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن اليهود أقذر الشعوب والأمم وأجبنهم على الإطلاق .

الشيُوعيَة وَليدَة الصّهيُونية

في بعض خطب الملك العظيم فيصل وتصريحاته أن الشيوعيـة وليدة الصهيونية ، وسألني بعض القراء عن هذه الحقيقة – وحسبوا أنهما على طرفي نقيض ، فالصهيونية رأسمالية غربية ، والشيوعية أشد خصوم الرأسمالية كما يبدو – وذكروا أن جريدة «البلاد» نشرت في عددها الصادر في يوم الخميس ٢٦ صفر ١٣٩١ (٢١ ابريل ١٩٧١ م.) هذا الخبر :

« استقبل جلالة الملك في قصر الرئاسة في الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح يوم أمس فريق طلبة الكلية الحربية بواشنطن يصحبهم سعادة السفير الأمريكي لدى المملكة ، وقد حضر المقابلة صاحب السمو الملكي الأمير خالد ابن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ، وقد لقي الجميع من جلالته كل حفاوة وتكريم .

« ويقول مراسل وكالة الأنباء السعودية : إن جلالتـه تحدث إلى فريق الطلبة عند استقباله لهم فقال :

« إن الشيوعية والصهيونية لا تتيحان الفرصة لتحقيق أهدافنا من التقدم والاستقرار ، والعالم يحتاج إلى البناء لا إلى الهدم والتخريب ، ولكن الصهيونية والشيوعية لم تتركا لنا الفرصة لبناء بلادنا وشعوبنا .

« وعندما نقول : الصهيونية والشيوعية نذكر اسمين ، ولكن في الحقيقة أن الشيوعية وليدة الصهيونية ، وهدفهما الأساسي هو التخريب والتحطيم .

« ولسوء الحظ يجدون الفرصة في أكثر من بلد في العالم لتخريبه » الخ .

وهؤلاء القراء يعرفون أن الملك فيصلاً دقيق في تصريحاتـه ، وصادق في أقواله ، ويتحرى الحق والصواب والواقع في كلامـه ، ويودون أن يقفوا على التفسير الصحيح لما ذهب إليه جلالته .

والحق ، أن الملك فيصلا يزن الكلام ولا يقول إلا الصدق والحق تثبتها الحجة الصحيحة والواقع المشهود ، وكلمته في الشيوعية والصهيونيـــة حق ، فالصهيونية ولدت الشيوعية ، ومن هنا كانت الصهيونية أم الشيوعيـة ، لأن اليهودية اللئيمة أم هاتين التوأمتين المتوحشتين .

ولا نريد أن ندخل في تفصيل يغني عنه الايجاز ، وفيما نذكر الدليل :

يقول فرانك ل. بريتون في كتابه « الصهيونيـــة والشيوعية » في المقدمة التي يبدؤها بقوله :

« تختلف الصهيونية عن الشيوعية ظاهراً في ثلاثة أمور :

« أولها : التسمية ، ففي « الصهيونية » تخصص ، وفي « الشيوعية » تعميم

ليختار المرء بينهما بحسب مزاجه .

« والثاني : مركز النشاط ، فمركز نشاط الصهيونية ما اصطلح على تسميته « بالغرب » وتتزعمه أمريكا (واشنطن) ومركز نشاط الشيوعية « الشرق » وتتزعمه روسيا (موسكو) .

« والثالث : الاسلوب في العمل ، فالصهيونية تتاجر بالمال تدعمه الدعاية عند اللزوم ، والشيوعية تتاجر بالدعاية يدعمها المال لدى الاقتضاء .

« وأما الحقيقة الراهنة فهي أن الصهيونية والشيوعية صنوان منبعهما واحد ، وغايتها واحدة ، وجوهرهما واحد ، والفئة التي تقوم عليهما من وراء الستار واحدة ، وما اختلافهما الظاهر سوى ترتيب مؤقت اقتضاه النجاح في السعي إلى الغاية الواحدة ، حتى إذا تحققت الثقة بالنجاح الكامل اتحدتا معاً للسيطرة على العالم الخ » .

ويؤيد هذا الرأي كتاب وباحثون في الغرب ، ومنهم روبرت وليمز في كتابه « اليهود في أمريكا » وموجز رأيه أوجزه في قوله : « الصهيونية شقيقة الشيوعية وأمها » .

فكلمة الملك فيصل حقيقة تاريخية وواقعية لا نحتاج في اثباتها إلى جهد كبير ، وبحسبنا ما ذكرنا ، إلا أن الملك فيصلا معروف بأنه من الملوك والزعماء الدارسين المثقفين ، ولم تفته نشأة الصهيونية والشيوعية ، بل هو يعلم نشأتها ونطفتها وأسباب وجودهما ، ودليل ما ذهب إليه بعدما ذكرنا ما انتهى إليه فرانك بريتون وروبرت وليمز وما جاء في دائرة المعارف البريطانية (الطبعة الحادية عشرة) وفي مصادر أخرى .

والعالم يعرف حق المعرفة أن كل نكبة حلت به وتحل منذ محاربة اليهود للمسيح وقبلها وحتى اليوم إنما السبب الأول اليهود .

وكلنا يعرف أن الديانات جاءت لسعـادة البشر وأمنهم ورخائهم وتحقيق العداله فيما بينهم ، ولكن اليهود نسفوا اليهودية (ديانــة موسى) من الصميم واستبدلوا بها ديانة وثنية لئيمة تتفق مع نفوسهم الشريرة الباغيـة . ثم هم يحاولون على مدى التاريخ أن ينسفوا المسيحية والاسلام بكل وسيـــلة من الوسائل .

فاليهود يخترعون كل مذاهب الهدم والتخريب سواء أكانت في العقيدة أم في السياسة أم في الآداب والفنون والعلوم والاجتماع ، ويخترعون مـــذاهب متناقضة في الظاهر والمبدأ ، وهي في حقيقتها تنتهي إلى غاية واحـدة ، ألا وهي التخريب .

فالشيوعية تبدو عدو الصهيونية ، وهما — كما ذكر الباحثون — توأمتـان ولدتهما اليهودية اللئيمة .

ولعل الأب الذي تنتمي إليـــه هو اليهودي المتعصب موسى هس Moses Hess فقد ألف كتيباً سماه «روما القدس» ونشره سنة ١٨٦٢ وذهب فيه إلى ضرورة قيام دولة يهودية ، وقــال : لا يمكن للشعب اليهودي أن يضمن لنفسه البقـــاء إلا بأن تكون له دولة ، وتنبأ في كتيبه بأن الشعب اليهودي سيحيا حياة مستقلة وحرة دينياً وسياسياً في دولة تقوم بفلسطين .

وأحدث كتيب موسى هس دوياً ، ووجدت فكرتـه أنصاراً ، وأيقظ اليهود وأشعل فيهم ضرام الحماسة .

وبعد أربع عشرة سنة نهضت الروائية البريطانية ماري آن أوماريان إيفانز لتأييد موسى هس، وعرفت ماريان في الوسط الأدبي باسمها المستعار الذي اشتهرت به وهو «جورج اليوت» المولودة سنة ١٨١٩ والهالكة سنة ١٨٨٠.

وخرجت على الديانة المسيحية وكتبت مقالات في نقدها ، وشذت عن أسرتها المسيحية ، فمات أبواها ، وأختها تزوجت ، وأبت هي أن تتزوج ، وتفرغت للكتابة ، وتشبعت بهيجل وموسى هس أستاذي كارل ماركس، كما تأثرت بفلسفة ماركس نفسه، واعتنقت أفكار موسى هس وحملت عنه فكرة الصهيونية وبشرت بها في حماسة لا مزيد عليها . وألفت روايتها الشهيرة دانيال دروندا (Daniel Deronda) في سنة ١٨٧٦ في تأييد الصهيونية وإنشاء دولة يهودية في فلسطين .

ويُعدّ موسى هس وجورج اليوت أول من أعلنا الفكرة الصهيونية ، وهما المنشآن والمجليان لها وللتفكير الصهيوني ، وهما قد سبقا هرزل إلى قيام دولة يهودية في فلسطين .

وجورج اليوت كانت قذرة في سلوكها ، فكان الثري اليهودي البريطاني هنري لويس ينفق عليها لتتفرغ للكتابة ، وذلك تلقاء أن تكون عشيقته وأن تعيش معه كزوجة ، وكان لويس متزوجاً ، وفعلتها هذه أثارت عليها سخط الناس ، ولكنها لم تباليا ، فذلك يهودي ، وتلك ملحدة خارجة على دينها ودين أبويها .

وكارل ماركس إبليس الشيوعية كان من تلامذة موسى هس، ولم تجذبه اليه يهوديته اللئيمة وحسب، بل آراؤه الاشتراكية وما سماه ماركس نضالاً في الفكر والحياة ، واعترف ماركس بأثر هس وإعجابه وافتتانه به إلى حد جد بعيد .

وكان بين موسى هس وكارل ماركس صلة صداقة جمعت بينهما وحـــدة الأفكار والاتجاه ، وتأثر ماركس بصديقه وأستاذه هس ، وعدّه من الرواد، واعترف بأنه اتخذه قدوة ومثالاً .

وإذا كانت الصهيونية التي يعد موسى هس منشىء فكرتها وسابق كل من أتوا بعده تدين في مرحلتها العملية إلى تيودور هرزل فإن إمام الشيوعية كارل ماركس نفسه قـــد تتلمذ للصهيوني الأول هس ، وجذبته إليه آراؤه في الاشتراكية وتأثر به وأفاد منه وجعله أحد أئمته في مذهبه الهدام .

وهرْزل نفسه تأثر بموسى هس ، وكتاب « الدولة اليهودية » لهرْزل الذي دعا فيه بصراحة إلى قيامهـــا بفلسطين مسبوق بكتاب « روما أورشليم » (روما القدس) لموسى هس ، وكتـــاب (دانيال دروندا) لجورج اليوت ، وتأثر بهما وبخاصة بكتاب موسى هس .

وإذا عدنا إلى الشيوعية وأقطابها وجدناهم يهودا ، وأعظم زعماء الشيوعية القائمين بالثورة يهود شديدو التعصب لليهودية ، بل نجد الفترة التي سبقت ثورة أكتوبر ١٩١٧ ببضع عشرة سنة كانت تحت سيطرة اليهود وجهودهم في هدم روسيا أو إحداث البلبلة والهيجان والفتن التي تنتهي الى الهدم ، تلك الجهود التي أثمرت قيام الشيوعية في روسيا .

فثورة سنة ١٩٠٥ في روسيا كان اليهود يغذونهـــا ويسرفون في إشعال ضرامها ، وكانت المقدمة التي انتهت إلى نجاح ثورة ١٩١٧ ولينين نفسه يؤكد ذلك بعد قيام الحكم الشيوعي في روسيا ويقول : « لولا التجربة النهائية لسنة ١٩٠٥ لكان فوز ثورة أكتوبر محالاً ».

وكل مقدمات الثورة الشيوعية في روسيا والأسباب والدوافع التي هيأت

لقيامها ونجاحها تعود الى الصهيونية والصهيونيين .

فعلى سبيل المثال : مجلة « اسكرا » ومعناهـا : الشعلة أو الشرارة ، صدرت في سويسرا من قبل أغلبية يهودية للعمل على إيجـاد حركة منظمة للشيوعية بغية قيام دولة ، وكانت المجلة بداية هذه الحركة في مرحلة التنفيذ ، وصدر أول عدد منها في ميونيخ سنة ١٩٠٠ .

ولما كان القصد من إصدار « اسكرا » تنظيم الحركة الشيوعية والانتقال بها من الفكرة الى العمل والتطبيق بعد جمع الماركسيين فقد تولى مجلس ادارتها سبعة من أقطاب الشيوعيين ، وهم : لينين ، وبليخانوف ، وبوتريسوف ، وتروتسكي ، ومارتوف ، واكسلرود ، وتسازولتش ، وهؤلاء الأربعة يهود ، وأما سكرتيرة المجلس فيهودية متعصبة هي كروبسكايا ، وهي زوجة لينين .

ومجـلة « رابوشي دبلو » أي « قضية العمال » التي كان يصدرها في جنيف «عصبة الديمقراطيين الاشتراكيين الروس» تحت سيطرة اليهود ، وكان موجه سياستها ورئيس تحريرها اليهودي المتعصب «تيودور دان» وكان مؤسسو المجلة يريدون أن يجعلوا منها لسان « حزب العمال الديمقراطي الاشتراكي الروسي » الذي أعلن مؤتمر منسك سنة ١٨٩٨ ولكن الحزب لم يتألف ، والمجلة ماركسية يهودية ، واستطاعت أن تجعل العمال في روسيا وحدات مجتمعات تأتمر بأمر اليهود الذين خططوا للثورة وتدمير روسيا .

وفي خمس السنوات الأولى من القرن التاسع عشر (١٩٠١ — ١٩٠٦) تأسس في روسيا أخطر منظمة إرهابية سمت نفسهـا الحزب الاشتراكي الثوري ، وكانت منظمة يهودية يرئسهـا يهودي خطر يدعى « جروشوني » ويتولى إرهابي خطر من غـلاة اليهود هو « آزيف » رئاسة القسم المخصوص

بالاغتيال والقتل ، وآزيف ممن أسسوا هـذه المنظمة التى قامت بسلسلة من الاغتيالات ذهب ضحيتها بعض ذوي الأسماء البارزة في روسيا ، ومن أكبر الشخصيات الألى اغتيلوا على يد الارهابيين اليهود : وزير المعـــارف ووزير الداخلية وحاكم احدى المقاطعات،ورئيس وزارة، وعم القيصر، وجنرال كبير.

وفي سنة١٩٠٥ اشتعلت نار ثورة دبرها اليهود ، واستطاع حزب المنشفيك الذي يرئسه اليهودي مارتوف وحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي من تأسيس مجلس (سوفيات) بطرسبرغ الثوري ، وتولى رئاسته اليهودي جبورفسكي من حزب المنشفيك ثم خلفه على الرئاسة اليهودي جيورجي نوسار المعروف باسم خروستاليف ، وتولى برنستين (تروتسكي) سكرتارية المجلس ، فأسس اتحاد الفلاحين ، وقام بالتنظيم العسكري فيه ، وتروتسكي هذا هو الذي أسس فـيما بعد الجيش الأحمر ، ثم خلف نوسار في الحكم فصار رئيس مجلس بطرسبرج ، ولكن المجلس لم يدم ، والثورة لم تنجح ، وسجن تروتسكي ، ولكن هذه الثورة كانت مقدمة ثورة أُكتوبر ١٩١٧ .

وإذا كان اليهود قد اغتالوا في سنة ١٩٠٤ رئيس الوزارة الروسيـة فإن محامياً يهودياً من الارهابيين يسمى مردخاي بوجروف اغتال رئيس وزراء روسيا وأحد كبار المصلحين وهو ستوليبين ، وذلك في شهر سبتمبر ١٩١١ .
ومؤتمر لندن الذيعقده فيسنة ١٩٠٧ حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي بمدينة لندن — وسمي المؤتمر بهـا — حضره (٣١٢) عضواً يمثلون البلشفيك برئاسة لينين،والمنشفيك ويمثله رئيسه مارتوف، وحزب الديمقراطيين الاشتراكيين البولونيين برئاسة الشيوعية اليهودية روزا لكسمبرج ، والاتحاد اليهودي برئاسة رفائيل ابراموفتش وليبر وحزب الديمقراطيين الاشتراكيـين اللتوانيين برئاسة هرمان .

وكل أولئك المندوبين الذين حضروا المؤتمر من اليهود باستثناء ثلاثة : بليخانوف ، وستالين ، ولينين ، ومعروف أن لينين نصف يهودي بسبب زوجته اليهودية ، ويهودي صميم على بعض الأقوال ، فالكاتب اليهودي الامريكي لويس فيشر (Luis Fischer) الذي عاصر لينين وزامله ذكر أن لينين من أصل يهودي وذلك في كتابه حياة لينين Life Lenin .

وفي صحيفة « فرنسا القديمة » العدد ١٦٠ الصادر في سنة ١٩٢٠ سرد أسماء اليهود الذين قاموا بالثورة في أكتوبر ١٩١٧ وأولهم لينين ، وقالت الصحيفة : « وجميع هؤلاء الذين مر ذكرهم يهود قد اتخذوا لهم أسماء روسية مستعارة » .

وفي صحيفة « فرنسا القديمة » العدد ٢٠٥ :

« وفي الوقت الحاضر تنشر جمعية « الاتحاد الروسي » القائمة في نيويورك كراسة خالية من كل تعليق وحاشية تحتوي على أسماء أعضاء « السوفييت » إلى أن تقول : « ولم تذكر الكراسة لينين كيهودي ، وهو يهودي » .

وقبل مؤتمر لندن ١٩٠٧ عقد مؤتمر بروكسل ثم لندن في سنة ١٩٠٣ وحضره ستون مندوبا يمثلون منظمات مختلفة ، وكانوا جميعاً ــ ما عدا أربعة ــ يهودا ومن أشد اليهود غلواً وتطرفاً في الماركسية ، والذين لم يكونوا يهودا في أصولهم كانوا تبعاً لليهود ، وينفذون مخططاتهم .

ومنذ سنة ١٩٠١ حتى اندلاع الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ كانت الثورة وتمويلها والدعاية لها يقوم بها اليهود .

وثورة أكتوبر ١٩١٧ نفسها فجرها اليهود ، وهم وحدهم الذين أفادوا

منها ، أما الشعب الروسي والمسلمون والاسلام والمسيحية فقد خسروا خسراناً مبيناً ، وبخاصة الاسلام والمسلمون .

وثورة فبراير ١٩١٧ كانت انفجاراً شديداً أعقبه نزول القيصر عن العرش في ١٥ مارس ١٩١٧ ، وفي ١٤ مارس ١٩١٧ تم تأليف أول حكومة مؤقتة لحماية الثورة برئاسة اليهودي كيرنسكي ، ومن أبرز وزرائـه هؤلاء اليهود : مليوكوف ، ولفوف ، وكوتخوكوف .

وعندما أعلنت ثورة أكتوبر ١٩١٧ انتخب اليهودي كامينيف أول رئيس للجمهورية السوفياتية وتولى رئاسة الحكومـة لينين – وهو كما أشرنا يهودي الأصل ونصف يهودي بسبب زوجته اليهودية – وتولى وزارة الخارجيـة ثم وزارة الحربية تروتسكي اليهودي الذي أسس الجيش الأحمر .

وعندما تم تشكيل هذه الحكومة شكلت أول مجلس شيوعي قوامه ٥٤٧ عضواً منهم ٤٤٧ من اليهود الغلاة المتعصبـين المغامرين ، وتأسست اللجنـة المركزية للحزب الشيوعي في بداية الحكم من ٣٨٨ عضواً ، منهم ٣٧١ يهودياً و١٦ روسيا وزنجي واحد .

وفي ٧ نوفمبر ١٩١٧ كان الرئيس الثاني للجمهورية السوفياتيـة الشيوعية يهودياً من الارهابيين هو سفرد لوف ، وهذا هو نفسه الذي رأس اللجنة التي وضعت دستور الاتحاد السوفياتي .

وعندما تولى كيرنسكي رئاسة الحكومة المؤقتـة اتخذ قراراً جد خطير وهو السماح للمبعدين والمنفيين ، فعاد تسعون ألفاً منهم من سيبريا والولايات المتحدة وفرنسا وبولندا وسويسرا والبرازيل وغيرها ، وكانوا جميعاً بلا استثناء

من المغامرين والارهابيين ، وأغلبهم من اليهود ، وهؤلاء هم الذين ثبتوا الشيوعية في روسيا ودمروها ، وتولوا رئاسة المجالس والهيئات وإدارة المصانع والادارات المختلفة .

وكان اليهود هم الذين فجروا الثورات في روسيا وختموها بثورة أكتوبر ١٩١٧ وهم الذين دربوا فرق اليهود المغامرين ومولوا الحركة الشيوعية في روسيا وغيرها ، فالبارون هيرش اليهودي هو الذي كون الفرق العسكرية اليهودية ، وهو الذي مول كل المستعمرات اليهودية في ذلك الزمن بفلسطين ، وهو الذي مول الثوار اليهود في روسيا ، وهو الذي افتتح في أمريكا فرعاً لشركته ، ووضعه تحت أمر اليهودي المليونير يعقوب شيف الذي وضع مخطط الثورة البلشفية بأن أمدها بالمال والسلاح والثوار الذين دربهم تدريباً عظيماً في الأراضي الأمريكية على الاغتيال والقتال واثارة المظاهرات والفتن والاضطرابات والبلبلة والشغب ، كما درب آلاف الشباب اليهود وزودهم بجوازات أمريكية وأرسلهم إلى روسيا ، ومن هؤلاء من أثاروا العمال والفلاحين ضد الحكومة الروسية .

ومن مولوا الحركة الشيوعية التي انتهت بالثورة في روسيا المليونير اليهودي يعقوب شيف بأمريكا وماكس ، وووربوغ الصهيوني الثري القاطن في استوكهلم ، وهو الذي كان يمد تروتسكي بالمال ، ومؤسسة كوهين ولوين الصهيونية بأمريكا ، ومؤسسة أوتو كوهين الصهيونية بألمانيا ، ومؤسسة نقليات العمل اليهودية في وستفاليا بألمانيا وغيرها .

وقادة الثورة الشيوعية وحكام روسيا بعدها هم اليهود الخمسة : لينين ، وزينوفييف ، وكامينيف ، وتروتسكي ، وسفر دلوف .

ولم يكن لستالين دور بارز في الثورة ، وبعد وفـــاة لينين سنة ١٩٢٤ استطاع أن ينتزع النفوذ من يد تروتسكي وصار الحاكم بأمره ، وبدا للناس أنه انتزع السيطرة من أيدي الصهيونيين ، ولكن أعوانه كانوا صهيونيين أشداء حكموا روسيا مع ستالين وباسمه .

وستالين نفسه نصف يهودي ، ويكمل نصفه الآخر ليكون يهودياً تامـــاً أن ابنته سفتلانا كانت متزوجـــة من الصهيوني ابن الصهيوني ميخائيل بن لازار كاجاثوفتش ، وأما ستالين فكان زوجـــاً للصهيونية شقيقة الصهيوني لازار .

وإذا كان عهد لينين عهداً صهيونيـــاً فعهد ستالين مثله ، فالثالوث الذي كان يسيطر على روسيا وكل الاتحاد السوفياتي هو : ستالـــين ، ومولوتوف ، وكاجانوفتش .

أما ستالين فقد ذكرنا يهوديته ، وأما مولوتوف فمتزوج من يهودية سلبتــه لبه وجعلته صهيونياً ، وأما لازار كاجانوفتش فهو صهيوني متعصب ، وصار عضو المكتب السياسي ، وصهر ستالين من ناحيتين ، ونائبه في رئاسة المكتب السياسي .

وهؤلاء هم قمة الاتحاد السوفياتي ، وأما الألى كانوا حكاماً تحت امرة ذلك الثالوث وأدوات بطشه فكلهم يهود ، ومن كان غير يهودي فهو تحت سيطرة الثالوث الرهيب .

وإن الصهيوني لازار كاجانوفتش نائب ستالين كان ذا نفوذ في الدولة ويأتي بعد ستالين ، ولا راد لأمره في الاتحاد السوفياتي كله .

وذكر الاستاذ محمد خليفة التونسي في كتابه « الخطر اليهودي » في هامش صفحة ٥٨ من كتاب « المؤامرة اليهودية » ما ترجمه بقلمه :

« ... ولا يزال أغلب أعضاء المجلس السوفياتي الشيوعي الذي يحكم روسيا الآن من اليهود الصرحاء ، وهم سبعة عشر هم : ستالين رئيسه ، وكاجانوفتش نائبه ، ثم ل. ب. بيريا ، وك. ا. فورشيلوف ، وت. م. مولوتوف ، وم. شفيرنيك ، وكيرتشينستين ، وجوركين ، وإليا إيرهمبورج رئيسة الدعاية ، وديفنسكي ، وجيسبرج ، وميجليس ، وفرمين ، وجودي ، ولوزوفسكي ، وكافتانوف ، وبيتر ليفتسكي وهم يهود صرحاء إلا ثلاثة هم : ستالين ، وفورشيلوف ، ومولوتوف ، ولكن زوجاتهم يهوديات ، والثلاثة بين يهودي الأم أو الجدة ، أو صنيعة مجهول النسب من صنائع اليهود ، وهذا سر الصلة بين اليهود وروسيا البلشفية الشيوعية » .

وعلى هذا يكون كل حكام روسيا الذين بيدهم الأمر من الصهيونيين ومن أشدهم عداوة لغير الصهيونيين .

والثورات الشيوعية التي قامت في بولندا وألمانيا دبرها اليهود وهم الذين تولوا قيادتها ورئاسة الحكومة فيها ، وكذلك الأمر في المجر وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا ، ونستطيع أن نضيف اليهم تيتو دكتاتور يوغوسلافيا . فأستاذه يهودي .

ولما كانت الثورة الشيوعية في روسيا أكبر الثورات الشيوعية خطراً وأشدها نفوذاً وجبروتاً وقوة وسيطرة فقد خصصناها بهذا البحث ، ونحن لا نشك أنها من تدبير اليهود ، وهم الذين فجروها وحكموا روسيا في جميع عهود حكامها الشيوعيين ، في عهد لينين ، وفي عهد ستالين ، وفي عهد

خروشوف ، وفي عهد من أتوا بعده ممن يحكمون روسيا عند كتابة هذا البحث .

وما يزال اليهود مسيطرين على روسيـــا الشيوعية بكل الجمهوريات التي يضمها الاتحاد السوفياتي .

وإذا كانت القيادة الاستراتيجية للقوات المسلحة في الاتحاد السوفياتي في أيدي اليهود فذلك برهان سيطرتهم على كل الاتحـاد السوفياتي في هذه الأيام أيضاً .

نشرت صحيفة « لوموند » الفرنسية المشهورة في عددهـا الصادر في يوم ٢٠ أبريل ١٩٧١ أن مراسلهـا الدائم في موسكو الصحفي ميشيل تاتو كتب مقالاً جاء فيه : «وإن القيادة الاستراتيجية للقوات المسلحة الروسية في أيدي اليهود [١] ».

والصهيونية التي أوجدت الشيوعية وفجرت ثورتها وأنجحتهـا كانت هي الرابحة دون الشعوب التي قامت بالثورة أو قامت فيها الثورة ، فكسبت من ثورة الشيوعيين في روسيا تأييدها الصهيونية ، ففي بضعـــة الأيام الأولى من تسلم الشيوعيين البلاشفة الحكم أعلنت الحكومة أن عداء اليهود جريمة يعاقب عليها القانون ، كما أعلنت الحكومة برئاسة لينين تأييدها المطلق لحق اليهود في وطن قومي لهم في فلسطين .

وفي عهد ستالين نجد دول الكتلة الشيوعية تقف في وجه المندوبين العرب، وتؤكد حق اليهود في فلسطين وتطلب فوق ذلك أن تعمل الأمم المتحدة لصالح

(١) جريدة «الندوة» العدد ٣٩٠٢ وتاريخ ٢٤ شوال ١٣٩١ هـ. ١٢ ديسمبر ١٩٧١ م.

اليهود أنى كانوا ، بل نجد الاتحاد السوفياتي في عهـد ستالين يطالب باعتبار « الوكالة اليهودية » دولة يهودية تمثل اليهود ، إذ لا يصح أن يكون العرب ممثلين ولا يكون لليهود من يمثلهم ، ولم يكن الاتحاد السوفياتي وحده في ذلك بل كانت كل دول الكتلة الشيوعية صفاً واحداً مع اليهود ، حتى يوغسلافيـا في جميع أدوارها كانت مع اليهود إلا فيما لا يجدي .

ومع أن تيتو محط أنظـار الإكبار والتمجيد من بعض زعماء العرب فإنه من أشد أنصار اليهود ، وبجهده وجهود الشيوعية والرأسماليـة خسر العرب قضيتهم في الهيئة الدولية وربح اليهود ما لا حق لهم فيه ، بل اغتصبوا بتلك الجهود حق العرب الخاص .

ومن المفارقات الغريبة أن الشيوعيين أيدوا الصهيونية تأييداً مطلقـاً وحازماً ، وسفهوا العرب وشتموهم في حـين أن الولايات المتحدة الأمريكية التي ترعى الصهيونية دفعتها لباقتها ودهاؤها أن تتريث وتعارض الشيوعيين ، لأنها واثقة أن ما تريد أن تقوله قد قاله الشيوعيون ، بل قالوا أكثر مما تريد قوله .

والاعتراف بدولة إسرائيـل كان الشيوعيون وعلى رأسهم جروميكو مندوب روسيا الشيوعية أسبق من غـيرهم ، فإذا كانت الولايات المتحدة التي ترعى الصهيونية أسبق من روسيا والكتلة الشيوعية إلا أن الفارق كبير بـين اعتراف أمريكا واعتراف روسيا والكتلة الشيوعية .

فأمريكا اعترفت بدولة إسرائيل يوم إعلانهـا عن نفسها في يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ ولكن اعترافها ليس اعترافاً رسمياً يقتضي تبادل التمثيل الدبلوماسي ، بل هو اعتراف بالأمر الواقع ، أما الاتحاد السوفياتي فقد اعترف بعد أمريكا

بسويعات ، ولكنه اعتراف كامل مع تبادل التمثيل التام .

ونجد في موقف الكتلة الشيوعية من العرب ودولهم تحدياً سافراً واستخفافاً واستهتاراً بشعاً بالعرب وحكوماتهم وممثليهم .

وكذلك الأمر بالنسبة لعهد خروشوف وما بعده ، فإذا أيدت الشيوعية العرب ففي الأمور الأدبية – بعضها – التي لا يغني فيها التأييد ولا يكسب العرب شيئاً .

ومحاضر الأمم المتحدة زاخرة بمواقف الشيوعيين ضد العرب ، وبتأييدهم القوي في كل مجال حتى المجال الحربي والعسكري .

ولا غرابة في تأييد الشيوعية للصهيونية فكلتاهما بنت اليهودية اللئيمة ، وإذا بدت الخصومة بينهما فذلك ما تقضي به السياسة والمكر والدهاء وخداع الشعوب والحكومات ، وبخاصة الساذجة منها .

والصهيونية بارة بالشيوعية ، وتحب أن تتكافأ قوتها مع قوة أمريكا ، فلما كانت امريكا الدولة الوحيدة التي تملك أسرار القنبلة الذرية التي قهرت اليابان اثنتان منها وجعلت لها السيادة المطلقة على العالم عسكرياً عملت الصهيونية على تزويد روسيا بتلك الأسرار بعد سرقتها بوساطة علماء الذرة اليهود الألى استخدمتهم الصهيونية لسرقة أدق الأسرار وأخطرها واعطائهـــا لروسيا الشيوعية .

ومن هؤلاء العلماء : جوليوس روزنبرغ وزوجته إيثل ، والأول يهودي روسي من أبوين يهوديين روسيين ، وأمـــا زوجته فأبوها يهودي روسي ، وأمها يهودية بولندية ، وهي شقيقة العالم اليهودي دايفد غرينكلاس الذي

سرق سر « الكبسولة » الخاصة بتفجير القنبلة الذرية وسلمها الروس .

وحكم على روزنبرغ وزوجته بالاعدام فبذلت الصهيونية كل جهودها لانقاذ الخائنين من الموت بالكرسي الكهربائي ، ومن جهودها استخدام الصحافة في كل أقطار العالم بما في ذلك الصحافة العربية ، فقد كانت أكبر الجرائد العربية سعة وانتشاراً تنشر « بطاقة » كتب اليها « استرحام » موجه للرئيس الأمريكي للعفو عنهما ، وما على القارىء إلا أن يقصها ويكتب اسمه عليها ويلقيها في صندوق البريد لتصل إلى البيت الأبيض .

ولكن هذه الجهود الصهيونية لم تثمر فأعدم الخائنان في ٢٠ يوليه سنة ١٩٥٣ .

والصهيونية لا تخلص لغير نفسها ، فاليهودي لا يعترف بالوطن الذي يعيش فيه ، وإنما يعترف بجنسيته اليهودية وحدها ، ولذلك نرى اليهود على اختلاف أوطانهم ولغاتهم لا يعترفون بغير اليهودية ، ولذلك رأينا اليهود الأمريكيين الرأسماليين يساعدون الشيوعية مساعدة ضمنت لها البقاء ، إذ زودوها بأسرار القنبلة الذرية .

وكل شبكات التجسس الشيوعية وشبكات تجسس الدول الغربية تدار من قبل اليهود ، وأكثر الجواسيس الناجحين في كلا المعسكرين من اليهود ، وكل شبكات التجسس مفضوحة ومعروفة للوكالة الصهيونية التي هي وحدها مرجع « تقارير » الجواسيس وأسرارهم ، لأنهم صهيونيون .

وإذا رجعنا إلى الوراء فسوف نجد أن أبا الشيوعية كارل ماركس من أصل يهودي ، ولا سال زعيم الحركة الشيوعية في ألمانيا يهودياً ، ولئن كان من

جماعة ماركس إلا أنه كان أكثر نجاحاً منه في حياته ، وهذا النجاح أوغر صدر ماركس عليه ، حتى أنه كان يصف لاسال بأنه « العبد اليهودي » .

ويجب أن نذكر أن موسى هس اليهودي الصهيوني كان من أساتذة ماركس وزملائه وأصدقائه وممن أثروا فيه بآرائه الاشتراكية .

والصهيونية واحدة في جميع العصور ، ووظيفتها في الوجود لا تتغير ، ألا وهي الهدم والتخريب ، ولكن الذي يتغير هو « الاسلوب » وحده ، فهي تتخذ لكل حالة لبوسها ، ولكل عصر ما يناسبه .

يقول العقاد (الصهيونية العالمية، من سلسلة اخترنا لك صفحة ٧٥ –٧٦) :

« تختلف أساليب الصهيونية بين عصر وعصر على حسب اختلاف الحوادث والافكار والمناسبات واختلاف وسائل الاقناع والدعاية والتأثير ، ولكنها في جوهرها شيء واحد ، تتلخص في استطلاع الاسرار والخفايا ، وتسخير سلطان المال لاستغلال الحركات الاجتماعية والعلاقات الشخصية بذوي النفوذ ، والاتجاه بها إلى الوجهة التي تحقق لها مصالحها وأغراضها .

« وينبغي قبل البدء ببيان هذه الاساليب أن نعلم أنها بطبيعتها أساليب هدم ومقاومة ، وأساليب غش وتضليل ، ولا مناص لها من ذلك إلا إذا خرجت على طبيعتها وتخلت عن وجودها ، لأنها لا تستطيع البناء والتعمير ، ولا تستطيع الامانة والعمل الصريح .

« إنما تستطيع الصهيونية البناء إذا استطاعت أن تقيم دعواها على عقيدة تنشرها وتدعو الأمم إلى الإيمان بها ، ولكنها إذا فعلت ذلك نقضت دعواها

الأولى والأخيرة وهي احتكار الإله لنفسها ، والإيمان بأنه إله إسرائيل كما يدعونه في الصلوات ، وليس للأمم الأخرى حظ من رضاه .

« فالصهيونيون الذين يزعمون أن الله لهم وحدهم ، وأنهم شعب الله المختار دون غيرهم لن يقبلوا مشاركة أحد لهم في هذا الاحتكار ، ولن نراهم قط مبشرين بدين يدعون الناس إلى الدخول فيه خلافاً لأصحاب الأديان أجمعين .

« إنهم كأصحاب الميراث الذين لا يقبلون شريكاً فيه ، أو كأصحاب الشركة التي ينفردون بها ولا يوزعون على أحد غيرهم سهماً من أرباحها ، فليس في استطاعتهم أن يقيموا سلطانهم على عقيدة عامة تشاركهم فيها الأمم ، وليس في استطاعتهم أن يقنعوا الناس صراحة بقبول هذه الفكرة النابية ، وكل ما في وسعهم أن يهدموا عقائد الناس وأخلاقهم ودعائم أفكارهم وشرائعهم ثم لا يخلفوها بعقيدة أخرى تقف لهم في الطريق .

« كذلك لا تستطيع الصهيونية العالمية أن تسود بغير الخداع والتضليل ، لأنها لا تعمل بسلطان القوة الظاهرة أو بسلطان الملك والسلاح ، وإنما تعمل بسلطان المطامع والمنافع والشهوات من وراء ستار ، فلا بد لها على الحالين من أساليب الهدم وأساليب الخداع .

لهذا تبادر الصهيونية إلى استغلال نفوذها في إثارة الفتن والقلاقل ، وتظفر الفتنة بتأييدها كلما توقعت منها الامعان في الهدم والفوضى ، لأنها لا تنجح في عالم فيه إيمان بالخلق أو بالوطن أو بالدين » .

ويقول : « وقد اشتركت الصهيونية في كل حركة من حركات الهدم والتدمير ، وآخر ما اشتركت فيه — ولا تزال مشتركة فيه — حركة الشيوعية

في العصر الحديث . وربما كان الصهيوني من أصحاب الملايين ، ولكنه يحرص على نشر الشيوعية ويموِّلها بالمـــال والدعاية ، ويواليها بالدسائس في مجتمع السياسة الدولية » .

ويقول كاريو هنت في كتابه « الشيوعية نظرياً وعمليـــاً » ص ١٧ من الطبعة العربية ما نصه :

« لم يكن من محض الصدفة أن يكون كثيرون من زعمـاء الشيوعية من ماركس إلى الآن من اليهود ».

وسيطرة اليهود على حكام الغرب ضمنت للشيوعية النجاح والبقاء والقوة ، وليتأكد القارىء من هذه السيطرة ومن خضوع دول الغرب للصهيونية العالمية وغفلة حكامه عمـا يراد بشعوبهم ، ومن أن الشيوعية وليدة الصهيونية – كما قال الملك فيصل– نضرب المثل ببريطانيا التي كانت عند نجاح الثورةالشيوعية في روسيا أقوى دولة على وجه الأرض .

عندمـــا نجحت الثورة الشيوعية الصهيونية أدرك بعض الساسة الغربيين خطرها على العـالم ، ومن هؤلاء المستر م. أونديك وزير خارجية هولندا ، وأفزعه نجاح الثورة ، وأدرك ما ينتظر العالم على يديهـا من دمار وتخريب فكتب تقريراً وافيـاً شرح وجهة نظره وأرسله الى وزير خارجية بريطانيا العظمى في ذلك الزمان وكان اليهودي الصهيوني المتعصب « بلفور » جاء فيه :

« إني أعتبر القضاء على الثورة الروسية أكثر أهمية للعالم من كسب الحرب الحالية ، ولذا أقترح إيقاف الحرب حالاً وتوجيه اهتمامنا جميعـاً إلى روسيا والقضاء على ثورتها ، لأنهـا إن تمكنت من ترسيخ جذورها في البلاد الروسية

ستكون وبالاً على العالم أجمع ، لا لكونها اشتراكية ، ولا لأنها روسية ، بل لكونها يهودية خالصة ، تُسَيّر من قبل اليهود ووفق إرادتهم ، ونجاحها لن يكون إلا لصالح اليهود وحدهم ، وإذا قدر لهم السيطرة على الروس فسوف يعمدون إلى توسيع نفوذهم وتحقيق برامجهم .

إن هؤلاء اليهود الذين لا وطن لهم يسعون منذ أقدم العصور لتدمير الشعوب الأخرى ليقيموا على أنقاضها مجدهم الذي يحلمون به » .

وخشي الوزير الهولندي أن يجيبه الوزير البريطاني « بلفور » بأن اليهود قلة لا يسعها أن تسيطر على روسيا فكتب في تقريره الى بلفور بصراحة ، وضرب المثل باستعمار بريطانيا للقارة الهندية ، وهذا نص ما كتبه وزير خارجية هولندا في ذلك التقرير :

« الحذار ! الحذار !

« ولا تجنحوا الى القول بأن هذه الفئة القليلة العدد من اليهود لن تتمكن من السيطرة على روسيا العظيمة فكيف لها أن تتحكم في العالم بأسره ؟.

« أنتم أدرى من سواكم بكيفية تحكم بضع مئات من الانكليز بالقارة الهندية منذ عدة أجيال رغم أن الهند تحوي أكثر من ثلاثمئة وخمسين مليوناً من البشر .

« فلماذا يكون مستحيلاً على اليهود ما هو ممكن للانكليز ؟

« ولذا أرجو ألا تنكروا هذه الحقيقة الناصعة ، وأن تتيقنوا من وجود الخطر اليهودي على العالم .

وأخيراً ، أكرر رجائي بأن تولوا الموضوع الأهميـة اللائقة به ، وتعلموني قراركم » .

ومن الغريب أن يغفل أودنديك عن حقيقة « بلفور » اليهودي المتعصب ليهوديته ، والمستعد لأن يضحي بمصالح بريطانيا التي يلي وزارة خارجيتها في سبيل أي كسب لليهود .

من الغريب أن يغفـل اودنديك الذكي ذو الفراسة والنظر الثاقب الذي اخترق حجاب المستقبل فرأى ما سيكون وكأنـه واقع مشهود عن بلفور وتعصبه ، وعـن أن الوزارة البريطانية في سنة ١٩١٧ – ١٩١٨ كانت تضم صهيونيين متعصبين – وإن لم يكونوا يهوداً – مثـل ونستون تشرشل الذي كان في وزارة بلدوين وزيراً للذخيرة في سنة ١٩١٧ ثم وزيراً للحرب والطيران في سنة ١٩١٨ وكان من المشجعين لوعد بلفور ، ثم من أشد أنصار الصهيونية، ومن أبشع أعداء العرب ومحتقريهم ومحتقري الاسلام والمسلمين .

وتقرير أودنديك يثبت أن الثورة الروسية (الشيوعية) ثورة يهودية يراد منها السيطرة على روسيا ثم التحكم في العالم بأسره .

وكان في روسيا ابان الثورة الشيوعية قنصل بلجيكا العام واسمه « دويه » وألف كتاباً في الثورة الشيوعية سماه « موسكو بلا حجاب » قال فيه :

« إن الذين يحكمون روسيا ليسوا من أبناء روسيا ، بل هم حفنة من اليهود الارهابيين العالميين » .

ويقول فرانك بريتون في كتابه « الصهيونية والشيوعية » صفحة ١٦١ – ١٦٢ من الطبعة العربية :

«العلاقة — هذه — القائمة بين فئتي اليهود (فئة الشيوعيين وفئة الصهيونيين) تشبه تماماً العلاقة القائمة بين الحزبين الأمريكيين : الديمقراطي والجمهوري ، فالتنافس القائم بين هذين الحزبين لا ينفي أن كل عضو فيهما هو أمريكي الجنسية ، وأن الجنسية الأمريكية مشتركة بين الحزبين ، ولا عبرة بهذا الفرق الظاهر بين الشيوعية والصهيونية ، فكون اليهودي شيوعياً أو صهيونياً أو كليهما معاً — وكثيرون منهم كذلك — لا ينفي كونه يهودياً ، وليست الشيوعية والصهيونية سوى مظهرين لقومية واحدة هي القومية اليهودية التي لا تفتأ تناوىء سائر العالم غير اليهودي » .

ومن الثابت أن الشيوعية وليدة الصهيونية — كما قال الملك فيصل وأيده بعض الكتاب الواعين ولهذا كانت روسيا الشيوعية تنفذ ما في «بروتوكولات صهيون » التي هي مخض اليهودية اللئيمة من مخططات لهدم العقائد والأخلاق والأوطان بالاخلاص الذي تنفذه به الصهيونية في كل أقطار العالم ، ولعل هذا ما دعا جريدة « التيمس » اللندنية أن تسمي تلك البروتوكولات « الانجيل البلشفي » في عددها الصادر في شهر مايو سنة ١٩٢٠ إذ نشرت فيه مقالاً عن الخطر اليهودي تحت عنوان « رسالة مقلقة ، دعوة للتحقيق » وجاء فيه :

« ولا يمكن أن يعجز أحد عن أن يكتشف روسيا السوفياتية في البروتوكولات كما أنه لا أحد يستطيع أن ينكر أن القوميسيرين السوفيات يكادون يكونون جميعاً من اليهود » .

وفي أيامنا هذه لم تتخل الشيوعية عن أمها الصهيونية ، فهي تتظاهر للعرب بعداء إسرائيل ، ولكنها تخدم سياسة إسرائيل ، وتلبي طلباتها ، وتحقق لها مراميها ، فروسيا الشيوعية لم تمنع قط هجرة اليهود إلى إسرائيل،

بل هي فاتحة أبواب الهجرة إلى إسرائيل ، ولم تبخل على إسرائيل بأن ترسل اليها اليهود المدربين على استخدام أحدث الأسلحة وأشدهـا فتكاً ، وترسل اليها العلماء والتكنولوجيين .

ولولا يهود روسيا لما استطاعت إسرائيل أن تنتصر على العرب في حرب الأيام الستة ، ولولا تأييد روسيا والدول الشيوعية الدائرة في فلكها والمؤتمرة بأمرها لاسرائيل لما كان لها هذا الوجود الدولي الراسخ وهذه القوة التي هيأتها لضرب العرب وتهديدهم على الدوام .

ومع هذا يدعي الروس أنهم أصدقـــاء ، والواقع أنه لا عدو للعرب والمسلمين مثل الشيوعيين ، فهم يدعون الصداقة التي لم تنفعنا بشيء ، وتدعي عدواة اليهود التي نفعتهم منذ كانت الشيوعية حتى الآن .

ونخلص مما ذكرنا إلى أن الملك فيصلاً على حق عندما قال : إن الشيوعية وليدة الصهيونية ، ولا غرابة أن يفطن جلالته إلى هذه الحقيقة ، فهو من أعظم الحكام والمثقفين الذين درسوا الصهيونية والشيوعية واليهود وتاريخهم المزدحم بالدماء والمخزيات وإثارة الفتن والحروب بين الأفراد والجماعات والأمم والشعوب ، وإفساد المجتمعات ، وهدم الخير والفضيلة ، وتخريب الذمم ، كما درس ديانتهم التي تدعو إلى استعباد الناس وقتلهم ، وتسب رسل الله جميعاً بما فيهم رسلهم .

وليست الشيوعية وحدها وليدة الصهيونية ، بل نجـد كل مذهب هدام وكل فئة هوجاء ، وكل حرب مدمرة ، وكل الرذائل والموبقـات منذ عرف اليهود حتى اليوم من مواليدهم وصنائعهم وذخائرهم .

وقد كان الملك فيصل من الفرسان المجلين في ميدان تحذير الأمم والشعوب والحكومات والأفراد والجماعات والمجتمعات من الصهيونية المستمرة على تنفيذ برامجها ومخططاتها التي تريد منها تدمير العالم وهدم كل ما ليس من قيم انسانية ومثل رفيعة ومبادىء قويمة ومسخ كل الديانات .

وليس تحذير الملك فيصل لفريق طلبة الكلية الحربية الامريكية بواشنطن الذين زاروه بصحبة السفير الامريكي لدى المملكة السعودية في شهر صفر ١٣٩١ هـ. (ابريل ١٩٧١ م.) هو مبدأ تحذيره العالم وبخاصة الأمريكيين ، بل سبق له أن حذر العالم من الصهيونية والشيوعية وكل مذاهب الهدم والتخريب، وما يزال يحذر حتى هذا اليوم الذي استفحل فيه خطر الصهيونية في الدول التي ترعاها وتحتضنها وتنصرها كالولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وألمانيا .

وفطن الملك فيصل إلى مخططات الصهيونية قبل كثير من ساسة الغرب ومفكريه ، فهو قد أدرك أن الصهيونية لا تقف عن مخططاتها الشريرة الهدامة في السلم والحرب على السواء ، فهي تتخذ أساليبها في أيام الحرب لتكسب من الفريقين دون أن يكسباها ، وتكسب من خسائرهما كما تكسب من انتصار المنتصر وهزيمة المهزوم .

فإذا كان السلم فإن لديها مخططاتها الهدامة لأوقات السلم ، ولهذا حذر الملك فيصل طلبة كلية الحربية الامريكية بحضر سفيرهم وقال لهم في صراحة ووضوح :

« قد بدأت الآن الشيوعية والصهيونية في ادخال نظريات هدامة للتأثير في النشء الجديد لينشأ ضعيفاً لا يعتمد عليه ، كما أنهم أفشوا التحلل الخلقي

والنظريات التخريبية للتأثير في المجتمع وانحلاله » .

وهذا التخريب الذي أشار إليه الملك فيصل شر ضروبه ، لأنه تخريب الأجيال الحاضرة والمستقبلة ، ولكن العالم ممعن في غواية الصهيونية والشيوعية ومذاهب الهدم المتفجرة من اليهودية اللئيمة ، ولا يسمع للمصلحين الناصحين من أمثال الملك فيصل وغيره من المصلحين والدعاة العالميين .

واذا لم تصح الحكومات للخطر اليهودي وتقاومه وتقضي عليه فإن مصير الانسان غير اليهودي غاية في السوء ، وهذا ما ترجوه اليهودية التي تتخذ كل وسائل التخريب بكل ضروبه حتى تستطيع السيطرة على العالم .

المصادر والمراجع

* دائرة المعارف البريطانية الطبعة الحادية عشرة مجلد ٩ و١٧ و٢٨ و٣٢.
* الشيوعية والاسلام ، للعقاد والعطار .
* الخطر اليهودي ، لمحمد خليفة التونسي .
* الصهيونية العالمية ، للعقاد .
* الموسوعة العربية الميسرة .
* المفسدون في الأرض ، لناجي .
* الشيوعية نظرياً وعملياً ، لكاريو هنت .
* الشيوعية والصهيونية ، لابراهيم الحلو .
* الصهيونية والشيوعية ، لفرانك ل. بريتون .
* موسكو واسرائيل ، لعمر حليق .

الخاتمة

لما كان الله تبارك وتعالى قد أمر ببرِّ الوالدين ، وكذلك رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وجاء في الحديث الشريف عنه ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم يُنْتَفَعُ به ، أو ولدٍ صالح يدعو له » فإن من حق والِدَيَّ عليَّ أن أدعوَ لهما ، لأنهما سبب وجودي وتربيتي وتعليمي .

ومع دعائي لهما أهدي ثواب الانتفاع بهذا الكتاب إلى والدي « عبد الغفور » ووالدتي وزوجتي « أم هشام » .

رحمهم الله رحمة واسعة ، وغفر لهم ، وأنزلهم الفردوس الأعلى بفضله وكرمه ، آمين .

الاثنين ١٤ جمادى الأولى هـ .

٣١ مارس ١٩٨٠ م

أحمد عبد الغفور عطار

مكة المكرمة

الفهرس

المقدمة ٥
اليهود والصهيونية ٨
اليهود ليسوا من بني اسرائيل ١١
عقيدة اليهود ٢٧
انبياء بني إسرائيل ورسلهم ٣٩
الأسفار المقدسة ٨٢
اليهود أعداء الله ورسله ١١١
أسفار اليهود المقدسة ١١٩
اليهودي الانسان الغريب الشاذ بين الناس ١٢٦
ليس لليهود قومية ولا وطن ١٤٠
إضطهاد اليهود أسطورة ١٥٣
اليهود يبيحون أعراضهم في سبيل تحقيق أغراضهم . . . ١٦١
الشيوعية وليدة الصهيونية ١٧٢

كتب للمؤلف

أ ـ كتب نفدت

١ ـ كتابي (مجموعات مقالات)

طبع بمطبعة أم القرى بمكة المكرمة ـ حرسها الله ـ سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٤ م).

٢ ـ محمد بن عبد الوهاب

الطبعة الأولى ، القاهرة ، سنة ١٣٦٢ هـ (١٩٤٣ م).

الطبعة الثانية ، القاهرة ، سنة ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) .

الطبعة الثالثة ، بيروت ، سنة ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) .

٣ ـ محمد بن عبد الوهاب (كتاب جديد غير السابق) .

الطبعة الأولى ، بيروت ، ٣ ذي الحجة ١٣٩١ هـ (٨ يناير ١٩٧٢م.)

الطبعة الثانية ، بيروت ، ٢٠ ذي الحجة ١٣٩١ (٤ فبراير ١٩٧٢ م .)

الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٠ محرم ١٣٩٢ هـ (٢٤ فبراير ١٩٧٢ م.)

الطبعة الرابعة ، بيروت ، ٥ رجب ١٣٩٢ هـ (٤ أغسطس ١٩٧٢ م .)

الطبعة الخامسة ، بيروت ، سنة ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م).

٤ ـ محمد بن عبد الوهاب

(باللغة الأردية ، ترجمة العلامة الشيخ محمد صادق خليل)

الطبعة الأولى ـ لاهور (باكستان) ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) .

٥ ـ الهوى والشباب (ديوان شعر)

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٧ م) .

٦ ـ الخراج والشرائع

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م).

٧ ـ أريد أن أرى الله (مجموعة قصص).

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م).

الطبعة الثانية ـ بيروت ، سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

٨ ـ المقالات.

الطبعة الأولى ـ القاهرة، سنة ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) .

٩ ـ الهجرة (مسرحية)

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) .

الطبعة الثانية (ضمن مجموعة بحوث تحت عنوان الهجرة) بيروت ، ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

١٠ ـ صقر الجزيرة ، ٣ أجزاء.

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٦٦ هـ (١٩٤٦ م) .

الطبعة الثانية ـ جدة ، سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٥٦ م).

الطبعة الثالثة (ثلاثة أجزاء في مجلد واحد) جدة ، سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) .

١١ ـ البيان (نقد أدبي)

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٤٩ م) .

١٢ ـ الزنابق الحمر (مسرحية لطاغور، مترجمة عن البنغالية)

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧١ هـ (١٩٥١ م) .

١٣ ـ المقدمة (دراسة لمعجم صحاح الامام الجوهري)

الطبعة الأولى (كتبت مقدمة لمعجم « تهذيب الصحاح » للزنجاني)

القاهرة ، سنة ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢ م) .

الطبعة الثانية ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢ م).

١٤ ـ قطرة من يراع

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) .

١٥ ـ الصحاح ومدارس المعجمات العربية

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٥ هـ (١٩٥٦ م) .

الطبعة الثانية (صدرت مع معجم الصحاح للجوهري تحت عنوان :

« مقدمة الصحاح » (في جزء مستقل) القاهرة ، سنة ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م).

الطبعة الثالثة ـ بيروت ، سنة ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م).

الطبعة الرابعة ـ مع معجم الصحاح للجوهري ، الطبعة الثانية ، بيروت ، سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م).

١٦ ـ مقصورة ابن دريد (بحث تاريخي أدبي)

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م).

١٧ ـ الاسلام والشيوعية

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٧ هـ (١٩٥٦ م).

الطبعة الثانية (مزيدة ومنقحة) بيروت ، سنة ١٣٩١ هـ (١٩٧٢ م) .

١٨ ـ حرب الأكاذيب

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م).

الطبعة الثانية ، نشرت بجريدة « عكاظ » الطائف ، سنة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م.

الطبعة الثالثة ، نشرت في الطبعة الثانية من كتاب « الاسلام والشيوعية » ، بيروت ، سنة ١٣٩١ هـ (١٩٧٢ م).

١٩ ـ الفصحى والعامية

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م).

٢٠ ـ عشرون يوماً في الصين الوطنية

الطبعة الأولى ـ تايبيه (الصين الوطنية) سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م).

٢١ ـ الشريعة لا القانون

الطبعة الأولى ـ جدة ، سنة ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م).

٢٢ ـ الاسلام طريقنا الى الحياة

الطبعة الأولى ـ جدة ، سنة ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م).

٢٣ ـ آراء في اللغة

الطبعة الأولى ـ جدة، سنة ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤م).

٢٤ ـ كلام في الأدب

الطبعة الأولى ـ جدة ، سنة ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م).

٢٥ ـ المفتش (مسرحية لنقولا جوجول)

الطبعة الأولى ـ دمشق ، سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م).

الطبعة الثانية ـ بيروت ، سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م).

٢٦ ـ الزحف على لغة القرآن

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٦ م).

٢٧ ـ الاسلام خاتم الأديان

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م).

٢٨ ـ إنسانية الاسلام

الطبعة الأولى ، بيروت ، سنة ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م).

٢٩ ـ اليهودية والصهيونية

الطبعة الأولى ، بيروت ، سنة ١٣٩١ هـ (١٩٧٢ م).

٣٠ ـ صقر الجزيرة ٧ أجزاء (وهو غير الكتاب السابق).

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م).

٣١ ـ ابن سعود وقضية فلسطين

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م).

٣٢ ـ الشيوعية وليدة الصهيونية

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م).

٣٣ ـ الماسونية

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م).

٣٤ ـ عروبة فلسطين والقدس أصيلة منذ عشرات الآلاف من السنين . والهيكل لم يكن مقدساً عند سليمان واليهود .

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م).

٣٥ ـ حجة النبي ﷺ

الطبعة الأولى ـ دمشق ، سنة ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م).

٣٦ ـ مؤامرة الصهيونية على العالم

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م).

الطبعة الثانية (خاصة بوزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية / بيروت . ١٣٩١ هـ (١٩٧٢ م).

الطبعة الثالثة ، بيروت ، سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م).

٣٧ ـ بروتوكولات صهيون (مترجم)

الطبعة الأولى ، بيروت ، سنة ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م).

الطبعة الثانية ، بيروت ، سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م).

ب ـ كتب محققة نفدت

٣٨ ـ تهذيب الصحاح (معجم لغوي، تأليف الامام الزنجاني) ٣ أجزاء.

بالاشتراك مع الأستاذ عبد السلام هارون

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢ م).

٣٩ ـ مقدمة تهذيب اللغة ، للإمام الأزهري

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م).

٤٠ ـ ليس في كلام العرب ، للإمام ابن خالويه

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م).

٤١ ـ آداب المتعلمين ورسائل أخرى في التربية الاسلامية ، لابن خلدون وغيره .

الطبعة الأولى ـ القاهرة ، سنة ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م).

الطبعة الثانية ـ بيروت ، سنة ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م).

٤٢ ـ الصحاح ، للامام الجوهري ٧ أجزاء (منها المقدمة)

الطبعة الأولى ـ القاهرة سنة ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م).

الطبعة الثانية ـ بيروت سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م).

ج ـ كتب مترجمة للمؤلف ، طبعت حديثاً

٤٣ ـ محمد بن عبد الوهاب ، باللغة الانكليزية .

ترجمة الدكتور راشد البراوي

الطبعة الأولى ـ مكة المكرمة ، سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م).

٤٤ ـ محمد بن عبد الوهاب ، باللغة الأردية

ترجمة الشيخ محمد خليل صادق ، الطبعة الثانية ـ مكة المكرمة ،
سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م).

٤٥ ـ إنسانية الاسلام ، باللغة الانكليزية

الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م).

د ـ كتب صدرت حديثاً

١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م

٤٦ ـ الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم
الطبعة الأولى ، بيروت ، سنة ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م).
الطبعة الثانية ، بيروت ، سنة ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م).

٤٧ ـ أحكام الحج والعمرة من حجة النبي وعمراته
الطبعة الأولى ، بيروت ، سنة ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م).

٤٨ ـ الحجاب والسفور
الطبعة الأولى ، بيروت ، سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م).

٤٩ ـ وفاء الفقه الاسلامي بحاجات هذا العصر وكل عصر.
الطبعة الأولى ، بيروت، سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م).

٥٠ ـ وفاء اللغة العربية بحاجات هذا العصر وكل عصر.
الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م).

٥١ ـ دفاع عن الفصحى
الطبعة الأولى ـ بيروت، سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩م)

٥٢ ـ الهجرة
الطبعة الأولى ـ بيروت، سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م).

٥٣ ـ الهجرة (مسرحية)
الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م).

٥٤ ـ جحا يستقبل نفسه
الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م).

٥٥ ـ ويلك آمن (نقد لبعض آراء الشيخ ناصر الدين الألباني)
الطبعة الأولى ـ بيروت ، سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م).

٥٦ ـ شرح مقصورة ابن دريد، لابن هشام اللخمي. (تحقيق)
الطبعة الأولى بيروت سنة ١٤٠٠ هـ. (١٩٨٠ م).

٥٧ ـ الشيوعية والإسلام
الطبعة الثانية ، بيروت سنة ١٤٠٠ هـ . (١٩٨٠ م).

٥٨ ـ **اليهودية والصهيونية**

الطبعة الثانية ، بيروت سنة ١٤٠٠ هـ . (١٩٨٠ م).

٥٩ ـ **الشيوعية خلاصة كل ضروب الكفر والموبقات والشرور والعاهات**

الطبعة الأولى ، بيروت سنة ١٤٠٠ هـ. (١٩٨٠ م).

٦٠ ـ **الاسلام دين خاص أم عام**

الطبعة الأولى ، بيروت سنة ١٤٠٠ هـ . (١٩٨٠ م).

٦١ ـ **انحسار تطبيق الشريعة في أقطار العروبة والاسلام**

الطبعة الأولى ، بيروت سنة ١٤٠٠ هـ . (١٩٨٠ م).

٦٢ ـ **الجوهري**

الطبعة الأولى ، بيروت سنة ١٤٠٠ هـ . (١٩٨٠ م).

٦٣ ـ **أصرح الأديان للبشرية عقيدة وشريعة**

الطبعة الأولى ، بيروت سنة ١٤٠٠ هـ .

٦٤ ـ **عروبة فلسطين والقدس**

الطبعة الثانية ـ مزيدة ومحققة ، بيروت سنة ١٤٠٠ هـ . (١٩٨٠ م).

٦٥ ـ **انسانية الاسلام**

طبعة ثانية ، بيروت سنة ١٤٠٠ هـ . (١٩٨٠ م.)

٦٦ ـ **ليس في كلام العرب**

الطبعة الثانية مزيدة ومحققة ومفهرسة ، بيروت سنة ١٤٠٠ هـ. (١٩٨٠ م.)

٦٧ ـ **الديانات والعقائد في مختلف العصور**

أربعة أجزاء في أربعة مجلدات

الطبعة الأولى ، بيروت ١٤٠٠ هـ . (١٩٨٠ م.)

هـ ـ كتب أعيد طبعها

١ ـ **حجة النبي ﷺ**

الطبعة الثانية ـ دمشق ، سنة ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م).

٢ ـ **صقر الجزيرة** ٧ أجزاء.

الطبعة الثانية ـ بيروت ، سنة ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م).

٣ ـ محمد بن عبد الوهاب

الطبعة الخامسة ، بيروت ، سنة ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .

الطبعة السادسة ، بيروت ، سنة ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .

الطبعة السابعة ، بيروت ، سنة ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .

و ـ كتب معدَّة للطبع

١ ـ المكتبات
٢ ـ فيصل
٣ ـ مئة كلمة
٤ ـ لا أؤمن بالاشتراكية لأني أؤمن بالاسلام
٥ ـ مع الكتب والمؤلفين
٦ ـ الأسرة
٧ ـ نقد كتاب « كشف الظنون »
٨ ـ مذكرات لارا
٩ ـ قال بيدبا
١٠ ـ خمس دقائق قبل الفطور
١١ ـ وراء القضبان
١٢ ـ ورود من كلام
١٣ ـ العقاد
١٤ ـ مسلمة في سيبيريا
١٥ ـ مع الملوك والرؤساء
١٦ ـ الأدب الضاحك
١٧ ـ الرحلات
١٨ ـ عائشة أم المؤمنين
١٩ ـ في اللغة

ز ـ كتب محققة للطبع

٢٠ ـ الأزمنة ، لقطرب .
٢١ ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه ، لأبي العميثل .
٢٢ ـ كشف الظنون ، لحاجي خليفة .
٢٣ ـ مجموعة المعاني (مختارات شعرية) طبعة الجوائب .